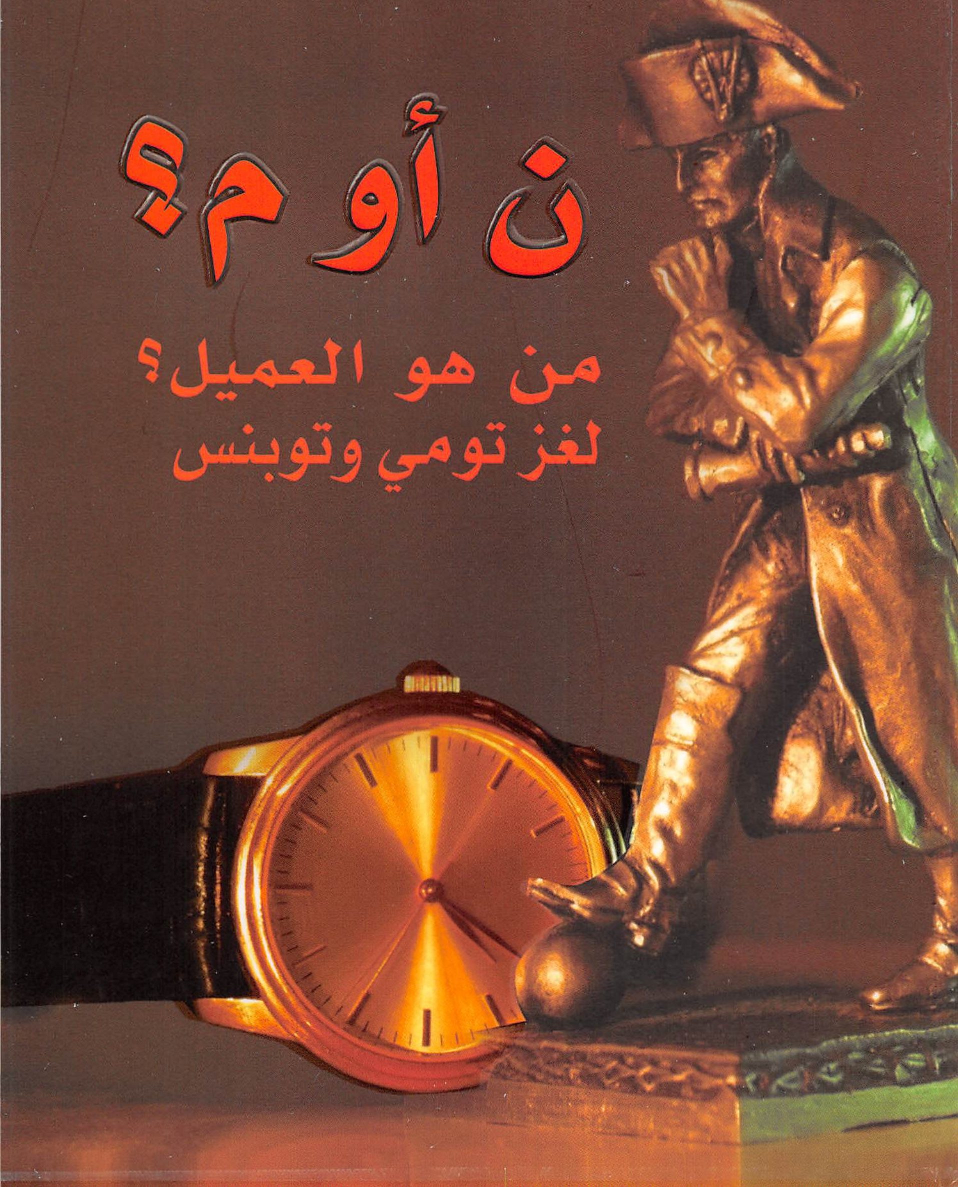
Agatha Christie

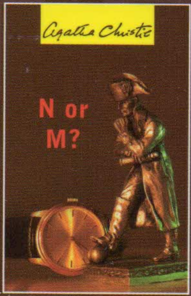
أجاثا كريستي

ن أو م؟

من هو العميل؟
لغز تومي وتوبنس



ن أو م؟



في أثناء الحرب العالمية الثانية، وبينما كانت القوات الجوية الملكية تكافح من أجل تفادي هجمات السلاح الجوي الألماني، واجهت بريطانيا تهديدًا أكثر خطورة بسبب «العدو الداخلي» - النازيين الذين يلعبون دور المواطنين العاديين.

ومع تزايد وطأة الضغوط، تقوم المخابرات بتعيين جاسوسين غير محتملين، تومي وتوبنس بيرسفورد. مهمتهما تتمثل في: البحث عن رجل وسيدة من بين نزلاء فندق سان سوسي، فندق يقع على الشاطئ. لكن هذه المهمة لم تكن سهلة على الإطلاق - لأن ن أو م قاما للتو بقتل أحد أهم العملاء البريطانيين، وما من أحد يعتبر محل ثقة على الإطلاق...

«أثبتت أجاثا كريستي أنه إذا كنت تتمتع حقًا بقدر كاف من الكفاءة، فستتمكن من تخطي كل الحدود والفوز في النهاية».

— آن بيري، الكاتبة التي تتصدر سلسلة كتبها لكل من Thomas Pitt و William Monk قائمة الكتب الأكثر مبيعًا وفقًا لجريدة نيويورك تايمز.

«أجاثا كريستي» هي أكثر روائية نُشر لها أعمال على مر الزمان، ولم يتخط مبيعاتها سوى كتابات شكسبير. لقد بيع أكثر من مليار نسخة من كتبها باللغة الإنجليزية، ومليار أخرى بمئات اللغات الأجنبية. وقد توفيت عام ١٩٧٦.

النسخة الإلكترونية
قارئ جرير
JARIR READER

ISBN 628-107207853-9
6 281072 078539
282205624

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...ليست مجرد مكتبة

ن أو م؟

ن أو م؟

من هو العميل؟
لغز تومي وتوبنس

أجاثا كريستي

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore
... أكثر من مكتبة

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا في
المملكة العربية السعودية - قطر - الكويت - الإمارات العربية المتحدة
نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarirbookstore.com
للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublications@jarirbookstore.com

الطبعة الأولى ٢٠١٤

المملكة العربية السعودية ص.ب. ٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١ - تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١١ ٩٦٦+ - فاكس ٤٦٥٦٣٦٣ ١١ ٩٦٦+

Agatha Christie™

N or M ?

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...أكثر من مجرد مكتبة

نبذة عن المؤلفة

تُعد أجاثا كريستي أكثر الروائيات نشرًا، حيث نُشرت أعمالها على نطاق واسع على مر العصور وبكل اللغات، ولم يتفوق عليها في المبيعات سوى مؤلفات شكسبير؛ فلقد بيعت أكثر من مليار نسخة من رواياتها باللغة الإنجليزية ومليار نسخة أخرى بمائة لغة أجنبية. كتبت أجاثا كريستي ثمانين رواية من أدب الجريمة ومجموعات قصصية قصيرة وتسع عشرة مسرحية وكتابَيْ سيرة ذاتية وست روايات أخرى كتبتها تحت اسم مستعار، هو "ماري ويستماكوت".

حاولت في البداية تأليف القصص البوليسية في أثناء عملها في مستوصف طبي في أثناء الحرب العالمية الأولى، مبتكرة الشخصية الأسطورية "المحقق هيركيول بوارو" في روايتها الأولى *القضية الغامضة في مدينة ستايلز** . وفي رواية جريمة *قتل في المعبد*** التي تم نشرها في عام ١٩٣٠، قدمت محققة محبوبة هي الآنسة جين ماربل. ومن بين شخصيات سلسلة الروايات فريق مكافحة الجريمة المكون من الزوج والزوجة تومي وتيوبنس بيريسفورد، والمحقق الخاص باركر باين، ومحققي سكوتلاند يارد: المراقب باتل والمفتش جاب.

والكثير من روايات كريستي وقصصها القصيرة تم تحويلها إلى مسرحيات وأفلام ومسلسلات تليفزيونية. ومن أشهر مسرحياتها على الإطلاق مسرحية *The Mousetrap* التي تم افتتاحها في عام ١٩٥٢، وقد استمر عرضها على خشبة المسرح لأطول فترة عرض في تاريخ المسرح. ومن بين أشهر الأفلام المأخوذة عن رواياتها جريمة في *قطار الشرق السريع**** (١٩٧٤) وجريمة *قتل على ضفاف النيل***** (١٩٧٨)؛ حيث لعب دور المحقق هيركيول بوارو الممثلان ألبرت فيني و"بيتر أوستينوف" في الفيلمين على التوالي. وعلى شاشة التليفزيون، لعب الممثل "ديفيد سوشيه" دور المحقق بوارو على نحو لا يمكن نسيانه أبدًا، ولعبت

* متوافرة لدى مكتبة جرير

** متوافرة لدى مكتبة جرير

*** متوافرة لدى مكتبة جرير

**** متوافرة لدى مكتبة جرير

الممثلة "جوان هيكسون" دور الآنسة ماربل، ثم تبعتها في تأدية هذا الدور كل من الممثلة "جيرالدين ماكايوان" و"جوليا ماكنزي".

تزوجت كريستي لأول مرة من أرشيبالد كريستي، ثم تزوجت من عالم الآثار السير ماكس مالوان، الذي رافقته في رحلاته الاستكشافية إلى البلدان التي استعانت بها في أحداث العديد من رواياتها. وفي عام ١٩٧١، تسلمت كريستي واحدًا من أرفع الأوسمة البريطانية حين حصلت على لقب سيدة الإمبراطورية البريطانية. توفيت كريستي في عام ١٩٧٦ عن عمر يناهز الخامسة والثمانين. وتم الاحتفال بعيد ميلادها المائة والعشرين في مختلف أنحاء العالم في عام ٢٠١٠.

www.AgathaChristie.com

هـذا الكتاب عمـل أدبي؛ فالشخصيات والأحداث والحوارات من خيال المؤلفة ولا تعكس الواقـع. وأي تشابـه بيـن أحـداث واقعيـة أو أشخاص واقعييـن - على قيد الحياة أو فارقوها - هو من قبيل المصادفة.

نُشر هذا الكتاب من قبل تحت اسم ***Dead Man's Mirror***

مجموعة روايات لأجاثا كريستى

راكب إلى فرانكفورت
إعلان عن جريمة
أوراق لعب على الطاولة
خطر في إند هاوس
القتل السهل
الموت على ضفاف النيل
القضية الغامضة في مدينة ستايلز
خداع المرايا
الجواد الأشهب
لغز القطار الأزرق
الأفيال تستطيع أن تتذكر
الموت يأتي في النهاية
القتل السهل
الموت على ضفاف النيل
القضية الغامضة في مدينة ستايلز
الجواد الأشهب
لغز القطار الأزرق
ثلاثة فئران عمياء وقصص أخرى
الأفيال تستطيع أن تتذكر
الموت يأتي في النهاية
السيد كوين الغامض
تحريات باركربابن
من الذى قتل السيد روجر أكرويد
أبجدية القتلى
جريمة وانتقام
موت في السحاب
بيت الرجل الميت
شجرة السرو الحزينة
واختفى كل شيء
جريمة في بغداد

الأول

خلـع تومـي بيرسفـورد معطفه في ردهة الشقـة، ثم قام بتعليقه بحـذر، مستغرقًا وقتًا طويلًا في القيام بذلك، ثم وضع قبعته بتأنٍ على الشماعة المجاورة.

أظهـر نوعًـا من الجـرأة والعزم ورسم على وجهه ابتسامة تنـم عن قوة الإرادة ثـم اتجـه نحو غرفـة الجلوس؛ حيث كانت زوجته تجلس منهمكة في حياكة قناع من الصوف كاكي اللون وغزله.

كان ذلك في ربيع عام ١٩٤٠.

نظـرت إليـه السيـدة بيرسفورد نظرة سريعـة، ثم واصلت حياكـة القناع ولكن بمزيد من السرعة. وبعد دقيقة أو اثنتين قالت:

"هل هناك أخبار جديدة بالجريدة المسائية؟".

قال تومي:

"الحرب الخاطفة قادمة، أسرعي، أسرعي! يبدو أن الأمور ليست على ما يرام بفرنسا".

قالت توبنس:

"إننا نعيش الآن في عالم مثير للإحباط".

سادت لحظات من الصمت، ثم قال تومي:

"حسنًا، لماذا لا تسألين؟ ما من داع للتحلي بهذا القدر الكبير من الكياسة".

وافقته الرأي قائلة: "أعرف أن الكياسة المفرطة تثير الغضب، لكنك تغضب أيضًا إذا ما سألت، وعلى أية حال أنا لست بحاجة إلى السؤال؛ فالأمر يبدو واضحا عليك".

"لم أكن أدري أنني أبدو شخصًا بائسًا".

قالت توبنس: "كلا يا عزيزي، كل ما في الأمر أن هناك ابتسامة مصطنعة مرسومة على وجهك تظهر قدرًا كبيرًا من الحزن لم أره من قبل".

قال تومي متجهمًا:

"كلا، هل كانت حقًّا بهذا السوء؟".

"بل وأكثر سوءًا من ذلك! حسنًا تحدث، أفصح عما بداخلك. ألم تتوصل إلى أية نتيجة؟".

"ما من فائدة. إنهم لا يحتاجون إلى خدماتي بأي مكان. لقد أخبرتك يا توبنس بأنه من الصعب جدًّا على رجل يبلغ من العمر ٦٤ عامًا أن يشعر كأنه عجوز خرف. الجيش، والبحرية، والقوات الجوية، ووزارة الخارجية جميعهم يرددون العبارة نفسها - أنا عجوز جدًا، وقد يحتاجون إليَّ فيما بعد".

قالت توبنس:

"حسنًا، الأمر نفسه ينطبق عليَّ؛ فهم لا يريدون أشخاصًا في مثل سني للعمل بالتمريض - عادة ما يقولون لي "كلا، شكرًا" - أو بأية مهنة أخرى؛ فهم يعتبرون الشابة التي لم تر جرحًا من قبل أو تعقمه أفضل مني أنا مَنْ عملت لمدة ثلاث سنوات، من ١٩١٥ إلى ١٩١٨، بعدة وظائف: ممرضة بغرفة العمليات، وسائقة شاحنة تجارية، وقائدة. وقد حققت فيها جميعًا نجاحًا باهرًا، أما الآن فأنا سيدة ضعيفة، متعبة، في منتصف العمر لن تقبل أبدا المكوث بالمنزل والقيام بأعمال الغزل والنسج كما يفترض بعض الأشخاص".

قال تومي بحزن:

"هذه الحرب جحيم".

قالت توبنس: "الحرب نفسها شيء بشع، لكن عدم السماح لك بالمساعدة وقت الحرب يزيد من حجم المأساة".

قال تومي مواسيًا إياها:

"حسنًا على أية حال؛ لقد حصلت ديبورا على وظيفة".

قالت والدة ديبورا:

"يا إلهي إنها فتاة رائعة، وأعتقد أنها ناجحة في عملها أيضًا، لكنني ما زلت أعتقد يا تومي أنني لديَّ دور بحياتها".

قطب تومي جبينه قائلًا:

"إنها لا تظن ذلك".

قالت توبنس:

"البنات قد يسببن الكثير من المتاعب لوالديهن خاصة عندما يتحلين بالعطف الشديد نحوهم".

تمتم تومي قائلًا:

" أحيانًا يكون من الصعب تحمل الطريقة التي يساعدني بها ديريك. فضلًا عن تلك النظرة بعينيه التي تقول "والدي الضعيف المسن"".

قالت توبنس: "في الحقيقة، رغم أن أبناءنا يتسمون بالروعة فإنهم يتسببون أيضًا في إثارة غضبنا".

لكن عند ذكر التوءمين ديريك وديبورا امتلأت عيناها بنظرات العطف .

قال تومي بعد تمعن وتفكر: "أعتقد أنه من الصعب على الفرد نفسه إدراك كونه بلغ منتصف العمر ولم يعد بمقدوره القيام بأي شيء".

صاحت توبنس غاضبة، وهزت رأسها بعنف، ثم سقطت كرة الصوف التي تستخدمها في الغزل من حجرها، وقالت:

"هـل لـم تعـد لنـا فائدة؟ هل نحـن كذلك؟ أم كل مـا هنالـك أن كل من حولنا يصر على الإشارة إلى ذلك. أحيانًا أشعر بأنه لم تكن لنا أهمية قط".

قال تومي: "هذا الكلام صحيح إلى حد ما".

"ربمـا كان الأمـر كذلـك، لكـن على أيـة حال لقـد شعرنـا ذات مـرة بأهميتنا. والآن بدأت أشعر بأن كل هذا لم يحدث بالفعل. هل حدث ذلك يا تومي؟ أصحيح أنـك أصبـت فـي رأسك وتعرضت للخطف علـى يد العملاء الألمـان؟ أصحيح أننا بحثنـا ذات مـرة عـن مجرم خطير ـ وتمكنا من العثـور عليه! أصحيـح أننا أنقذنا فتـاة وحصلنـا على أوراق سرية مهمة، وتلقينا شكـرًا عمليًا من بلدتنا التي شعرت بالامتنـان نحونـا؟ أهذه حالنـا الآن، أنا وأنـت، السيد والسيـدة بيرسفورد أصبحا عديمي الفائدة وغير مرغوب فيهما".

"اهدئي عزيزتي. ما من فائدة من كل هذا".

قالـت توبنس وهي تحـاول أن تمنـع نفسها مـن البكاء: "ولكننـي أشعر بخيبة أمل وإحباط بسبب موقف السيد كارتر".

"لقد كتب لنا خطابًا لطيفًا جدًّا".

"إنه لم يفعل أي شيء ـ فلم يعطنا أملًا على الإطلاق".

"حسنًـا، إنـه لم يعد يشغل أي منصب الآن؛ فهـو مثلنا تقدم في العمر وأصبح يعيش في إسكتلندا ويمضي وقته في الصيـد".

قالت توبنس بحزن:

"ربما يسمحون لنا بالقيام *بعمل ما* في المخابرات".

قـال تومـي: "أعتقـد أننـا لـن نستطيع القيـام بذلـك؛ فنحن حاليًـا لا نمتلك الجرأة اللازمة".

قالـت توبنـس: "أتعجب، ما زلت أشعر بمشاعـر أيام الشباب نفسها. لكن ربما، كما تقول، عندما أتواجد بساحة ـــ "

تنهدت قائلة:

"أتمنى أن نعثر على وظيفة ما. إنه لشعور مدمر أن يتوافر لديك الكثير من الوقت للتفكير".

أخذت تحدق دقيقة إلى صورة الشاب الذي يرتدي زي القوات الجوية، وتعلو وجهه ابتسامة عريضة تشبه ابتسامة تومي.

قال تومي:

"الأمر أكثر سوءًا بالنسبة للرجل؛ فالمرأة أولًا وأخيرًا بإمكانها غزل الثياب، وإعداد الطرود البريدية والمساعدة في المقصف".

قالت توبنس:

"يمكنني القيام بكل ذلك بعد مرور عشرين عامًا من الآن. لست عجوزًا للدرجة التي تجعلني أفرح بهذه الأعمال. هذا الكلام لا ينطبق عليَّ".

دق جرس الباب الأمامي. نهضت توبنس. وتبين في هذه اللحظة أن مساحة الشقة صغيرة للغاية.

فتحت الباب فوجدت رجلًا عريض المنكبين ذا شارب طويل ووجه أحمر بشوش يقف على دواسة الباب.

سحرها بنظرته الخاطفة عندما سأل بصوت لطيف:

"هل أنت السيدة بيرسفورد؟".

"نعم".

"اسمي جرانت وأنا صديق للورد إيسثامبتون. لقد طلب مني البحث عنك أنت وزوجك".

"يا إلهي، يا له من خبر لطيف، تفضل بالدخول!".

سارت أمامه متجهة نحو غرفة الجلوس.

"زوجي، عقيد سابق".

"السيد ــ".

"السيد جرانت إنه صديق للسيد كار ... للورد إيسثامبتون".

الاسم المستعار لرئيس المخابرات السابق، "السيد كارتر"، عادة ما يجري بسهولة على لسانها مقارنة بالاسم اللائق بصديقهما القديم.

تحدث الثلاثة مع بعضهم بسعادة لمدة دقائق قليلة، فـ "جرانت" كان شخصًا جذابًا حسن السلوك.

بعد ذلك تركت توبنس الغرفة وعادت بعد مرور عدة دقائق وهي تحمل زجاجات العصير.

بعد مرور عدة دقائق، وبعد فترة من الصمت، قال السيد جرانت لتومي:

"سمعت أنك تبحث عن وظيفة سيد بيرسفورد، أهذا صحيح؟".

بدأت عينا تومي تشع حماسًا.

"نعم هذا صحيح. هل تقصد ــ".

ضحك جرانت وهز رأسه قائلًا:

"ليس ما ظننت. أخشى أن هذه المناصب يجب أن تخصص للشباب الذين يتمتعون بالنشاط - أو لهؤلاء الذين يعملون بها منذ سنوات. الأعمال الوحيدة التي يمكنني اقتراحها عليكم تعتبر سخيفة إلى حد ما؛ إنها أعمال مكتبية مثل إيداع الأوراق بملفات وتجميعها معًا وتصنيفها. أعمال من هذا القبيل".

بدا على تومي الإحباط.

"حقًا، لقد فهمت".

قال جرانت مشجعًا له:

"حسنًا، هذا أفضل من لاشيء. على أية حال، عليك بزيارتي بمكتبي يومًا ما. وزارة الأشغال، حجرة ٢٢. سنحاول العثور لك على وظيفة ما".

دق جرس الهاتف. التقطت توبنس السماعة.

"أهلًا - مرحبًا ــ *ماذا*؟" هناك صوت حاد يتحدث بانفعال يصدر عبر الهاتف. تغيرت ملامح وجه توبنس ثم قالت: "متى؟ - يا إلهي، يا عزيزتي - بالطبع سآتي إليك حالًا ...".

ثم وضعت السماعة.

قالت لـ تومي:

"إنها مورين".

"شعرت بذلك - لقد تعرفت على صوتها من مكاني هذا".

فسرت توبنس الأمر على عجل قائلة:

"آسفة جدًا سيد جرانت، لكن يجب عليَّ الذهاب لصديقتي هذه. لقد سقطت والتوى كاحلها وما من أحد معها سوى طفلتها الصغيرة؛ لذا يجب أن أذهب وأدبر لها أمورها وأعثر لها على شخص يتولى مهمة رعايتها. اعذرني من فضلك".

"بالطبع سيدة بيرسفورد يمكنك الانصراف؛ فأنا أتفهم الموقف".

ابتسمت توبنس له والتقطت المعطف الذي كان موجودًا على الأريكة وارتدته وخرجت مسرعة وأغلقت باب الشقة بعنف.

سكب تومي زجاجة عصير أخرى لضيفه وقال:

"لا تغادر الآن".

"شكرًا لك"، ثم أمسك الضيف بكوب العصير وأخذ منه رشفتين، وساد نوع من الصمت، ثم قال: "أتعلم، إن استدعاء زوجتك الآن يعتبر من حسن حظي؛ لأنه سيوفر علينا الوقت".

حدق تومي.

"لا أفهم".

قال جرانت بتروٍّ:

"أتعلم سيد بيرسفورد أنك إذا ما أتيت لزيارتي بالوزارة كنت سأعرض عليك عرضًا معينًا".

بدت علامات السرور على وجه تومي المليء بالنمش، ثم قال:

"أنت لا تقصد ـــ".

أومأ جرانت برأسه قائلًا:

"اقترح علينا السيد إيستامبتون أن نلجأ إليك وأخبرنا بأنك أنسب شخص لتلك المهمة".

تنهد تومي تنهيدة طويلة ثم قال:

"أخبرني بالمزيد".

"بالطبع أنت تعلم أن هذا الأمر سري للغاية".

أومأ تومي برأسه.

"حتى زوجتك يجب ألا تعرف شيئًا. مفهوم؟".

"بكل تأكيد ـ طالما أنك تريد ذلك، لكننا كنا نعمل معًا من قبل".

"نعم أعلم ذلك، لكن هذه المهمة قاصرة عليك وحدك".

"فهمت، لا بأس".

"ظاهريًا سيعرض عليك وظيفة ما ـ كما قلت للتو: عمل مكتبي ـ بفرع من الوزارة بإسكتلندا ـ بمنطقة محظورة حيث لا تستطيع زوجتك مرافقتك، لكنك في الحقيقة ستكون بمكان مختلف تمامًا".

انتظر تومي بفارغ الصبر.

قال جرانت:

"هل قرأت في الصحيفة عن الطابور الخامس؟ بالطبع أنت تعرف المعنى الضمني لهذا المصطلح".

تمتم تومي قائلًا:

"إنه يشير إلى العدو الداخلي".

"بالضبط. لقد بدأت هذه الحرب بيرسفورد، ونحن نشعر بنوع من التفاؤل. ولا أقصد هنا الأشخاص الذين كانوا على دراية حقيقية ـ فقد كنا نعرف طوال الوقت ما نحن مقدمون عليه ـ بكفاءة العدو، وقوته الجوية، وعزمه الشديد، وتنسيق آلة الحرب الخاصة به والمتميزة بدقة التخطيط، بل أقصد الناس بشكل عام. هؤلاء الأشخاص الديمقراطيون أصحاب القلوب الطيبة، والفكر المشوش،

الذيـن يصدقـون مـا يرغبون فـي تصديقه ـ أن ألمانيـا ستنهار وأنهـا على وشك الثورة، وأن أسلحة الحرب الخاصة بها مصنوعة من الصفيح، وأن رجالها يعانون نقص التغذيـة لدرجـة أنهم سيسقطون إذا مـا حاولوا المشي ـ وأفـكار كثيرة من هذا النوع. ويا لها من مجرد اعتقادات نابعة من رغبتهم في تصديقها!

حسنًـا، لكـن الحرب لم تسر بهذه الطريقة. لقد بـدأت بطريقة سيئة وازدادت الأمـور سـوءًا مـع الوقـت. كان الرجـال يبلـون بـلاء حسنًا ـ الرجـال الموجودون علـى متـن السفن الحربية والطائرات والمخابئ، لكـن كان هناك سوء إدارة وعدم استعداد ـ ربما كانت هذه عيوبنا. نحن لا نريد الحرب، ولم نفكر فيها بجدية، ولم نتحل بالكفاءة اللازمة للاستعداد لها.

لكن كل هذه الأمور وما هو أسوأ منها قد انتهى. لقد صححنا أخطاءنا، ونعمل تدريجيًا على وضع الأشخاص المناسبين بالأماكن المناسبة. بدأنا الآن في إدارة الحرب بالطريقة التي من المفترض أن تدار وفقًا لها ـ ويمكننا الانتصار ـ وعدم ارتـكاب أيـة أخطاء ـ فقط إذا لـم نخسرها أولًا. وخطر خسارة هذه الحرب لا يأتي مـن الخـارج ـ ليس من قوة المقاتـلات الألمانية، وليس من سيطرتها على الدول المحايـدة ومواقـع المراقبة التي يمكن أن تهاجمنـا من خلالها ـ بل من الداخل. الخطـر الـذي يهددنـا أشبـه بخطر طـروادة ـ الحصـان الخشبي الموجـود داخل محيط أسوارنا. يمكنك أن تسميه الطابور الخامس إذا أردت. إنه هنا، بيننا. أقصد بذلك مجموعة من الرجال والنساء، بعضهم يحتل مكانة رفيعة، وبعضهم الآخر غيـر معروف، لكنهم جميعًـا يؤمنون تمامًا بالأهداف والعقيـدة النازية ويرغبون أن يستبدلوا بهذه العقيدة الفعالة الحرية المشوشة لمؤسساتنا الديمقراطية".

انحنـى جرانـت للأمـام، ثم قـال بنفس نبرة الصـوت الهادئة الخاليـة من أية مشاعر:

"ونحن لا نعرف هؤلاء الأشخاص ــ".

قال تومي: "لكن من المؤكد ــ".

قال جرانت بنبرة استياء:

"أوه، بالطبع يمكننا اكتشاف الشخصيات القليلة غير المهمة؛ فهذا أمر سهل جدًا، لكن المشكلة في الآخرين. نحن لدينا بعض المعلومات الخاصة بهم؛ حيث نعرف أن هناك على الأقل اثنين يحتلان منصبين مهمين في المحكمة البحرية ـ لابد أنهما من القادة ـ وأن هناك ثلاثة أو أكثر في القوات الجوية، وأن اثنين، على الأقل، من أعضاء إدارة الاستخبارات، ويمكنهما الاطلاع على أسرار الوزارة. نعرف ذلك لأن الأمور تسير بشكل يدل على ذلك؛ فالمعلومات التي تتسرب للعدو تشير إلى كونها معلومات من القيادات العليا".

بدت على تومي الدهشة وقال بصوت منخفض:

"لكن ما الخدمة التي سأقدمها إليك؟ فأنا لا أعرف أحدًا من هؤلاء الأشخاص".

أومأ جرانت برأسه ثم قال:

"بالضبط. أنت لا تعرف أحدًا منهم ـ *وهم أيضًا لا يعرفونك*".

توقف ليترك له مهلة ليفهم قصده ثم استطرد قائلًا:

"هؤلاء الأشخاص، ذوو المناصب العليا، يعرفون معظم عملائنا. فما من معلومة غير تلك تخفى عليهم. وعندما شعرت بعدم القدرة على إيجاد حل، ذهبت للسيد إيستامبتون. بالطبع هو لم يعد يمارس المهنة ـ كما أنه مريض ـ لكنه ما زال يمتلك أذكى عقل رأيته بحياتي. لقد فكر فيك؛ فقد كنت تعمل مع الإدارة منذ عشرين عامًا. واسمك لم يعد مرتبطًا بها. ووجهك ليس مألوفًا للعاملين بها. ما رأيك ـ هل ستقبل المهمة؟".

تجعد وجه تومي بسبب تكشيرته القوية.

"هل سأقبل؟ بالطبع أنت تراهن على موافقتي. رغم أنني لا أعرف كيف سأساعدك؛ فإنني مجرد هاوٍ لا حول له ولا قوة".

"عزيزي نحن لا نحتاج إلا لشخص هاوٍ؛ فالمحترف سيكون مكبل اليدين في هذا الموقف. ستحتل مكان أفضل رجل عمل لدينا أو من المحتمل أن يعمل لدينا".

بدا على تومي أنه يود طرح سؤال ما. أومأ جرانت برأسه.

"نعم. توفي في مستشفى سانت بريدجيت يوم الثلاثاء الماضي. لقد صدمته شاحنة ـ لم يعش إلا لساعات قليلة. قيل إنه حادث ـ لكنه لم يكن حادثًا".

قال تومي ببطء: "فهمت".

قال جرانت بهدوء:

"لهـذا نعتقـد أن فارقوهار كان قد اقترب مـن الوصول إلى شيء ما ـ كان على وشك اكتشاف شيء ما أخيرًا. وموته هذا لم يكن مجرد حادث".

بدا على تومي أنه يود طرح سؤال ما.

واصل جرانت حديثه قائلًا:

"لسـوء الحـظ نحـن لا نعرف أي شيء عمـا اكتشف؛ فقـد كان يتعقب بانتظام خيطًا وراء الثاني. ومعظم هذه الخيوط لم تقده إلى شيء".

توقف جرانت ثم استطرد حديثه قائلًا:

"ظـل فارقوهـار فاقـدًا للوعي حتى اللحظـات القليلة قبل موتـه، ثم حاول أن يقول شيئًا ما، قال: *إن أو إم (N or M). سون سوزي (song susie)* ".

قال تومي: "كلام غير واضح على الإطلاق".

ابتسم جرانت.

"بـل هـو واضـح إلى حد ما أكثـر مما تظـن. إن أو إم هو مصطلـح سمعناه من قبـل؛ فهـو يشيـر إلى اثنيـن من أهم الـوكلاء الألمـان وأكثرهم ثقـة. لقد عرفنا مصادفة عن أنشطتهما في دول أخرى وليست لدينا سوى معلومات قليلة عنهما. مهمتهمـا هـي تنظيم طابور خامس بالدول الأجنبية والعمـل كوسيلة اتصال بين الدولـة المعنيـة وألمانيـا. نحن نعـرف أن إن رجل وإم سيدة. كل مـا نعرفه عنهما أنهمـا مـن أكثر العمـلاء الذين يثق بهم هتلـر، وفي رسالة مشفـرة تمكنا من فك شفرتهـا قـرب بدايـة الحرب ظهـرت هذه العبـارة: *اقتـرح إن أو إم لإنجلترا؛ فهما لديهما سلطات مطلقة*".

"فهمت، وفارقوهار ــ".

"أعتقد أن فارقوهار قد تمكن من اقتفاء أثر واحد منهما. لسوء الحظ، نحن لا نعرف *من منهما*. وسون سوزي يبدو مكانًا سريًا ـ لكن فارقوهار لم يكن على دراية باللكنة الفرنسية. كانت هناك تذكرة عودة إلى ليهامبتون بجيبه وهذا يشير لشيء ما. وهذه البلدة تقع على الساحل الجنوبي ـ بمدينة بورنموث أو توركواي. وهناك يوجد الكثير من الفنادق الخاصة. من بينها واحد اسمه *سان سوسي (sans souci)* ـ".

قال تومي مرة ثانية:

"أنت تقصد أن سون سوزي هو نفسه سان سوسي؛ لقد فهمت".

قال جرانت: "حقًا!".

قال تومي: "أنت تريدني أن أذهب إلى هناك وأتحرى الأمر".

"نعم هذا هو ما أريد".

اختفت ابتسامة تومي مرة ثانية.

سأل قائلًا: "إنها قضية غامضة إلى حد ما، أليس كذلك؟ فأنا لا أعرف حتى ما الذي أبحث عنه".

"وأنا لا أستطيع أن أخبرك؛ لأنني لا أعرف أيضًا، ومن ثم الأمر متروك لك".

تنهد تومي، ثم رفع كتفيه وقال:

"يمكنني المحاولة. لكنني لا أتحلى بالذكاء الخارق".

"لقد سمعت أنك كنت تبلي بلاء حسنًا فيما مضى". قال تومي سريعًا: "يا إلهي، كان هذا مجرد حظ".

"حسنًا، الحظ هو كل ما نحتاج إليه".

ظل تومي يفكر لدقيقة أو اثنتين ثم قال:

"وماذا عن ذلك المكان سان سوسي؟".

هز جرانت كتفيه ثم قال:

"ربما يكون مجرد مكان وهمي. لا أعلم. ربما كان فارقوهار يفكر في "الأخت سوزي التي تحيك الملابس للجنود" هذا كله مجرد تخمين".

"وبالنسبة لمدينة ليهامبتون"

"مثلها مثل غيرها من هذه الأماكن. وهناك الكثير منها؛ حيث يوجد سيدات عجائز، وزعماء متقاعدون، أشخاص غير متزوجين موثوق بهم، عملاء مريبون، عملاء مشبوهون، شخص أو اثنان أجنبيان. في الحقيقة إنه مكان لخليط من البشر".

"وهل إن أو إم من بينهم؟".

"ليس بالضرورة، ربما يكون هناك شخص ما على اتصال بأحدهما، لكنْ هناك احتمال أن يكونا متواجدين بنفسيهما. إنه مكان خفي، فندق بمنتجع على شاطئ البحر".

"ليست لديك أية فكرة عما إذا كان يجب عليَّ البحث عن رجل أم سيدة؟".

هز جرانت رأسه.

قال تومي: "حسنًا، كل ما يمكنني القيام به هو المحاولة".

"حظًا سعيدًا في محاولتك سيد بيرسفورد. الآن دعنا نتحدث عن التفاصيل".

٢

بعد مرور نصف ساعة، عندما عادت توبنس مليئة بالحماس والفضول، كان تومي يجلس وحده، يصدر صوت صفير في أثناء جلوسه على كرسي ذي ذراعين وعلى وجهه تعبير يدل على الشك.

قالت توبنس: "حسنًا، كيف سارت الأمور"، وبدا عليها أنه ينتابها الكثير من المشاعر.

قال تومي بنبرة تنطوي على بعض الشك: "لقد حصلت على وظيفة - من نوع ما".

"أي نوع؟".

تجهم تومي ثم قال:

"عمل مكتبي في براري إسكتلندا. عمل سري لكنه ليس مشوقًا للغاية".

"عمل لنا معًا أم لك وحدك".

"أخشى أنه لي وحدي".

"ويحك! كيف استطاع السيد كارتر أن يتصف بكل هذه الوضاعة؟".

"أعتقد أنهم يفرقون بين الجنسين في مثل هذه الوظائف. أيُّ سبب خلاف ذلك سيكون محيرًا للعقل".

"هل الوظيفة لها علاقة بالتشفير أم فك الشفرات؟ هل هي مثل وظيفة ديبورا؟ كن حذرًا يا تومي فالعاملون بهذه المهنة يصابون بالجنون بسببها ولا يستطيعون النوم ليلاً ويقضون الليل بأكمله يتأوهون ويرددون ٩٧٨٣٤٥٢٨٦ أو شيئًا أشبه بهذا وفي النهاية يصابون بانهيار عصبي ويعودون إلى بلادهم".

"لست من هذا النوع".

قالت توبنس بكآبة:

"أتوقع أنك ستمر بكل هذا عاجلًا أم آجلًا. هل يمكنني الذهاب معك - ليس كموظفة بل كزوجة؛ فمن الممكن أن نجلس معًا أمام المدفأة ونتناول وجبة دافئة في نهاية اليوم؟".

بدا على تومي الشعور بعدم الارتياح.

"آسف لكن هذه ذكريات قديمة. آسف جدًا. أكره فكرة تركك ـــ".

تمتمت توبنس وهي تستعيد الذكريات قائلة: "لكنك تشعر بأنه يجب عليك أن تذهب".

قال تومي بضعف: "في النهاية يمكنك غزل الأقنعة كما تعرفين".

قالت توبنس: "الغزل!".

ثم أمسكت قناعها الصوفي وألقته على الأرض قائلة:

"أكره الصوف ذا اللون *الكاكي*، وصوف البحرية، واللون الأزرق الخاص بالقوات الجوية. يجب أن أحب غزل شيء ذي لون *أرجواني*".

قال تومي: "أشعر بأنك تلمحين في كلامك للحرب الخاطفة".

شعر بحزن شديد. رغم ذلك كانت توبنس شجاعة وتعاملت مع الموقف جيدًا وأكدت له أنه يستطيع قبول الوظيفة ولا داعي لأن ينشغل بها. وأضافت أنها سمعت أنهم يريدون شخصًا ما لتنظيف أرضيات مركز الإسعافات الأولية. ربما يجدونها ملائمة لهذا العمل.

بعد مرور ثلاثة أيام، غادر تومي متجهًا إلى مدينة أبردين، وَدَّعَتْهُ توبنس في المحطة بعينين لامعتين وغمزت بعينها مرة أو مرتين، لكنها ظلت مبتهجة.

فقط عندما غادر القطار المحطة ورأى تومي زوجته البائسة تسير عبر الرصيف، عندئذ شعر بغصة في حلقه. الأمر لم يكن له علاقة بالحرب؛ فحزنه كان بسبب فراقه لزوجته...

ثم استجمع قواه فالأوامر أوامر.

بعدما وصل إلى إسكتلندا استقل القطار في اليوم التالي إلى مانشستر. في اليوم الثالث أقله القطار إلى ليهامبتون. وهناك ذهب إلى الفندق الرئيسي وفي اليوم التالي قام بجولة بالعديد من الفنادق الخاصة، متفقدًا الغرف ومستعلمًا عن شروط الإقامة الطويلة.

سان سوسي كان عبارة عن فيلا تقع على جانب التل وتطل نافذتها العلوية على البحر. في الردهة كانت هناك رائحة غبار وطبخ والسجادة كانت بالية، لكنها كانت أفضل حالًا من المنشآت الأخرى التي رآها تومي. التقى تومي بصاحبة المكان السيدة بيرينا، بمكتبها الذي كان عبارة عن غرفة صغيرة غير مرتبة تشتمل على مكتب كبير مغطى بمجموعة من الأوراق.

السيدة بيرينا نفسها لم تكن تتمتع بمظهر أنيق؛ فقد كانت سيدة في منتصف العمر ذات شعر متجعد للغاية، ووجه عليه القليل من الماكياج وابتسامة تنم عن شخصية حازمة وتظهر الكثير من الأسنان ناصعة البياض.

تمتم تومي بذكر ابنة عمه العجوز الآنسة ميدوز، التي مكثت بالفندق منذ عامين. تذكرت السيدة بيرينا الآنسة ميدوز جيدًا ـ هذه السيدة العجوز العزيزة ـ ربما لم تكن عجوزًا للغاية ـ كانت نشيطة جدًا وتتحلى بروح الدعابة.

وافق تومي بحذر؛ فهو يعرف أنه كانت هناك بالفعل سيدة تدعى ميدوز ـ فالإدارة كانت دقيقة جدًا فيما يتعلق بهذه النقاط.

وكيف هي حال السيدة ميدوز العزيزة؟

وضح تومي بحزن أنها قد توفيت، فأخذت السيدة بيرينا تصر على أسنانها بتعاطف ورسمت على وجهها ملامح الأسى.

وسريعًا ما عادت تتحدث ثانية بفصاحة. كانت متأكدة أن لديها الغرفة المناسبة للسيد ميدوز؛ فهي غرفة جميلة تطل على البحر، فقد اعتقدت أن السيد ميدوز كان على صواب فيما يتعلق برغبته في الخروج من لندن؛ فهي مدينة مثيرة للإحباط هذه الأيام ـ لذا تفهمت الموقف ـ وبالطبع بعد انتشار مرض الإنفلونزا بهذا السوء.

بينما مازالت تتحدث، قادت السيدة بيرينا تومي للطابق العلوي وجعلته يشاهد عدة غرف، وطلبت منه مبلغًا يدفع أسبوعيًا. بدا على تومي الدهشة، فأخبرته بأن الأسعار قد ارتفعت بدرجة كبيرة. قال لها تومي إن دخله لسوء الحظ قد انخفض فضلًا عن الضرائب وغيرها من الأمور.

تأوهت السيدة بيرينا وقالت:

"هذه الحرب اللعينة ـ".

وافق تومي وقال إنه يرى وجوب إعدام هذا المدعو هتلر شنقًا؛ فهو شخص مجنون.

وافقته السيدة بيرينا الرأي وتحدثت عن التموين والصعوبات التي يواجهها الجزارون في الحصول على اللحم الذي يريدونه ـ وأحيانًا ما تكون الأحوال صعبة للغاية لدرجة أن الخبز والكبد قد اختفيا تمامًا من الأسواق، هذا كله جعل

من الصعب اللجوء إلى خدمات تدبير المنزل، لكن بما أن السيد ميدوز أحد أقرباء الآنسة ميدوز، فجب عليها أن تقدم له هذه الخدمة بتكلفة أقل.

بعد ذلك قرر تومي الانصراف واعدًا إياها بالتفكير في الأمر ورافقته السيدة بيرينا إلى البوابة، متحدثة بمزيد من الفصاحة أكثر من ذي قبل كما بدا عليها المكر مما أثار انتباه تومي. أقر تومي بأنها سيدة حسنة المظهر ووجد نفسه يتساءل عن جنسيتها، فبالطبع هي ليست إنجليزية. اسمها كان أسبانيًا أو برتغاليًا، لكن هذا الاسم ربما يشير إلى جنسية زوجها وليس جنسيتها. ظن أنها ربما تكون إيرلندية رغم أن لهجتها لا تدل على ذلك، لكن ذلك قد يكون بسبب نشاطها وسرعتها في الحديث.

وفي النهاية تم الاتفاق على انتقال السيد ميدوز في اليوم التالي.

حدد تومي موعد وصوله؛ تمام الساعة السادسة. وصلت السيدة بيرينا إلى الردهة لإلقاء التحية عليه، ثم أخذت تملي على الخادمة، ذات المظهر الأبله، مجموعة من التعليمات بخصوص أمتعته، وظلت الخادمة تحدق إلى تومي فاغرة فاها ثم اصطحبته إلى ما أسمته الرواق.

قامت السيدة بيرينا بالتحدث بحسم إلى خمسة أشخاص يحدقون بهما بارتياب قائلة: "عادة ما أقدم ضيوفي. هذا هو ضيفنا الجديد السيد ميدوز. هذه السيدة أورورك". ابتسمت له سيدة ذات بنية جسمانية ضخمة للغاية وعينين صغيرتين براقتين.

"وهذا النقيب بليتشلي". نظر النقيب بليتشلي لتومي نظرة تقدير، ثم أومأ برأسه.

"وهذا السيد فون دينيم". شاب قوي ذو شعر أشقر وعينين زرقاوين، نهض ثم انحنى.

"وهذه الآنسة مينتون". سيدة مسنة كانت تجلس مشغولة بالغزل باستخدام الصوف كاكي اللون، ابتسمت وضحكت.

"وهذه هي السيدة بلنكينسوب". مزيد من الحياكة والغزل - إذا بسيدة منهمكة تمامًا في الحياكة ترفع رأسها.

حبس تومي أنفاسه وشعر بأن الأرض تدور به.

السيدة بلنكينسوب! يا إلهي إنها توبنس! هذا مستحيل وغير معقول ـ توبنس تجلس برواق سان سوسي منهمكة في الحياكة.

التقت عيناها بعينيه ـ رمقته بنظرة مهذبة لا تنم عن الاهتمام.

هكذا أثير فضوله.

يا إلهي إنها توبنس!

الثاني

لم يدرك تومي قط كيف انقضى هذا المساء. لم يجرؤ على السماح لعينيه بالنظر في اتجاه السيدة بلنكينسوب. في وقت العشاء ظهر ثلاثة أشخاص آخرون من نزلاء الفندق - زوجان في منتصف العمر، السيد والسيدة كايلي، وأم شابة، السيدة سبروت، التي أتت إلى هنا مع طفلتها الرضيعة من لندن وكانت تشعر بملل شديد بسبب إقامتها الجبرية في ليهامبتون. جلست بجوار تومي ومن وقت لآخر كانت ترمقه ببعض النظرات وبصوت رقيق قالت:

"ألا تعتقد أن الوضع أصبح آمنًا الآن؟ الجميع عائدون، أليس كذلك؟".

قبل أن يتمكن تومي من الإجابة عن هذه الاستفسارات البسيطة، تدخلت السيدة التي تجلس على الجانب الآخر قائلة:

"أعتقد أنه يجب على الفرد عدم المخاطرة على الإطلاق خاصة في ظل وجود الأطفال، فأنت لديك صغيرتك الجميلة بيتي. اعلمي أنك لن تسامحي نفسك قط إن أصابها مكروه، وكما تعرفين لقد قال هتلر إن الحرب الخاطفة في إنجلترا ستأتي في القريب العاجل - ونوع جديد من البنزين كما أظن".

قاطعهم النقيب بليتشلي بحدة قائلًا:

"هنـاك الكثيـر من الهراء يـدور حول البنزين. أظنهم لـن يضيعوا الوقت في مسألة البنزين هذه. سيستخدمون المتفجرات. هذا ما تم في إسبانيا".

شـارك جميـع الجالسيـن علـى المائـدة فـي النقاش باستمتـاع. وإذا بتوبنس تتحدث بصوت مرتفع قائلة: "يقول ابني دوجلاس ـــ".

فكر تومي قائلًا: "دوجلاس، حقًّا، لماذا دوجلاس؟ يجب أن أعرف".

بعـد العشـاء، الذي كان عبارة عن وجبـة فخمة مكونة من العديد من الأطباق البسيطـة وجميعهـا كانت بـلا طعم، اتجه الجميع نحو الردهـة. واصلت السيدات أعمـال الغـزل والغزل، وأجبر تومي على الاستماع إلى وصف طويل وممل لإحدى تجارب النقيب بليتشلي عند الحدود الشمالية الغربية.

خـرج الشـاب الأشقـر ذو العينيـن الزرقاويـن، ووقـف عند باب الحجـرة ملقيًا التحية على الموجودين.

توقف النقيب بليتشلي عن الحديث وغمز لتومي قائلًا:

"هذا الشخص الذي خرج للتو. إنه لاجئ خرج من ألمانيا قبل الحرب بحوالي شهر".

"هل هو ألماني؟".

"نعـم، وليس يهوديًـا. واجـه والـده العديد مـن المشـاكل لأنه انتقـد النظام النـازي. اثنـان مـن أشقائـه موجودان فـي معسكـرات الاعتقال النازيـة الموجودة هناك. هذا الشخص قد هرب في الوقت المناسب".

عنـد هـذه اللحظـة استحـوذ السيـد كايلي على انتبـاه تومي وظـل يخبره عن صحتـه. موضـوع الحديـث كان مثيـرًا جـدًا بالنسبة للـراوي لدرجـة أن تومي لم يفلت منه إلا قرب موعد النوم.

فـي الصبـاح التالـي استيقظ تومي مبكرًا ثم اتجه نحـو الشاطئ. سار بنشاط ثـم عـاد وفي أثنـاء مـروره بالممشـى رأى شخصًا يبـدو مألوفًا متجهًـا نحوه من الاتجاه الآخر. رفع تومي قبعته، ثم قال مبتسمًا:

"صباح الخير، أعتقد ـ أنت السيدة بلنكينسوب، أليس كذلك؟".

لم يكن هناك أحد على مدى السمع. ردت توبنس:

"بالطبع تعرف من أكون".

تمتم تومي قائلًا: "كيف تمكنت من الوصول إلى هنا يا توبنس؟ إنها معجزة - بالتأكيد معجزة".

"إنها ليست معجزة على الإطلاق - بل مجرد نوع من الذكاء".

"ذكاؤك على ما أعتقد؟".

"بالطبع ذكائي. أتمنى أن يلقنك هذا درسًا أنت والسيد جرانت المغرور".

قال تومي: "بالطبع. هيا يا توبنس. أخبريني كيف أتيت إلى هنا فالفضول سيقتلني".

"كان الأمر في منتهى البساطة. في اللحظة التي تحدث فيها جرانت عن السيد كارتر استطعت تخمين كل شيء، بل علمت أيضًا أن الوظيفة لا علاقة لها بالأعمال المكتبية على الإطلاق. لكن سلوكه أبدى لي أنه لن يسمح لي بمشاركتك هذا العمل؛ لذا قررت أنه من الأفضل أن أذهب. خرجت لأحضر العصير، وفي هذه الأثناء تسللت ونزلت إلى شقة الجيران واتصلت بمورين وطلبت منها أن تتصل بي وأخبرتها بما يجب عليها قوله. وقد فعلت ما طلبته منها بالضبط ـ صوت حاد مرتفع للغاية - فلقد تمكنتما من سماع صوتها، ثم قمت أنا بدوري حيث أخبرتكم بما تشعر به صديقتي من ضيق وغضب وحزن، ثم هرولت للخروج متصنعة الشعور بالاستياء. بعد ذلك طرقت باب الردهة مع بقائي بالداخل، وتسللت إلى غرفة النوم وفتحت الباب المخفي خلف الخزانة".

"وهل سمعت كل شيء؟".

قالت توبنس بسعادة: "كل شيء".

قال تومي مؤنبًا إياها: "ولماذا لم تخبريني قط بكل ذلك؟".

"بالطبع لم أكن لأخبرك. لقد أردت أن ألقنك درسًا أنت وصديقك السيد جرانت".

"إنه ليس صديقي وينبغي عليَّ القول إنك قد لقنته درسًا بالفعل".

قالت توبنس: "لم يكن السيد كارتر ليعاملني بهذه الوضاعة. أظن أن المخابرات لم تعد كما كانت في أيامنا".

قال تومي بوقار: "أظنها ستستعيد ذكاءها السابق بما أننا عدنا إليها، لكن لماذا اخترت اسم بلنكينسوب؟".

"ولم لا؟".

"أظنه اسمًا عتيقًا".

"كان أول اسم طرأ بذهني، كما أنه متناسب مع المكتوب على ملابسي الداخلية".

"ماذا تقصدين يا توبنس؟".

"حرف الـ ب أيها الغبي. ب بيرسفورد. ب بلنكينسوب. فهذا الحرف مطرز على ملابسي الداخلية؛ لذا اخترت باتريشيا بلنكينسوب بدلًا من برودنس بيرسفورد. بالنسبة إليك لماذا اخترت اسم ميدوز؟ إنه اسم سخيف".

قال تومي: "بداية لأن ملابسي الداخلية ليست مطرزة بحرف الباء. ثانيًا أنا لم أختر هذا الاسم. لقد طلب مني أن أطلق على نفسي اسم ميدوز. والسيد ميدوز هو رجل مهذب ذو ماض محترم - حفظته كله عن ظهر قلب".

قالت توبنس: "لطيف جدًا. هل أنت متزوج أم أعزب؟".

قال تومي بوقار: "أنا أرمل. توفيت زوجتي منذ عشر سنوات في سنغافورة".

"لماذا سنغافورة تحديدًا؟".

"نحن جميعًا سنموت بمكان ما. ما مشكلة سنغافورة معك؟".

"كلا، ما من مشكلة. ربما تكون هي أفضل مكان للموت. أنا أيضًا أرملة".

"أين توفي زوجك؟".

"هل هذه مسألة مهمة؟ ربما توفي في دار رعاية. أفضل أن يكون توفي بسبب مرض تليف الكبد".

"فهمت. يا له من موضوع كئيب. وماذا عن ابنك دوجلاس؟!".

"دوجلاس بالبحرية".

"هذا ما سمعته ليلة أمس".

"ولـدي ابنـان آخران؛ ريموند بالقـوات الجوية، وسيريل صغيـري في القوات المدنية".

"افترضـي أن شخصًـا ما حاول إجـراء بعض التحريات عـن عائلة بلنكينسوب هذه، ماذا سيحدث؟".

"حسنًـا، بلنكينسـوب هو زوجي الثاني، أما زوجي الأول فكان اسمه هيل. هناك ثـلاث صفحـات في دليـل الهاتـف تشتمل على اسم هيـل ولن تتمكـن بالطبع من التحري عنهم جميعًا إذا ما حاولت".

تنهد تومي.

"إنها مشكلتك الدائمة توبنس. أنت تبالغين في الأمور؛ زوجان وثلاثة أبناء. هذا كثير جدًا. ستناقضين نفسك عند التحدث عن أية تفاصيل".

"كلا لـن يحـدث ذلك. وأعتقد أن الأبنـاء سيكونون ذوي فائـدة. وعليك أيضًا أن تتذكـر أننـي لست مكلفة من أحد؛ فأنا عميلة حرة وقد أقدمت على هذا العمل لأستمتع وسأستمتع بوقتي".

قال تومي: "هكذا"، ثم أضاف بنبرة حزن: "إذا ما سألتني عن رأيي فسأخبرك أن الأمر برمته أشبه بالمسرحية الهزلية".

"لماذا تقول ذلك؟".

"حسنًـا، لقـد مكثـت هنا فترة أطول منـي، هل يمكنك بصراحـة القول إن أحد هؤلاء الأشخاص الذين التقيناهم ليلة أمس ربما يكون عميلًا خطيرًا؟".

قالت توبنس بعد التفكير بتمعن:

"هذا يبدو غير معقول، ولكن هناك هذا الشاب".

"كارل فون دينيم، أظن أن الشرطة تتحرى عن اللاجئين أليس كذلك؟".

"أعتقد ذلك. ومع ذلك ربما يكون الأمر مرتبًا؛ فهو شاب جذاب كما تعرف".

"تقصدين أن الفتيات سيمدونه بالمعلومات؟ لكن أي فتيات؟ فهذا المكان لا توجد به بنات قادة أو لواءات. ربما يخرج بصحبة بعض الشخصيات المهمة".

"اهدأ يا تومي. ينبغي علينا التعامل مع الأمر بجدية".

"أنا أتعامل معه بجدية. كل ما هنالك أنني أشعر بأننا نحاول محاولة عقيمة".

قالت توبنس بجدية:

"من المبكر جدًا أن تقول ذلك. في النهاية ما من شيء سيتضح الآن. ماذا عن السيدة بيرينا؟".

قال تومي متأملًا: "نعم بالطبع هناك السيدة بيرينا. أمور كثيرة تتعلق بها بحاجة إلى التوضيح".

قالت توبنس بنبرة جادة:

"ماذا عنا؟ أقصد كيف سنتعاون".

قال تومي متأملًا:

"ينبغي ألا نشاهَد معًا كثيرًا".

"بالطبع؛ لأننا سنتعرض لخطر كبير إذا ما بدا أننا نعرف بعضنا بدرجة أكبر مما يبدو عليه الأمر. ما نود تحديده هو السلوك الواجب علينا اتباعه. أعتقد - نعم أعتقد - أن المطاردة هي أفضل طريقة".

"المطاردة!".

"بالتأكيد. سأقوم أنا بمطاردتك بينما تبذل أنت قصارى جهدك لتلوذ بالفرار، لكن بما أنك رجل نبيل فأنت عادة لا تنجح في الهروب مني؛ فأنا سيدة تزوجت مرتين وتسعى للثالثة، هكذا ستلعب أنت دور الأرمل المطارد. فمن فترة إلى أخرى أجدك بمكان ما، في القهوة، تسير على الشاطئ. بهذه الطريقة سيضحك الجميع ويظنون أنها قصة مسلية".

وافق تومي وقال: "تبدو فكرة عملية".

قالت توبنس: "هناك نوع من الفكاهة مرتبط بقصة الرجل المطارد. هذا من شأنه أن يجعلنا على مسافة قريبة من بعضنا. وإذا ما رآنا شخص ما معًا، فكل ما سيقوم به هو الضحك قائلًا: "انظر إلى السيد ميدوز العجوز المسكين"".

أمسك تومي بذراعها فجأة وقال:

"انظري. انظري أمامك".

بالقرب من مسكن اللاجئين وقف شاب يتحدث إلى فتاة. كل منهما بدا عليه الجدية، والانهماك فيما يقولان.

قالت توبنس بهدوء:

"إنه كارل فون دينيم. ترى من هذه الفتاة؟".

"إنها حسنة المظهر للغاية، ترى من ستكون؟".

أومأت توبنس برأسها، وأخذت تحدق جيدًا إلى الوجه المتحمس، والكنزة الصوفية الضيقة التي حددت جسم الفتاة، لقد كانت تتحدث بجدية وبكل حزم. وكان كارل ينصت إليها.

تمتمت توبنس قائلة:

"أعتقد أنه يجب عليك أن تغادر الآن".

وافق تومي قائلًا: "كلامك صحيح".

استدار واتجه نحو الاتجاه المعاكس.

في نهاية الممشى التقى النقيب بليتشلي الذي نظر إليه بارتياب ثم قال بصوت رخيم: "صباح الخير".

"صباح الخير".

علق السيد بليتشلي قائلًا: "أرى أنك تستيقظ مبكرًا مثلي".

قال تومي:

"ينشأ الجميع على هذه العادة في الشرق. بالطبع ذلك منذ عدة سنوات، لكنني ما زلت أنهض مبكرًا".

قال النقيب بليتشلي: "أنت محق تمامًا. يا إلهي، شباب هذه الأيام يشعرونني بالاشمئزاز؛ فهم يأخذون الحمام الدافئ ثم يتوجهون لتناول الإفطار مع حلول الساعة العاشرة أو أكثر. ما من عجب إذن من أن الألمان قد تفوقوا علينا؛ فالشباب ليست لديهم قدرة على التحمل. والجيش لم يعد كما كان في الماضي. إنهم يدللون الجنود هذه الأيام، وهذا يشعرني بالاشمئزاز".

هز تومي رأسه في حزن مما شجع النقيب بليتشلي على الاستمرار قائلًا:

"نحن بحاجة إلى الانضباط. نعم الانضباط. كيف سنربح الحرب بدون انضباط؟ أتعرف يا سيدي بعض هؤلاء الرجال قد أتوا للاستعراض متكاسلين - هكذا خُبِّرْتُ. لا أتوقع الفوز بالحرب بهذه الطريقة. الكسل! يا إلهي!".

وافق ميدوز على كلامه المفيد بأن الأمور اختلفت عما كانت عليه.

قال بليتشلي بحزن: "هذا كله بسبب الديمقراطية؛ حيث يمكنك المبالغة في أي شيء. في رأيي إنهم يبالغون في ممارسة الديمقراطية؛ فهم لا يميزون بين الضباط والرجال العاديين، بل يجعلونهم يتناولون الطعام معًا بالمطاعم - أوف - هذا وضع غير مقبول. والقوات تعرف ذلك".

قال السيد ميدوز: "بالطبع؛ فأنا ليست لديَّ أية معلومات عن شئون الجيش -".

قاطعه النقيب، مختلسًا بعض النظرات الجانبية.

"في العرض بالحرب الماضية".

"أوه! نعم".

"أرى أنك تلقيت تدريبًا ما، هذا واضح على أكتافك. أية كتيبة؟".

تذكر تومي أن يراجع سجل ميدوز العسكري: "الكتيبة الخامسة".

"أوه! نعم، ولاية سالونيك!".

"نعم".

"أنا كنت في ميسبوت".

استغرق بليتشلي في استعادة الذكريات. وظل تومي يستمع إليه في هدوء حتى اختتم حديثه وهو يشعر بالغضب؛ حيث قال:

"وهل سيستفيدون مني الآن بأي شكل من الأشكال؟ كلا، لن يفعلوا؛ فأنا عجوز جدًّا. عجوز لدرجة تدفعهم إلى تجاهلهم إياي. يمكنني تعليم واحد أو اثنين من هؤلاء الشباب شيئًا ما عن الحرب".

اقترح تومي مبتسمًا: "ولو كان مجرد أن يكون ما لا يجب عليهم القيام به".

"آه، ماذا تقصد؟".

بالطبع لم تكن روح الدعابة مقبولة بالنسبة للنقيب بليتشلي؛ لذا ظل يحدق في تومي الذي أسرع لتغيير موضوع الحديث قائلًا:

"هل تعرف أي شيء عن هذه السيدة، أعتقد أن اسمها بلنكينسوب، أليس كذلك؟".

"صحيح اسمها بلنكينسوب. إنها سيدة حسنة المظهر إلى حد ما، لكنها تتحدث كثيرًا. إنها لطيفة، رغم حماقتها. كلا، لا أعرفها. لقد أتت إلى هنا منذ يومين فقط"؛ ثم أضاف: "لماذا تسأل؟".

شرح تومي الأمر قائلًا:

"بالمصادفة قابلتها منذ لحظات. وكنت أتساءل ما إذا كانت معتادة الخروج مبكرًا في هذا الوقت؟".

أضاف قائلًا: "لا أعرف؛ فليس من عادة السيدات المشي قبل موعد الإفطار - حمدًا لله على ذلك".

قال تومي: "حقًّا حمدًا لله"، ثم استطرد قائلًا: "لست بارعًا بما يكفي في إجراء الحوارات المهذبة قبل تناول الإفطار. آمل ألا أكون قد تعاملت معها بوقاحة، لكنني أردت ممارسة تماريني الرياضية".

أبدى النقيب بليتشلي تعاطفًا فوريًّا حيث قال:

"أوافقك الرأي يا ميدوز. أتفق معك تمامًا؛ فالسيدات لطيفات، لكن ليس قبل تناول الإفطار"، ثم ابتسم قليلًا وقال: "عليك أن تتوخى الحذر أيها العجوز فهي أرملة كما تعرف".

"حقًّا هل هي أرملة؟".

داعبه النقيب قائلًا:

"نحن نعرف معنى كلمة أرملة. لقد دفنت زوجين وإذا ما سألتني فسأخبرك بأنها تبحث عن رقم ٣. عليك أن تبقى متيقظًا ومتفتح العينين، هذه هي نصيحتي لك".

وبروح دعابة عالية استدار النقيب بليتشلي عند نهاية الطريق واستعد للسير عائدًا لتناول الإفطار بسان سوسي.

في تلك الأثناء، كانت توبنس قد أكملت سيرها عبر الممشى، مرورًا بالقرب من مسكن اللاجئين والشاب والفتاة اللذين يتحدثان هناك. وفي أثناء مرورها سمعت بعض الكلمات التي تحدثت بها الفتاة:

"لكن يجب عليك أن تتوخى الحذر يا كارل. أقل قدر من الشك ـــ".

ثم ابتعدت توبنس عن مرمى السمع. هل هذه الكلمات توحي بشيء ما؟ نعم، لكنها تحمل عدة تفسيرات وجميعها تفسيرات لا تمثل ضررًا. بدون تطفل استدارت ثم مرت ثانية بهما ومرة ثانية سمعت بعض الكلمات.

"إنجليزي معتد بنفسه ومثير للاشمئزاز ....".

رفعت السيدة بلنكينسوب حاجبيها قليلًا. كارل فون دينيم هو لاجئ من الاضطهاد النازي، منحته إنجلترا ملجأ ومأوى. ليس من الحكمة أو الإقرار بالجميل الاستماع لمثل هذه الكلمات.

استدارت توبنس مرة ثانية، لكن هذه المرة قبل أن تصل إلى المسكن، كانا قد رحلا فجأة؛ حيث ذهبت الفتاة لتعبر الطريق تاركة المكان المواجه للبحر، بينما كان كارل فون دينيم قادمًا باتجاه توبنس.

لم يكن ليتعرف عليها لكن وقوفها وترددها لفت انتباهه، ثم اقترب منها وانحنى تحية لها.

أشارت له توبنس قائلة:

"صباح الخير يا سيد فون دينيم، هذا اسمك أليس كذلك؟ يا له من صباح رائع!".

"أوه، نعم؛ فالجو جميل".

تابعت توبنس حديثها قائلة:

"لقد أغراني هذا الجو؛ فأنا لا أخرج عادة قبل تناول الإفطار، لكن هذا الصباح جميل، بالمناسبة ماذا عن عدم النوم بشكل جيد ـ عادة ما لا ينام المرء جيدًا عند تواجده بمكان غريب. عادة ما نستغرق يومًا أو اثنين لنعتاد المكان، هذا رأيي الخاص".

"أوه نعم، ما من شك أن هذا صحيح".

"وفي الواقع هذه التمشية قد فتحت شهيتي لتناول الإفطار".

"هل أنت عائدة إلى سان سوسي؟ إذا ما سمحت لي فسأرافقك"، ثم سار بجانبها بوقار.

قالت توبنس:

"أنت أيضًا خرجت لتفتح شهيتك؟".

هز رأسه بهدوء قائلًا:

"كلا، لقد تناولت إفطاري بالفعل. أنا في طريقي للعمل".

"أي عمل؟".

"أنا باحث كيميائي".

فكرت توبنس ثم قالت وهي تختلس النظر إليه: "إذن هذه هي وظيفتك"

استطرد كارل فون دينيم حديثه بنبرة صلبة:

"لقد أتيت إلى هذه البلدة للهرب من الاضطهاد النازي، ليس لديَّ سوى القليل من المال وليس لديَّ أي أصدقاء. أحاول أن أعمل قدر الإمكان بأي عمل مفيد".

حدق أمامه مباشرة. كانت توبنس على دراية ببعض المشاعر الجياشة الدفينة التي تحركه بقوة.

تمتمت بغموض قائلة:

"أوه نعم، فهمت. كلامه يستحق التصديق أنا متأكدة من ذلك".

قال كارل فون دينيم:

"شقيقاي موجودان الآن بمعسكرات التعذيب، ووالدي توفي بأحد هذه المعسكرات. وبالنسبة لـ والدتي فقد توفيت من الحزن والخوف".

فكرت توبنس قائلة:

"الطريقة التي يتحدث بها ـ كما لو أنه يحفظ كلامه عن ظهر قلب".

مرة ثانية اختلست النظر إليه فوجدته ما زال محدقًا أمامه، ووجهه يبدو عليه الجمود.

سارا في صمت لعدة دقائق. مر رجلان بجوارهما وأحدهما رمق كارل بنظرة سريعة. سمعته توبنس يقول لرفيقه:

"أراهنك أن هذا الشخص ألماني الجنسية".

رأت توبنس خدي كارل وهما يتلونان باللون الأحمر.

فجأة فقد السيطرة على نفسه. هذه الموجة من المشاعر الدفينة ظهرت على السطح. تلعثم ثم قال:

"سمعت ـ سمعت ـ هذا ما يقولون ـ أنا ـــ".

عادت توبنس فجأة لشخصيتها الحقيقية وقالت بصوت ناعم وجذاب: "عزيزي، لا تكن أحمق. لا يمكنك أن تحظى بكل المميزات".

أدار رأسه وحدق إليها.

"ماذا تقصدين؟".

"أنت لاجئ. عليك أن تتحمل الإيجابيات والسلبيات. أنت ما زلت على قيد الحياة، وهذا أهم شيء؛ فأنت حي وحر، وهذا أمر يستحيل على غيرك تحقيقه؛

فهذا البلد يمر بفترة حرب وأنت ألماني الجنسية". ثم ابتسمت فجأة قائلة: "لا يمكنك توقع ما إذا كان الرجل الذي يسير بالشارع قادرًا على التمييز بين الألمان السيئين والصالحين".

ما زال يحدق إليها. عيناه الزرقاوان كانتا مليئتين بالمشاعر المكبوتة، ثم ابتسم هو الآخر فجأة وقال:

"لقد قالوا عن الهنود الحمر أيضًا إنهم غاية في السوء"، ثم ضحك قائلًا: "لأكون ألمانيًا صالحًا لابد أن أذهب لعملي في الموعد المحدد. أستأذنك. طاب صباحك".

ثم انحنى ثانية تحية لها. ظلت توبنس تحدق وبعد مغادرته قالت لنفسها:

"سيدة بلنكينسوب لقد ارتكبت خطأ الآن. لابد أن تنتبهي جيدًا للعمل في المستقبل. الآن عليك بالذهاب لتنَاول الإفطار".

باب الردهة بسان سوسي كان مفتوحًا. وبالداخل كانت السيدة بيرينا تجري حوارا مهمًا مع شخص ما.

"وستخبرينه برأيي في كمية السمن النباتي الأخيرة. أحضري اللحم من متجر كويلرز فهو أرخص هناك، وكوني حذرة عند شراء الكرنب". توقفت عن الحديث عندما دخلت توبنس ثم قالت:

"أوه، صباح الخير سيدة بلنكينسوب، أنت تستيقظين مبكرًا. بالطبع لم تتناولي إفطارك حتى الآن، إنه جاهز بغرفة الطعام"، ثم أضافت مشيرة للفتاة التي تقف بجوارها: "ابنتي شيلا لم تلتقيها من قبل لأنها كانت بالخارج وعادت ليلة البارحة".

نظرت توبنس باهتمام للوجه الجميل المشرق. لم تعد مفعمة بقدر كبير من الطاقة، بل تشعر الآن بالملل والاستياء. "ابنتي شيلا". شيلا بيرينا.

تمتمت توبنس ببعض الكلمات الرقيقة ثم اتجهت نحو غرفة الطعام؛ حيث وُجد ثلاثة أشخاص يتناولون إفطارهم - السيدة سبروت وطفلتها والسيدة أورورك. قالت توبنس: "صباح الخير" ردت عليها السيدة أورورك بود قائلة:

"طـاب صباحـك"، وتحيتها هـذه غطت على تحيـة السيدة سبـروت المفتقرة إلى الاهتمام.

حدقت السيدة العجوز إلى توبنس بنوع من الاهتمام الزائد ثم قالت:

"إنـه لشيء جميل أن تخرجي للمشـي قبل تناول الإفطار؛ فهذا يفتح شهيتك بدرجة كبيرة".

قالت السيدة سبروت لطفلتها:

"خبز ولبن لذيذ يا صغيرتي"، وحاولت أن تضع ملعقة بفم بيتي.

لكـن الطفلـة تحايلـت علـى تلـك المحاولـة مـن خـلال القيـام بحركـة رائعة برأسها، واستمرت بالتحديق إلى توبنس وعينيها المستديرتين الواسعتين.

أشـارت بإصبعهـا وابتسمـت لها ابتسامة مشرقـة وظلت تصـدر أصواتًا معينة مثل: "جا ـ جا بوش".

صاحـت السيدة سبروت قائلة: "إنهـا تحبك"، وظلت تنظر إلى توبنس وتقول لها: "أحيانًا تكون خجولة جدًا مع الغرباء".

قالت بيتي سبروت: "بوتش"، ثم أضافت: "آه، آه. باج".

سألت السيدة أورورك باهتمام: "وماذا تقصد بهذه الأصوات؟".

قالـت السيـدة سبـروت: "إنها لا تتحدث بكلمـات واضحة حتـى الآن؛ فعمرها عامان وبضعة أشهر. أشعر بالقلق لأنها لا تصدر سوى صوت واحد وهو "بوش". لكنها تستطيع أيضًا قول ماما، أليس كذلك يا عزيزتي؟".

نظرت بيتي بتمعن لوالدتها ثم قالت:

"جا بيك".

صاحـت السيـدة أورورك قائلـة: "إنهـا لغة خاصة بهـؤلاء الملائكـة الصغار. عزيزتي بيتي عليك أن تقولي ماما الآن".

نظـرت بيتـي بحـدة إلـى السيـدة أورورك، ثـم عبست وقالـت بانفعـال شديد: "نازاا".

"هكذا إذن، إنها تبذل قصارى جهدها، وهي طفلة جميلة ورقيقة".

نهضت السيدة أورورك ونظرت إلى بيتي بغضب ثم خرجت ببطء من الغرفة.

قالت بيتي بفرحة غامرة: "طجا، جا، جا"، وظلت تقرع على المائدة بملعقة تمسكها بيدها.

قالت توبنس وهي تغمز بعينها:

"ماذا تعني نازاا حقًا؟".

قالت السيدة سبروت وهي يبدو عليها الخجل: "أخشى أن أخبرك بأنها كلمة تقولها عندما لا تحب شيئًا ما أو شخصًا ما".

قالت توبنس: "لقد خمنت ذلك".

ثم ضحكتا هما الاثنتان.

قالت السيدة سبروت: "في النهاية السيدة أورورك تحاول التصرف بلطف لكنها حادة بعض الشيء - صوتها الصاخب ومظهرها وكل شيء".

مالت بيتي برأسها ثم أصدرت صوتًا كأنها تحاول لفت انتباه توبنس.

قالت السيدة سبروت: "إنها منجذبة لك سيدة بلنكينسوب".

رأت توبنس أن صوتها به نبرة شعور بالغيرة؛ لذا أسرعت لتعديل الأمور.

قالت بسهولة: "إنهم دائمًا ما يعجبون بالوجه الجديد، أليس كذلك؟".

فُتح الباب وظهر النقيب بليتشلي وتومي. وبدا على توبنس المكر.

صاحت قائلة: "أوه، السيد ميدوز، لقد تفوقت عليك كما ترى. الفوز لمن يأتي أولًا، لكنني تركت لك القليل من طعام الإفطار".

ثم أشارت بحركة غير ملحوظة إلى المقعد الموجود بجوارها.

تمتم تومي بغموض قائلًا: "أوه - كلا - هنا أفضل شكرًا لك"، ثم جلس بالناحية الأخرى من المائدة.

قالت بيتي سبروت: "بوتش"، ثم نثرت بعض اللبن على النقيب بليتشلي الذي تغير لون وجهه على الفور لكنه بدا غير غاضب.

سـأل بحماقـة: "وكيـف حـال الآنسـة بو بـي الصغيرة هـذا الصبـاح؟"، ثم بدأ اللعب بالصحيفة.

صاحت بيتي بسرور.

شعرت السيدة توبنس فجأة بالارتياب وفكرت قائلة:

"لابـد أن هنـاك خطأ ما. لا يمكن أن يكون هنـاك شيء ما يحدث هنا. بالطبع ما من شيء يدور هنا".

لتصـدق بـأن سـان سوسي هو مقـر الطابور الخامسـ عليك أن تتمتـع بعقلية شخصيات القصص الخيالية.

الثالث

جلست الآنسة مينتون بالشرفة الخارجية ذات السقيفة، منهمكة في أعمال الغزل والحياكة.

كانت فتاة نحيفة وهزيلة، وترتدي رقبة رفيعة، وكنزة صوفية باهتة اللون، وسلسلة أو قلادة من الخرز، وتنورة صوفية. قامت بتحية توبنس بحماس قائلة:

"صباح الخير سيدة بلنكينسوب. أتمنى أن تكوني استمتعت بنوم هنيء".

قالت السيدة بلنكينسوب إنها عندما تنام بفراش غريب لا تقدر مطلقًا على الاستمتاع بنوم هادئ في أول ليلة أو ليلتين. في هذه اللحظة قالت الآنسة مينتون إنها لمصادفة غريبة؛ فالأمر نفسه ينطبق عليها.

قالت السيدة بلنكينسوب: "يا لها من مصادفة، وما هذه الثياب الجميلة التي تغزلينها". احمر وجه مينتون من السعادة، ثم جعلتها تلقي نظرة على ما تقوم به. لقد كانت تغزل ثوبًا غريبًا إلى حد ما، وبسيطًا لدرجة كبيرة، ثم عرضت على بلنكينسوب أن تعلمها إذا ما أحبت ذلك. أوه، كان هذا كرمًا كبيرًا من الآنسة مينتون، لكن السيدة بلنكينسوب كانت غبية جدًا؛ فهي لم تكن تجيد الغزل، أو التقليد. لم يكن بوسعها سوى القيام بأشياء بسيطة مثل الأقنعة المصنوعة من

الصوف كاكي اللون، وحتى الآن كانت تشعر بأنها ترتكب بعض الأخطاء. أعطتها قناعًا صنعته بنفسها وقالت لها إنه لابد أن هناك خطأ ما، أليس كذلك؟

نظرت الآنسة مينتون بعين الخبير لهذا القناع الممتلئ بالأخطاء. وبهدوء أشارت للخطأ. بامتنان، أعطتها توبنس القناع المعيب. أبدت الآنسة مينتون رقة واهتمامًا وقالت لها إنه ما من مشكلة على الإطلاق. مينتون تتمتع بالخبرة فهي تعمل بالحياكة منذ عدة سنوات.

اعترفت توبنس قائلة: "أخشى أنني لم أقم بأعمال الحياكة قط قبل هذه الحرب المخيفة. لكن الفرد يشعر باستياء شديد، لدرجة تجعله يشعر بأنه يجب عليه القيام *بشيء ما*".

"بالطبع، هذا صحيح. وأنت في الواقع لديك ابن في البحرية، أعتقد أنني سمعتك تقولين هذا ليلة أمس، أليس كذلك؟".

"بلى، إنه ابني الأكبر. وهو شاب رائع - رغم أن الأم في اعتقادي ينبغي ألا تقول هذا. ولدي أيضًا ابن في القوات الجوية وبالنسبة لسيريل الأصغر فإنه بفرنسا".

"أوه يا عزيزتي، لابد أنك تشعرين بقلق شديد".

قالت توبنس في قرارة نفسها:

"ديريك، عزيزي ديريك ... أنت الآن وسط النار والفوضى - وأنا هنا ألعب دور الحمقاء - أتظاهر بما أشعر به حقًا ...".

قالت بنبرة تقية للغاية:

"يجب أن نتحلى جميعًا بالشجاعة، أليس كذلك؟ لنأمل أن ينتهي كل هذا عما قريب. لقد أخبرني شخص ذو سلطة منذ بضعة أيام بأن الألمان لا يمكنهم الصمود أكثر من شهرين آخرين".

أومأت الآنسة مينتون بقوة لدرجة أن السلاسل التي ترتديها أخذت تهتز محدثة صوتًا قويًا.

"نعم، بالطبع، وأعتقد" - (انخفض صوتها بغموض) - "أن هتلر يعاني *مرضًا ما* - مرضًا خطيرًا - أعتقد أنه سيصل لمرحلة الجنون مع حلول أغسطس".

ردت توبنس بحماس:

"هـذه الحرب الخاطفة مـا هي إلا محاولة الألمان الأخيـرة. أعتقد أن العجز يمثـل أمـرًا مخيفًـا فـي ألمانيـا. الرجال فـي المصانع يشعـرون بالاستيـاء التام. المنظومة بأكملها ستنهار".

"ما هذا؟ ما كل هذا؟".

دخـل إلـى الشرفـة السيـد والسيـدة كايلي، وقـام السيـد كايلي بطـرح أسئلته باستياء. جلس بأحد المقاعد ووضعت زوجته بطانية على ركبتيه. كرر بتوتر:

"ما هذا الذي تقولون؟".

قالت الآنسة مينتون: "نحن نقول إن هذا كله سينتهي مع حلول الخريف".

قـال السيـد كايلـي: "هـذا هـراء. هـذه الحـرب ستستمر لمـدة ٦ سنـوات على الأقل".

احتجت توبنس قائلة: "أوه سيد كايلي. بالطبع هذا ليس رأيك".

كان السيد كايلي ينظر حوله في ارتياب.

تمتـم قائـلاً: "الآن أتسـاءل، هـل هنـاك تيار هـواء بالمكان؟ ربمـا سيكون من الأفضل أن أحرك مقعدي للخلف نحو الزاوية".

غير السيد كايلي مكانه. أما زوجته، فهي سيدة يبدو على وجهها القلق ويبدو أنـه ما من هدف لهـا في الحياة سوى الاستجابة لرغبـات زوجها وتغيير الوسائد والبطاطيـن، فكانـت من وقت لآخـر تسأله: "الآن كيف الحـال ألفريد؟ هل تظن أن ذلـك سيكـون مريحًـا بالنسبـة لـك؟ ربمـا يجب أن ترتـدي نظارتـك الشمسيـة فالشمس حارقة هذا الصباح".

قال السيد كايلي بانفعال:

"كلا، كلا. لا تزعجينـي يـا إليزابيث. هـل أحضـرت وشاحي؟ كلا، كلا، الوشاح الحرير. أوه، حسنًا، لا يهم. يمكنني القول إن هذا لن يحدث مشكلة ـ مرة واحدة. لكننـي لا أريـد تدفئـة حنجرتـي بدرجـة مفرطـة، واستخـدام الصوف مـع حرارة

الشمس هذه ـ ربما عليك إحضار الوشاح الآخر"، ثم حول انتباهه إلى أمور ذات مصلحة عامة؛ حيث قال: "نعم أظن أنها ستظل لمدة ٦ سنوات".

استمع بسعادة لاحتجاجات السيدتين.

"أنتما غارقتان فيما نطلق عليه مسمى الاعتقاد بصحة أمر ما. أنا أعرف ألمانيا ويمكنني القول إنني أعرفها جيدًا جدًا. في أثناء عملي قبل أن أتقاعد اعتدت الذهاب إلى برلين، هامبورج، ميونخ، أعرف كل هذه البلاد. أؤكد لك أن ألمانيا يمكنها الصمود لأجل غير مسمى. خاصة مع مساندة روسيا لها ـ".

انهمك السيد كايلي في الحديث وظل صوته يرتفع وينخفض بإيقاع متناغم ولم يتوقف إلا ليمسك بالوشاح الحريري الذي أحضرته له زوجته ليضعه حول رقبته.

أحضرت السيدة سبروت بيتي ووضعتها على الأرض وأعطتها دمية من الصوف على شكل كلب وكنزة دمية صغيرة.

قالت: "هيا بيتي، عليك أن تجعلي بونزو يرتدي ثيابه بينما تستعد والدتك للخروج".

تحدث السيد كايلي بصوت ممل، وأخذ يتلو إحصائيات وأرقامًا، جميعها تشتمل على أرقام محبطة. كان الحديث ممزوجًا بصوت بيتي الذي كانت تصدره في أثناء حديثها مع بونزو بلغتها الخاصة.

قالت بيتي: "تا ـ تا ـ با ـ بات". بعد ذلك عندما اقترب منها عصفور صغير، مدت يديها نحوه وأصدرت صوت بقبقة. طار العصفور وظلت بيتي تنظر إلى الشخصيات المجتمعة من حولها وعلقت بوضوح قائلة:

"ديكي"، ثم أومأت برأسها برضا شديد.

قالت الآنسة مينتون: "هذه الطفلة تتعلم الكلام بأروع طريقة. قولي "تا تا" يا بيتي "تا تا"".

نظرت بيتي لها ببرود، ثم قالت:

"دا ـ دا".

ثـم وضعـت ذراع بونزو في الكنزة، وأخذت تسير بخطى قصيرة قلقة نحو أحد الكراسي، والتقطت الوسادة ووضعت بونزو خلفها. ضحكت وهي سعيدة للغاية ثم قالت بألم شديد:

"اختبئ! انحن واختبئ".

قامت السيدة مينتون بمقاطعتها؛ حيث قالت بفخر:

"إنهـا تحـب لعبة الغميضة؛ فهـي دائمًا ما تخبئ الأشيـاء". صاحت باندهاش مبالغ فيه قائلة:

"أين بونزو؟ أين بونزو؟ أين ذهب؟".

ارتمت بيتي على الأرض وظلت تضحك بشكل هيستيري.

وجـد السيد كايلي أن انتبـاه من حوله قد انصرف عن تفسيره لطرق الألمان لاستبدال المواد الخام؛ لذا انتابه الغضب وسعل بعنف.

ظهرت السيدة سبروت وهي ترتدي قبعتها وحملت بيتي.

عاد الجميع للانتباه مرة ثانية للسيد كايلي.

قالت توبنس: "ماذا كنت تقول يا سيد كايلي؟".

لكن السيد كايلي كان يشعر بالإهانة؛ لذا قال ببرود:

"هـذه السيـدة دائمًا ما ترمي هذه الطفلة هكـذا، وتتوقع من الناس أن يعتنوا بها. أعتقد أنني سآخذ الوشاح الصوفي في النهاية يا عزيزتي فالشمس ستغيب".

قالـت الآنسـة مينتـون: "أوه، لا عليـك سيد كايلـي، من فضلك أكمـل ما كنت تخبرنا به؛ لقد كان حديثك ممتعًا للغاية".

واصل السيد كايلي حديثه بهدوء بعدما وضع الوشاح الصوفي حول رقبته:

"كما كنت أقول لقد أتقنت ألمانيا وضع نظامها الـــ".

استدارت توبنس ونظرت للسيدة كايلي وسألت:

"ما رأيك في الحرب سيدة كايلي؟".

قفزت السيدة كايلي وقالت:

"أوه، تسألينني عن رأيي. ماذا ـ ماذا تقصدين؟".

"هل تعتقدين أنها ستستمر لمدة ٦ سنوات؟".

قالت السيدة كايلي بارتياب:

"يا إلهي! أتمنى ألا يحدث ذلك. إنها فترة طويلة للغاية، أليس كذلك؟".

"بلى. إنها فترة طويلة بالفعل. ماذا تعتقدين حقًا؟".

بدا على السيدة كايلي نوع من الذعر بسبب هذا السؤال ثم قالت:

"يا إلهي! لا أعرف. ليس لديَّ علم على الإطلاق. يقول ألفريد إنها ستظل هذه المدة".

"لكنك لا تعتقدين ذلك؟".

"أوه، لا أعرف. من الصعب الجزم بذلك، أليس كذلك؟".

شعرت توبنس بموجة من السخط لوجودها وسط هؤلاء الأشخاص؛ الآنسة مينتون الثرثارة، السيد كايلي المستبد، والسيدة كايلي عديمة الذكاء ـ هل هؤلاء الشخصيات هم حقًا بنو بلدتها؟ هل كانت السيدة سبروت ذات العينين الواسعتين أفضل؟ ما الذي من الممكن أن تكتشفه توبنس في هذا المكان؟ بالطبع ما من واحد من هؤلاء الأشخاص ـــ

توقفت عن التفكير حيث رأت ظلًا ما. هناك شخص ما يقف خلفها، شخص يقف بينها وبين الشمس. أدارت رأسها.

السيدة بيرينا تقف في الشرفة، وعيناها مسلطتان على المجموعة. وهناك نظرة معينة بعينيها ـ نظرة احتقار، أليس كذلك؟ نوع من الاحتقار المدمر. فكرت توبنس قائلة:

"لابد أن أجمع المزيد من المعلومات عن السيدة بيرينا".

٢

كان تومي يؤسس أفضل علاقة مع النقيب بليتشلي.

"لقد أحضرت معك بعض مضارب الجولف، أليس كذلك سيد ميدوز؟".

عبر تومي عن أسفه لأنه لم يفعل.

"حسنًا. لقد خمنت ذلك؛ فأنا قوي الملاحظة. رغم ذلك يجب أن نلعب معًا. هل سبق أن لعبت على التلال هنا؟".

رد تومي بالنفي.

"إنها ليست سيئة ـ ليست سيئة على الإطلاق. ربما تكون المساحة قليلة، لكنه منظر جميل مطل على البحر. كما أن المكان لا يكون مزدحمًا على الإطلاق. انظر، إنه هناك، ما رأيك في مرافقتي إلى هناك هذا الصباح؟ ربما نلعب مباراة معًا".

"شكرًا جزيلًا. أود ذلك".

قال بليتشلي وهما يسيران نحو التل: "لابد أن أعرب عن سعادتي بوصولك. هذا المكان مليء بالسيدات مما يثير أعصاب الفرد؛ لذا أنا سعيد بوجود رفيق جديد يشد من أزري طوال الوقت. أنت لا تستطيع الاعتماد على كايلي ـ فالسير مع هذا الرجل أشبه بالتجول بصيدلية ما؛ فهو لا يتحدث عن شيء سوى صحته والعلاج الذي جربه والأدوية التي يتناولها. بيد أنه إذا ما تخلص من كل أدويته وخرج للمشي لمسافة ١٠ أميال يوميًا سيصبح شخصًا آخر تمامًا. الرجل الوحيد المتبقي بالمكان بخلافه هو فون دينيم ، ولأكون صادقًا معك سيد ميدوز أنا لا أشعر بارتياح نحوه".

قال تومي: "كلا لا تقل ذلك؟".

"لا. صدقني، فمسألة اللاجئين هذه تمثل خطورة. لو أن الأمر بيدي لاعتقلتهم جميعًا. أمن البلاد هو أهم شيء".

"أرى أنك قاسٍ جدًا في حكمك".

"كلا؛ فالحـرب حرب. وأنا أشعر بالارتياب تجاهه، أولا لأنه ليس يهوديًا ثانيًا لأنـه أتـى إلـى هنا منذ شهر واحد فقط - شهر واحـد أتفهم؟ - قبل اندلاع الحرب. وهذا أمر مثير للشك إلى حد ما".

قال تومي مشجعًا إياه على الحديث:

"إذن أنت تعتقد ـ؟".

" *التجسس* - تلك هي مهمته هنا!".

"لكن بالطبع لا يوجد بهذا المكان شيء ذو أهمية عسكرية أو بحرية".

"يـا إلهـي! يالـك من رجـل عجوز؛ فهذا أكبـر دليل على دهائه! لـو أنه تواجد بأي مكان بالقرب من مدينة بليموث أو بورتسموث، لخضع لمراقبة شديدة. لكن بمكان هادئ كهذا، ما من أحد يزعجه. وفي الوقت ذاته المكان مطل على الساحل أليس كذلـك؟ فـي الحقيقة أرى أن الحكومـة متساهلة تمامًا مع هـؤلاء الغرباء. أي شخـص يريـد المجيء إلى هنا يأتي ويبدي مشاعـر الحزن ويظل يتحدث عن أشقائـه فـي معسكـرات التعذيب. انظر إلـى هذا الشاب - إنه متغطرسـ تمامًا. إنه نازي - هذه هي الحقيقة - نازي".

قال تومي بهدوء: "ما نحتاج إليه حقًا بهذه المدينة هو عراف أو اثنان".

"ماذا تقصد؟".

وضح تومي قصده قائلًا: "ليشم رائحة الجواسيس".

"ها، فكرة جيدة جدًا - بالطبع جيدة. ليشم رائحتهم - نعم بكل تأكيد".

لم يكن هناك مجال لمزيد من الحديث لأنهما قد وصلا إلى النادي.

تـم تدويـن اسم تومي كعضو مؤقت، ثم تم تقديمه إلى السكرتير، رجل عجوز ذو مظهر عادى، وقام بدفع قيمة الاشتراك. وبدأ تومي والنقيب جولتهما.

كان تومـي لاعـب جولـف لا بأسـ بـه. وشعر بسعـادة غامرة عندمـا اكتشف أن مستـواه فـي اللعب يعتبـر مناسبًا تمامًا لمستـوى صديقه الجديـد. وفاز النقيب على تومي، يا له من حدث سعيد!

"مباراة جيدة يا ميدوز، جيدة جدًا في الواقع - غير أن الحظ لم يحالفك في ضربتك؛ حيث انحرفت الكرة عن مسارها في اللحظة الأخيرة. يجب أن نلعب معًا كثيرًا. هلم لأقدمك لبعض الأصدقاء. إنها صحبة لطيفة بشكل عام، بعضها عادة ما يكون من السيدات المسنات، هل تفهم قصدي؟ أوه، ها هو هايدوك - ستحب هذا الشخص. إنه قائد بحري متقاعد وهو صاحب هذا المنزل الموجود على المنحدر بجوارنا. ها هو حارسنا المحلي".

القائد هايدوك كان رجلًا ضخم البنية مليئًا بالحماس ذا وجه مرهق بسبب العوامل الجوية، وعينين زرقاوين، كما أنه كان معتادًا التصريح بكل ملاحظاته دفعة واحدة.

قام هايدوك بتحية تومي بمنتهى الود قائلًا:

"وجودك يمثل أهمية كبرى بالنسبة لبليتشلي؛ فهو سيكون سعيدًا للغاية بوجود رجل آخر بالمكان؛ حيث إنه يرى أن المكان مكتظ بالنساء، أليس كذلك يا بليتشلي؟".

قال النقيب بليتشلي: "السيدات لا يثرن اهتمامي كما تعرف".

قال هايدوك: "هذا مجرد هراء، كل ما هنالك أنهن لسن من النوع الذي تفضله؛ فهن مجرد سيدات مسنات يُقمن بفندق ولا يُجِدْنَ شيئًا سوى أعمال الغزْل والثرثرة".

قال بليتشلي: "لقد نسيت الآنسة بيرينا".

"أوه، شيلا، حقًا إنها فتاة جذابة. لكن جمالها من النوع العادي في رأيي".

قال بليتشلي: "أشعر بالقلق حيالها".

"ماذا تقصد؟ أتود تناول شراب ما ميدوز؟ ماذا تحب أن تشرب أيها النقيب؟".

طلب هايدوك المشروبات ثم انتقلوا إلى شرفة النادي وكرر هايدوك سؤاله.

قال النقيب بليتشلي بعنف بسيط:

"هذا الشاب الألماني. إنها تلتقيه كثيرًا".

"هل تقصد أنها معجبة به؟ يا إلهي، هذا أمر سيئ. بالطبع هو شاب حسن المظهر، لكن هذه العلاقة لن تنجح، لن تنجح يا بليتشلي. لا يمكننا السماح بحدوث ذلك. هذه هي نتيجة التجارة مع الأعداء. هؤلاء الفتيات، أين عقولهن؟ هناك الكثير من الشباب الإنجليز المهذبين".

قال بليتشلي:

"شيلا فتاة غريبة ـ فهي تصاب بنوبات من التجهم عندما لا تتحدث لأي شخص".

قال القائد: "إنها العوامل الوراثية الإسبانية. والدها كان إسبانيًا، أليس كذلك؟".

"لا أدري. إن اسمه إسباني؛ لذا أظن ذلك".

نظر القائد لساعته وقال:

"اقترب موعد نشرة الأخبار، من الأفضل أن ندخل ونستمع لها".

لم تحتو النشرة على الكثير من الأخبار هذا اليوم؛ فلم يكن بها جديد مقارنة بما ورد بصحيفة هذا الصباح. بعد التعليق بالموافقة على الإنجازات الأخيرة للقوات الجوية ـ تلك القوات الباسلة، استمر القائد في شرح وجهة نظره ـ أنه آجلًا أم عاجلًا سيحاول الألمان الهبوط في ليهامبتون نفسها ـ وحجته تتمثل في كونها موقعًا غير مهم.

"لا توجد حتى صواريخ مضادة للطائرات بالمكان. يا له من أمر مهين!".

لم تكتمل المناقشة لأنه تحتم على كل من تومي والنقيب العودة سريعًا لتناول الغداء بسان سوسي. وجه هايدوك دعوة إلى تومي للذهاب لرؤية استراحة سماجلرز".

"إنه منظر خلاب ـ على الشاطئ الخاص بي ـ وستجد بالمنزل كل أنوع الأدوات الرياضية اللازمة. عليك أن تحضره بليتشلي".

تم الاتفاق على ذهاب تومي والنقيب بليتشلي لتناول مشروب معه مساء اليوم التالي.

٣

في سان سوسي تتسم الفترة التي تعقب تناول الغداء بالهدوء. ذهب السيد كايلي ليحظى "بقسط من الراحة"، وذهبت زوجته معه لتكون في خدمته. أما السيدة بلنكينسوب فقد اصطحبتها الآنسة مينتون إلى محطة القطار لتحضير طرد إلى الجبهة وإرساله.

أخذ السيد ميدوز يتجول بهدوء في ليهامبتون وبالقرب من الجزء الأمامي للمبنى. قام بشراء السجائر، ثم توقف عند متجر سميث لشراء العدد الأخير من مجلة *بانش*، وبعد دقائق قليلة من التردد الواضح، ركب الحافلة متجهًا نحو جسر أولد بيير.

كان هذا الجسر يقع على الطرف الآخر من المتنزه. هذا الجزء من ليهامبتون كان معروفًا باستضافته لعملاء غير مرغوب فيهم. إنه يقع غرب ليهامبتون وما من أحد ينتبه له. دفع تومي رسوم الدخول واتجه نحو الجسر. المتنزه كان قديمًا للغاية ولم يكن به أحد سوى بعض الأطفال يجرون ويصيحون بأصوات تشبه صوت طيور النورس، ورجل وحيد يجلس عند آخر الجسر يصطاد.

اتجه السيد ميدوز نحو نهاية الجسر وأخذ يحدق إلى المياه، ثم سأل بهدوء:

"هل اصطدت شيئًا؟".

هز الرجل رأسه قائلًا:

"لم أصطد ولو سمكة صغيرة"، ثم اعتدل السيد جرانت في جلسته وقال بدون أن يلتفت برأسه:

"ماذا عنك سيد ميدوز؟".

قال تومي:

"ليس لديَّ ما أخبرك به الآن يا سيدي. لكنني أسير على الطريق الصحيح".

"حسنًا أخبرني".

جلس تومي على عمود ربط حبال المراكب القريب، ومن مكانه هذا شعر بأنه يتحكم في الجسر بأكمله، ثم بدأ كلامه قائلًا:

"أعتقد أنني وصلت لمرحلة جيدة. هل وصلتك قائمة بأسماء الأشخاص الموجودين بالمكان؟" أومأ جرانت برأسه فواصل تومي حديثه: "ليست هناك أخبار معينة لأخبرك بها. لقد أقمت صداقة مع النقيب بليتشلي ولعبنا معًا الجولف هذا الصباح. إنه نموذج عادي للضابط المتقاعد. يمكنني القول إنه صورة طبق الأصل من هؤلاء الضباط. وبالنسبة لـ كايلي فهو يبدو كشخص مريض بالوهم. ومرة ثانية، يعتبر هذا أمرًا يسهل التعامل معه. لقد كان، باعترافه الخاص، يسافر كثيرًا إلى ألمانيا خلال السنوات القليلة الماضية".

قال جرانت بإيجاز: "وماذا بعد؟".

"ثم هناك فون دينيم".

"نعم، بالطبع لست بحاجة إلى إخبارك سيد ميدوز بأن فون دينيم هو الشخص الذي يثير اهتمامي".

"هل تظن أنه العميل إن؟".

هز جرانت رأسه قائلًا:

"كلا، لا أظن ذلك. أعتقد أن "إن" لن يكون ألمانيًّا".

"وليس لاجئًا من المعسكرات النازية أيضًا؟".

"وليس هذا أيضًا. إننا نراقب الأمور. وهم يعلمون أننا نراقب كل الغرباء من الأعداء في هذه البلدة. علاوة على ذلك - وهذه معلومة سرية - قريبًا جدًّا كل الأعداء ما بين ١٦ و٦٠ عامًا سيتم اعتقالهم. سواء كان أعداؤنا على دراية بهذه الحقيقة أم لا، يمكنهم على أية حال توقع حدوث أمر كهذا. وهم لن يجازفوا أبدًا ويعرضوا رئيس منظمتهم للاعتقال. ومن ثم لابد أن "إن" إما شخص محايد أو أنه رجل إنجليزي. والأمر نفسه ينطبق بكل تأكيد على إم. كلا، ما أقصده بخصوص فون دينيم هو أنه قد يكون حلقة في السلسلة. "إن" أو "إم" قد لا يكونان متواجدين في سان سوسي، لكن فون دينيم متواجد هنا، ومن خلاله قد

نتمكن من الوصول إلى هدفنا؛ فهذا احتمال كبير. ويرجع هذا الاحتمال كوني لا أظن أن أي فرد من الشخصيات الأخرى الموجودة بالمكان قد يكون هو الشخص الذي نبحث عنه".

"أعتقد سيدى أنك تحريت عنهم؟".

تنهد جرانت تنهيدة قوية وسريعة تنم عن الاستياء.

"كلا، فمن المستحيل تمامًا أن أقوم بذلك. كان من الممكن أن أجعل الإدارة تبحث عنهم بمنتهى السهولة - *لكنني لا أستطيع المجازفة بذلك بيرسفورد*؛ لأن الفساد كما تعلم موجود بالإدارة نفسها. وإذا ما شعر أحد بأننا نراقب سان سوسي سيبلغ المنظمة وستأخذ حذرها. من هنا فكرنا فيك، شخص من الخارج. لهذا السبب يجب أن تعمل في الظلام، بدون مساعدتنا. هذه هي فرصتنا الوحيدة - وأنا لا أجرؤ على المجازفة بتنبيههم. هناك شخص واحد فقط استطعت التحري عنه".

"من سيدي؟".

"كارل فون دينيم نفسه. هذا أمر سهل للغاية. إنه إجراء روتيني. يمكنني التحري عنه بسهولة - ليس لأنه موجود بسان سوسي، بل لأنه غريب ومن الأعداء".

سأل تومي بفضول:

"وكيف جاءت نتيجة التحريات؟".

ابتسم جرانت ابتسامة تنم عن الاندهاش، ثم قال:

"كل ما قاله السيد كارل عن نفسه يعتبر صحيحًا؛ والده كان شخصًا أحمق وتوفي في معسكرات التعذيب. وشقيقاه موجودان بأحد هذه المعسكرات، وبالنسبة لوالدته فقد توفيت منذ عام بسبب حزنها الشديد. وقد هرب كارل إلى إنجلترا قبل اندلاع الحرب بشهر، كما أعلن عن قلقه إزاء مساعدة بلدته. عمله بمعمل البحث الكيميائي كان ممتازا ومفيدًا جدًا لمشكلة تحصين غازات معينة وتجارب إزالة التلوث بشكل عام".

قال تومي:

"هل هذا يعني أنه ما من شك يحوم حوله؟".

"ليس بالضرورة. أصدقاؤنا الألمان مشهورون بحيطتهم. لو أن فون دينيم أرسل كعميل بإنجلترا، فمن المؤكد أنه قد تم أخذ كل الاحتياطات التي تضمن أن تاريخه يتفق تمامًا مع ما يقوله عن نفسه. هناك احتمالات؛ الأول أن أسرة فون دينيم بأكملها تعتبر طرفًا بالمهمة ـ احتمال ليس ببعيد خاصة في ظل الحكم النازي شديد الحذر. الاحتمال الثاني أن هذا ليس كارل فون دينيم الحقيقي بل *شخص يلعب دوره"* .

قال تومي ببطء: "فهمت"، ثم استطرد قائلًا:

"إنه يبدو شابًا لطيفًا للغاية".

تنهد جرانت ثم قال: "نعم إنهم كذلك ـ إنهم عادة ما يكونون كذلك. حياتنا هذه غريبة جدًا؛ نحن نحترم أعداءنا وهم يبادلوننا الاحترام نفسه؛ فأنت عادة ما تحب نقيضك ـ حتى إن بذلت قصارى جهدك للتقليل من شأنه".

ساد الصمت بينما ظل تومي يفكر في الحرب ومدى غرابتها. لكن صوت جرانت قاطع تأملاته هذه.

"لكنَّ هناك أشخاصًا لا نكن لهم أي احترام أو إعجاب ـ وهؤلاء هم الخائنون في صفوفنا ـ الرجال الذين هم على استعداد لخيانة دولتهم وقبول المناصب والترقيات من الغريب الذي قهرها".

قال تومي بحزن:

"يا إلهي! أوافقك الرأي يا سيدي؛ فهذه تعتبر جريمة".

"وتستحق العقاب الشديد".

قال تومي بارتياب:

"وهناك أيضًا هؤلاء الثرثارون"

"إنهم بكل مكان؛ فكما أخبرتك هم موجودون بيننا وبين القوات المحاربة وبين أعضاء البرلمان وبالوزارات. ويجب علينا أن نتخلص منهم ـ يجب علينا

القيام بذلك وبسرعة. ولن نبدأ بمن هم في القاع ـ الأقلية عديمة الاهتمام، الأشخاص الذين يتحدثون بالمتنزهات، الذين يبيعون الأخبار العادية؛ فهم لا يعرفون رأس الأفعى، ونحن نسعى للنيل من رأس الأفعى لأنها من الممكن أن تتسبب في خسائر فادحة ـ وستقوم بذلك ما لم نتدخل في الوقت المناسب".

قال تومي بثقة:

"سنتدخل في الوقت المناسب سيدي".

سأله جرانت:

"ما الذي يدفعك لقول ذلك".

قال تومي:

"ما قلته للتو ـ يجب *علينا* التدخل".

استدار الرجل الذي يمسك بالصنارة وحدق إلى مرءوسيه لدقيقة أو اثنتين، فرآه عازمًا متحمسًا؛ لذا شعر بإعجاب وتقدير تجاهه. ثم قال بهدوء:

"يا لك من رجل!".

ثم أكمل حديثه قائلًا:

"ماذا عن السيدات بهذا المكان؟ هل من شيء أثار ريبتك؟".

"أعتقد أن هناك شيئًا غريبًا بخصوص السيدة التي تدير المكان".

"هل تقصد السيدة بيرينا؟".

"نعم. ألا تعرف أي شيء عنها؟".

قال جرانت ببطء:

"سأرى ما الذي يمكنني القيام به للتحري عن أسلافها، لكن كما أخبرتك، هذا التصرف يمثل خطورة".

"نعم، من الأفضل ألا تجازف. إنها الوحيدة التي أشعر بالارتياب نحوها. هناك أم شابة، وسيدة عزباء، وزوجة الرجل المريض البلهاء، وسيدة أيرلندية عجوز. جميعهن لا يمثلن أي خطر".

"ألا توجد سيدات أخريات؟".

"كلا، هناك السيدة بلنكينسوب ـ لقد وصلت منذ ٣ أيام".

"حسنًا".

قال تومي: "السيدة بلنكينسوب هي زوجتي".

"ماذا؟".

رفع جرانت صوته نتيجة لدهشته. استدار، ونظرته كانت مليئة بالغضب ثم قال: "أعتقد أنني أخبرتك بيرسفورد ألا تطلع زوجتك على أي شيء بخصوص هذه المهمة".

"أنت محق يا سيدي، وأنا لم أطلعها على شيء. لو أنك تنصت إليَّ ــ".

قص عليه تومي ما حدث بإيجاز. لم يجرؤ على النظر إليه. وبمنتهى الحذر حاول ألا يظهر بصوته ما يشعر به من فخر.

ساد الصمت بعدما انتهى من سرد ما حدث، ثم علا صوت جرانت؛ كان يضحك، وظل يضحك بضع دقائق ثم قال:

"إنني أرفع القبعة لتلك السيدة! إنها شخصية فريدة من نوعها".

قال تومي: "أوافقك الرأي".

"سيضحك إيستامبتون عندما أخبره بذلك. لقد حذرني من عدم إشراكها في المهمة قائلًا إنها ستنال مني إذا فعلت ذلك، لكنني لم أنصت إليه. هذا يوضح لك أنه يجب عليك أن تتسم بالحذر التام. لقد ظننت أنني أخذت كل احتياطاتي ولن يسمعني أحد. كما شعرت بالسعادة عندما وجدتك أنت وزوجتك بالشقة وحدكما. لقد سمعت هذا الصوت عبر سماعة الهاتف يطلب من زوجتك الذهاب فورًا، ومن ثم صدقت حيلة طرق الباب. حقًا زوجتك تتسم بذكاء خارق".

صمت لدقيقة ثم قال:

"هل من الممكن أن تخبرها نيابة عنى بأنني أشعر بالخجل؟".

"وأعتقد أنها الآن مشاركة في المهمة؟".

تجهم السيد جرانت ثم قال:

"إنهـا مشاركـة بهـا شئنـا ذلك أم أبينـا. أخبرها بـأن الإدارة سيكـون لها عظيم الشرف إذا ما تنازلت وقبلت العمل معنا".

قال تومي عابسًا: "سأخبرها".

قال جرانت بجدية:

"أعتقد أنك لن تستطيع إقناعها بالعودة إلى المنزل والمكوث هناك؟".

هز تومي رأسه.

"أنت لا تعرف توبنس".

"أعتقـد أننـي بـدأت أعرفهـا. قلـت ذلـك لأن ـــ حسنًا، إنـه أمر خطيـر. إذا ما اكتشفوا أمرك أو أمرها ــ".

لم ينه الجملة.

قال تومي بأسى: "أفهم ذلك يا سيدي".

"لكنني أعتقد أنك لم تتمكن حتى من إقناع زوجتك بالابتعاد عن الخطر".

قال تومي ببطء:

"أظـن أننـي لا أريـد حقًـا القيـام بذلـك ... فهذه المعاييـر لا تنطبق علـيَّ أنا وتوبنـس؛ فنحـن نتشـارك في كل شيء". وفـي عقله كانت تدور هـذه العبارة التي تم التصريح بها منذ عدة سنوات، عند نهاية الحرب الأولى. *مشروع مشترك*...

هكذا كانت حياته مع توبنس وستظل دائمًا هكذا ـ مشروعًا مشتركًا...

الرابع

عندما دخلت توبنس الردهة بسان سوسي قبل حلول موعد العشاء بدقائق، لم يكن بالغرفة سوى السيدة أوروورك ضخمة البنية التي كانت تجلس بالقرب من النافذة وتبدو كالتمثال الضخم.

رحبت بتوبنس بلطف وحيوية قائلة:

"أوه، ها هي ذي السيدة بلنكينسوب، أنت مثلي؛ تفضلين النزول قبل موعد تناول الطعام بدقيقة أو اثنتين للاستمتاع بنوع من الهدوء، الجلوس هنا بالردهة يكون ممتعًا خاصة عندما يكون الجو جميلاً والنوافذ مفتوحة؛ بحيث لا تلاحظين رائحة المطبخ؛ فرائحة الطبخ تكون فظيعة، بكل هذه الفنادق، خاصة إذا كانت رائحة بصل أو كرنب. اجلسي هنا سيدة بلنكينسوب وأخبريني ماذا فعلت هذا اليوم وهل أعجبتك ليهامبتون".

هناك شيء ما بخصوص السيدة أوروورك يثير ارتياب توبنس؛ فهي تشبه الشخصيات الشريرة التي توصف بالحكايات؛ جسمها الضخم، صوتها الغليظ، ذقنها الكبير، عيناها اللامعتان، والانطباع الذي تتركه بداخلك والذي يجعلك

تشعر بأن حجمها هذا أكبر من الطبيعي، كانت في الواقع تشبه الشخصيات التي كنا نتخيلها بمرحلة الطفولة.

أجابت توبنس بأنها تظن أنها ستحب ليهامبتون كثيرًا، وستكون سعيدة بها.

ثـم أضافـت بصوت حزين: "السعادة نفسها التي مـن الممكن أن أشعر بها في أي مكان مع كل ما أكنه بداخلي من قلق يثقل كاهلي طوال الوقت".

نصحتها السيدة أورورك قائلة: "أوه كلا، لا تقلقي؛ سيعود أبناؤك لك آمنين. أنا واثقة بذلك. أعتقد أنك قلت إن أحدهم بالقوات الجوية، أليس كذلك؟".

"بلى، إنه ريموند".

"وهل هو بفرنسا الآن أم بإنجلترا؟".

"إنـه فـي مصر حاليًـا، لكنه لم يقـل ذلك بالضبـط في خطابه الأخيـر، لكننا لدينـا شفرة خاصة بنا إذا كنـت تفهمين قصدي؟ هناك عبارات معينة تعني أشياء معينة - أعتقد أن هذا مُبَرر أليس كذلك؟".

أجابت السيدة أورورك على الفور:

"بكل تأكيد؛ فهذا امتياز خاص بك كأم".

"نعم، أنت محقة؛ فأنا أشعر بأنه يجب أن أعرف مكانه".

أومأت السيدة أورورك برأسها قائلة:

"أشعـر بـك تمامًـا. لـو أن لـي ابنًا هنـاك، لحاولـت الاحتيال متبعـة الطريقة نفسها. وماذا عن ابنك الثاني، الذي يعمل بالبحرية؟".

أخذت توبنس تسرد قصة بطولية عن دوجلاس.

أنهت قصتها قائلة: "أترين، إنني أشعر بالضياع بدون أبنائي الثلاثة؛ فهم لم يتركونـي جميعًـا من قبل. وهم يحبونني جدًا ويعاملوننـي كصديقة وليس كأم". ثـم ضحكـت قائلة: "يجـب أن أوبخهم في بعض الأحيان وأجبرهـم على الخروج بدوني".

(قالت توبنس في قرارة نفسها: "إنني أبدو كسيدة مزعجة للغاية")

"كنت أعيش بلندن ولم أعرف حقًا ما الذي يجب عليَّ القيام به أو إلى أين أذهب عندما انتهي عقد إيجار منزلي، رأيت أنه من الغباء تجديده وفكرت في الذهاب إلى مكان هادئ، تتوافر به خدمة القطارات" توقفت عن الحديث.

أومأت السيدة أورورك برأسها مرة ثانية.

"أوافقك الرأي تمامًا. لندن ليست بالمكان المناسب حاليًا؛ فالحزن يملؤها. لقد عشت هناك عدة سنوات. بالمناسبة أنا تاجرة تحف فنية. ربما تعرفين متجري، إنه بشارع كورنابي، تشيلسيا. باب المتجر مكتوب عليه كات كيلي. المتجر مليء بالتحف الجميلة - يا إلهي إنها جميلة حقًا - معظمها من الزجاج أو الفلين - وجميعها غاية في الجمال؛ فهناك أشكال مختلفة من النجف. وتحف من الزجاج النادر أيضًا. وقطع أثاث صغيرة الحجم - ما من قطع كبيرة - مجرد قطع صغيرة معظمها من خشب الجوز والبلوط. يا إلهي، إنها قطع جميلة - كان لديَّ عملاء غاية في الروعة. لكن مع اندلاع الحرب، ذهب كل هذا. ومن حسن حظي أنني خرجت من هناك بأقل خسائر ممكنة".

طرأ بذهن توبنس ذكرى غير واضحة المعالم؛ متجر مليء بالتحف المصنوعة من الزجاج تصعب على الفرد مغادرته، صوت قوي مقنع، سيدة جذابة ذات بنية جسمانية ضخمة. نعم، من المؤكد أنها زارت هذا المتجر.

واصلت السيدة أورورك حديثها قائلة:

"أنا لست من الشخصيات التي تهوى التذمر دومًا - لست مثل بعض الشخصيات الموجودة بهذا المكان. السيد كايلي على سبيل المثال، بوشاحه ونحيبه بسبب خسارته لعمله. بالطبع لابد أن يقدر عمله، نحن في فترة حرب - أما زوجته فهي خجولة للغاية وبلهاء، ثم هناك السيدة سبروت التي تشعر باضطراب دائم بشأن زوجها".

"هل هو على الجبهة؟".

"كلا، إنه مجرد كاتب بسيط بمكتب تأمينات، هذا كل ما في الأمر، وهو يشعر بالذعر من الغارات الجوية. لقد أحضر زوجته إلى هنا منذ بداية الحرب. أتعرفين، أعتقد أن هذا هو أفضل وضع خاصة بالنسبة للطفلة - يا لها من طفلة

صغيـرة ورقيقـة ـ لكن السيدة سبـروت تنهـار لأن زوجها لا يأتي إلى هنـا إلا كلما استطـاع ... فهـي دائمًـا ما تقـول إنه من المؤكـد أن آرثر يشتاق إليهـا كثيرًا، لكن إذا مـا سألتنـي عـن رأيـي أظن أنه لا يشتـاق إليها إلى هذا الحد ـ ربما أصبح على علاقة بغيرها".

تمتمت توبنس قائلة:

"أشعـر بحـزن شديد إزاء كل هـؤلاء الأمهات. إذا ما سمحـت لأبنائك بالذهاب لمـكان مـا بدونـك، فلـن تتوقفي أبـدًا عن القلـق. وإذا مـا ذهبت معهـم فسيصبح الموقف صعبًا على الزوج".

"أوه، نعم. كما أن دفع نفقات الإقامة بمكانين أمر مكلف للغاية".

قالت توبنس: "هذا المكان يبدو معقولًا إلى حد ما".

"نعـم، يمكننـي القـول إنـك ستحصليـن علـى خدمـة ممتـازة مقابـل نقودك؛ فالسيدة بيرينا مديرة ممتازة. هناك سيدة غريبة الأطوار تهتم بأمرك الآن".

سألت توبنس: "ماذا تقصدين؟".

قالت السيدة أورورك وهي تغمز بعينها:

"ستعتقديـن أننـي ثرثارة للغاية. هذا صحيح؛ فأنـا أهتم بكل أصدقائي، لهذا السبب أجلس هنا على هذا الكرسي أطول فترة ممكنة. فمن هنا تستطيعين رؤية مـن يدخـل ومن يخرج ومن يجلـس بالشرفة وما يحدث بالحديقـة. ما الذي كنا نتحـدث عنـه الآن ـ أوه نعـم، السيـدة بيرينـا، وغرابتها. حيـاة هذه المـرأة مليئة بالأحداث الدرامية، إن لم أكن مخطئة".

"هل تظنين ذلك حقًا؟".

"نعم. هذا فضلًا عن اللغز الذي تحيط به نفسها. لقد سألتها ذات مرة: "أين كنـت تعيشيـن بأيرلنـدا؟" أتعرفين، لقد حاولـت إخفاء الحقيقة عنـي معلنة أنها ليست من أيرلندا".

"هل تعتقدين أنها أيرلندية؟".

"بالطبـع، فأنا أعرف سيـدات بلدتي. يمكنني إخبارك باسم بلدتها، لكنها عادة ما تقول: "أنا إنجليزية وزوجي كان إسبانيا" ـ".

توقفـت السيـدة أورورك فجأة نظرا لحضور السيدة سبروت، تلاها على الفور تومي.

تظاهرت توبنس على الفور بالنشاط والحيوية قائلة:

"مساء الخير سيد ميدوز. تبدو نشيطًا جدًّا هذا المساء".

قال تومي:

"يكمن السر في ممارسة الكثير من التمارين الرياضية، بالإضافة إلى مباراة جولف هذا الصباح والسير فترة بعد الظهر".

قالت سبروت:

"لقـد اصطحبـت صغيرتي إلى الشاطئ بعد ظهر اليـوم. لقد أرادت التجديف لكننـي رأيـت أن الجو بارد للغايـة. كنت أساعدها على بناء قلعـة عندما هجم كلب على الثياب التي أغزلها. من الصعب جدًّا والمثير للضيق أيضًا أن تعيد حياكة كل هذه الغرز مرة ثانية. أنا لا أجيد أعمال الغزْل على الإطلاق".

قالـت السيـدة أورورك فجـأة محولـة انتباهها إلـى توبنس: "أنـت تبلين بلاء حسنًـا فـي غزل هذا القناع سيـدة بلنكينسوب. لقد تعلمت سريعًـا. أظن أن الآنسة مينتون قالت إنك لست خبيرة بأعمال الغزْل".

احمـر وجـه توبنس إلى حد ما. نظـرت إليها السيدة أورورك نظرة ثاقبة. ردت توبنس وهي تشعر باستياء شديد قائلة:

"لقـد أخبـرت الآنسة مينتون بأنني غزلت بعض الثياب من قبل، لكنني أعتقد أنها تحب تعليم الناس".

ضحـك الجميـع موافقيـن، وبعـد دقائق قليلـة أتى باقـي أفـراد الحفلة وحان موعد تناول العشاء.

فـي أثنـاء تنـاول الطعـام تحـول الحديـث ليـدور حـول موضـوع الجواسيـس المشـوق. أعيـد سرد قصص قديمـة معروفة عن بعض الجواسيـس؛ الراهبة ذات

العضـلات المفتولة، والكاهـن الذي يهبط من مظلته ويستخدم في أثناء هبوطه لغـة ليسـت كلغة رجال الديـن، الطاهيـة النمساوية التي خبأت جهـاز لاسلكي في مدخنة غرفتها، وكل الأحداث التي واجهها أقاربهم. وهذا بدوره أدى إلى الحديث عـن أنشطـة الطابـور الخامـس، وشجـب الفاشييـن البريطانييـن، والشيوعيين، وحـزب السـلام، ومدعـي الحق فـي رفض أداء الخدمـة العسكريـة. كانت محادثة عاديـة جـدًا مـن النـوع الذي يمكـن أن تسمعـه يوميًا، ولكـن توبنس ظلـت تراقب جيدًا وجوه وسلوكيات الموجودين في أثناء حديثهم، في محاولة منها لملاحظة أي تعبيـر أو كلمـة، لكنهـا لـم تتوصـل لأي شيء. شيـلا بيرينا وحدها لـم تشارك فـي المحادثـة، لكن ذلك قد يكـون بسبب تكتمها المعتاد. جلسـت هناك وبدا على وجهها المتمرد التجهم.

كان كارل فون دينيم بالخارج هذه الليلة؛ لذا تحدث الجميع بحرية شديدة.

لم تتحدث شيلا سوى مرة واحدة قرب الانتهاء من تناول الطعام.

قالت السيدة سبروت بصوتها الخافت:

"أعتقد أن أكبر خطأ ارتكبه الألمان في الحرب الماضية هو إطلاق الرصاص على الممرضة كافيل؛ فقد تسبب ذلك في تحول الجميع ضدهم".

عندئـذ قالت شيـلا بصوتها القوي: "لماذا لم يكن مـن المفترض أن يطلقوا عليها النار؟ لقد كانت جاسوسة، أليس كذلك؟".

"أوه، كلا ليست جاسوسة".

"لقد ساعدت بعض الشخصيات الإنجليزية على الهروب ـ من بلد العدو. هذا مثله مثل التجسس. لماذا إذن لم يكن من المفترض أن يطلقوا عليها النيران؟" .

"لكننا نتحدث عن إطلاق النار على سيدة ـ وممرضة".

نهضت شيلا ثم قالت:

"أعتقد أن الألمان كانوا على صواب".

ثم خرجت إلى الحديقة.

بعد فترة وضع طبق الحلوى على المائدة وكان مكونًا من الموز والبرتقال. نهض الجميع وانتقلوا إلى الردهة لتناول القهوة.

تومي هو الوحيد الذي توجه إلى الحديقة. وهناك وجد شيلا بيرينا تقف متكئة على حائط الشرفة وتحدق إلى البحر. ذهب ووقف بجوارها.

نظرًا لأنها كانت تتنفس بسرعة شديدة عرف أن هناك شيئًا ما قد أغضبها كثيرًا. قدم لها سيجارة فأخذتها.

قال لها: "يا لها من ليلة جميلة!".

ردت الفتاة بصوت خافت قائلة:

"ربما ...".

نظر إليها تومي بارتياب. شعر فجأة بمدى جاذبيتها وحيويتها، كانت تشع طاقة وحياة. فكر في قرارة نفسه وقال إنها فتاة من النوع الذي قد يُفْقِدُ الرجل عقله بسهولة.

قال: "أتقصدين أنها كانت ستكون كذلك لولا الحرب؟".

"لا أقصد ذلك على الإطلاق. أكره الحرب".

"جميعنا يكرهها".

"ليس بالطريقة التي أقصدها. أكره كل ما له علاقة بها - أكره الوطنية المفزعة".

اندهش تومي وقال: "الوطنية؟".

"نعم، أكره الوطنية، هل تفهم قصدي؟ كل هذه *البلدة، البلدة، البلدة!* دائمًا ما أسمع عن خيانة بلدك - الموت من أجل بلدك — خدمة بلدك. لماذا من المفترض أن تعني لي بلدي أي شيء من الأساس؟".

قال تومي ببساطة: "لا أعرف. لكنها تعني الكثير".

"ليس بالنسبة لي! ربما تكون كذلك بالنسبة لك - فأنت تسافر للخارج وتبيع وتشتري في الإمبراطورية البريطانية ثم تعود متباهيًا مرددًا الكثير من العبارات المعروفة، وتستغرق في طلب أفخر أنواع المأكولات وما إلى ذلك من تصرفات".

قال تومي بلطف:

"أتمنى ألا أكون بهذا السوء يا عزيزتي".

"أنا أبالغ قليلًا، لكنك تفهم قصدي؛ فأنت تؤمن بالإمبراطورية البريطانية وفكرة موت الفرد من أجل بلده - تلك الفكرة الحمقاء".

قال تومي بنبرة خالية من أية مشاعر: "يبدو أن بلدتي لا تهتم على وجه الخصوص بفكرة السماح لي بالموت من أجلها".

"نعم، لكنك تريد ذلك. وهذا غباء في حد ذاته! ما من شيء يستحق أن تموت من أجله. هذه مجرد فكرة - أي كلام، مجرد حديث أحمق لا غير. بلدي لا تعني لي أي شيء على الإطلاق".

قال تومي: "يومًا ما ستندهشين عندما تكتشفين عكس ذلك".

"كلا، مستحيل. لقد عانيت كثيرًا، لقد ــ".

قطعت حديثها، ثم مالت فجأة وباندفاع نحوه قائلة:

"هل تعرف من كان والدي؟".

أثير اهتمام تومي وقال: "كلا".

"اسمه كان باتريك ماجوير. كان مناضلًا في أثناء الحرب الأخيرة. لقد أطلق عليه الرصاص كخائن! كل هذا من أجل لاشيء! مجرد فكرة - لقد أخذ عهدًا على نفسه بمساعدة هؤلاء الأيرلنديين. لماذا لم يكتف بالجلوس بالمنزل والاهتمام بشئونه الخاصة؟ إنه شهيد بالنسبة لبعض الناس وخائن من وجهة نظر بعضهم الآخر. أما بالنسبة لي فهو مجرد - غبي!".

استطاع تومي سماع نبرة التمرد المكبوت بداخلها، ثم قال:

"إذن تلك هي العقدة التي نمت بداخلك طوال فترة بلوغك؟".

"عقدة، نعم أنت على صواب. والدتي غيرت اسمها وعشنا في إسبانيا عدة سنوات. وهي دائمًا ما تقول إن والدي كان نصف إسباني. دائمًا ما نسرد الأكاذيب بأي مكان نوجد به. لقد ذهبنا إلى كل مكان بالقارة وفي النهاية أتينا إلى هنا وأنشأنا هذا المكان، وأعتقد أن هذا هو أسوأ شيء قمنا به حتى الآن".

سأل تومي:

"ما هي مشاعر والدتك حيال كل هذا؟".

صمتت شيلا لدقيقة وظهر عليها التجهم والحيرة ثم قالت ببطء: "هل تقصد مسألة موت والدي؟ لا أعرف ... فهي لا تتحدث أبدًا في هذا الموضوع. كما أنه ليس من السهل أن تعرف مشاعر والدتي أو ما تفكر به".

أومأ تومي برأسه بتمعن.

قالت شيلا فجأة:

"لا أدري لماذا أخبرك بكل هذا. لقد تحمست كثيرًا. ما الذي دفعنا للبدء في هذا الحديث؟".

"مناقشة عن إديث كافيل".

"أوه، نعم الوطنية. قلت إنني أكرهها".

"ألا تعتقدين أنك نسيت كلمات الممرضة كافيل؟".

"أية كلمات؟".

"الكلمات التي صرحت بها قبل موتها. ألا تعرفين ما قالته؟".

كرر تومي هذه الكلمات:

"الوطنية ليست كافية ... يجب ألا أكنَّ بقلبي أية ضغينة".

وقفت مذهولة للحظة قائلة: "يا إلهي!".

ثم استدارت بسرعة واتجهت نحو الحديقة.

٢

"إذن أنت ترين يا توبنس أن كل شيء سيكون على ما يرام وأننا نسير بالطريق الصحيح".

أومـأت توبنسـ برأسهـا بتمعن. الشـاطـئ كان خاليًا تمامًا مـن حولهما. اتكأت توبنسـ علـى حاجـز الأمواج، وجلسـ تومي بجوارهـا بموضع يمكنه مـن رؤية أي شخص يقترب من المكان. وهذا لا يعني أنه كان يتوقع رؤية أحد، لقد تأكد تمامًا من مكان تواجد كل فرد هذا الصباح. وعلى أية حال فموعده مع توبنس بدا عاديًا للغاية؛ ممتعًا بالنسبة للسيدة ومزعجًا بالنسبة له.

قالت توبنس:

"هل تشك في السيدة بيرينا؟".

"نعم. إنها إم وليست إن؛ فهي تنطبق عليها كل المواصفات".

أومأت توبنس بتمعن مرة ثانية.

"نعـم إنهـا أيرلندية ـ كما عرفت من السيـدة أورورك ـ لكنهـا لا تعترف بتلك الحقيقـة. كما أنها سافرت لعـدة أماكن عبر القارة وغيرت اسمها إلى بيرينا وأتت إلـى هنـا وفتحت هذا الفندق، في محاولة رائعة منهـا للتمويه، كما أن زوجها قتل باعتبـاره خائنًا ـ فهي لديهـا كل الدوافع لإدارة تنظيم طابور خامس بهذه البلدة. نعم إنها تنطبق عليها كل الشروط. هل تعتقد أن الفتاة متورطة في ذلك أيضًا؟".

قال تومي في النهاية:

"بالطبع لا، وإلا ما كانت لتخبرني بكل هذا. أتعرفين! أحيانًا!! أحتقر نفسي".

أومأت توبنس مبدية فهمها التام.

"نعم، أحيانًا!! أشعر بذلك أيضًا. إنها مهمة سخيفة إلى حد ما".

"لكنها ضرورية للغاية".

"أوه، بالطبع".

قال تومي وهو محمر الوجه:

"لا أحب الكذب ولا أجيده مثلك ـ".

قاطعته توبنس قائلة:

"الكذب لا يمثل مشكلة بالنسبة لي على الإطلاق. لأكون صريحة أشعر بالكثير من السعادة عندما أكذب. وما يحبطني هو تلك اللحظات التي أنسى فيها أن أكذب ـ الأوقات التي أكون فيها على طبيعتي ـ وأحصل على نتائج لم أكن لأحصل عليها بأية طريقة أخرى"، توقفت ثم أكملت حديثها قائلة: "هذا ما حدث معك ليلة أمس ـ مع الفتاة. لقد استجابت لشخصيتك الحقيقية ـ لذلك تشعر بالاستياء".

"أعتقد أنك على صواب توبنس".

"أعرف؛ لأنني قمت بالأمر ذاته ـ مع الفتي الألماني".

قال تومي:

"ماذا تظنين بخصوصه؟".

قالت توبنس بسرعة:

"من وجهة نظري، أعتقد أنه ليس متورطًا في الأمر".

"جرانت يرى غير ذلك".

تغيرت الحالة المزاجية لتوبنس ثم قالت: "من يكون جرانت هذا؟"، ثم ابتسمت قائلة: "كم كنت أتمنى أن أرى وجهه عندما أخبرته عني".

"على أية حال، لقد غير رأيه. بالطبع أنت شريكتي في المهمة الآن".

أومأت توبنس لكن بدا عليها شيء من الذهول.

قالت:

"هل تتذكر فترة ما بعد الحرب الأخيرة ـ عندما كنا نبحث عن السيد براون؟ هل تتذكر مدى المتعة التي كان عليها الأمر ومدى حماسنا؟".

بدا تومي سعيدًا ووافقها الرأي قائلًا:

"بكل تأكيد".

"تومي ـ لماذا لم تعد الأمور هكذا الآن؟".

فكر في السؤال، وبدت عليه الجدية، ثم قال:

"أعتقد أن الموضوع له علاقة بالسن".

قالت توبنس بحدة:

"أنت لا تعتقد أننا طاعون جدًا في السن؟".

"كلا، بالطبع لسنا كذلك. كل ما هنالك أنه في هذه المرة لن يكون الأمر ممتعًا. لكن هناك أشياء أخرى ستظل كما كانت. إنها ثاني حرب نمر بها - ونحن نشعر بمشاعر مختلفة إلى حد ما حيالها".

"أعرف - نحن نرى الحسرة والضياع - والفزع. كل الأشياء التي كان من الصعب التفكير فيها من قبل نظرًا لصغرنا في السن".

"بالضبط. خلال الحرب الماضية كنت أشعر بالخوف من حين لآخر - وكنت أشعر بالتعب، وواجهت الخطر مرة أو اثنتين، لكنْ كانت هناك أوقات ممتعة أيضًا".

قالت توبنس:

"أعتقد أن ديريك يشعر بهذه المشاعر؟".

نصحها تومي قائلًا: "من الأفضل ألا نفكر فيه، إنها أمور قديمة".

بدا على توبنس الانزعاج ثم قالت: "أنت على صواب. لقد كلفنا بمهمة وسنؤديها. دعنا نتحدث عن مهمتنا. هل عثرنا على ما نبحث عنه في السيدة بيرينا؟".

"يمكننا على الأقل القول إنها موضع شك كبير. ما من أحد غيرها يثير الشك، إلا إذا كنت لاحظت شيئًا ما على أحد غيرها".

فكرت توبنس ثم قالت:

"كلا، لم أشك بغيرها. بالطبع أول شيء قمت به عندما وصلت إلى هنا هو مراقبتهم جميعًا وتقييمهم، باعتبارهم موضع شك. وبعضهم بدا بعيدًا تمامًا عن دائرة الشك".

"مثل من؟".

"حسنًا، الآنسة مينتون على سبيل المثال، تلك العانس البريطانية، والسيدة

سبروت وطفلتها بيتي، والسيدة كايلي التافهة".

"نعم، ولكن ربما كن يتظاهرن بما هو عكس حقيقتهن".

"أوه، ربما، ولكن تمثيل دور العانس صعبة الإرضاء والأم الشابة ليس بالأمر السهل، وهؤلاء السيدات يبدون على طبيعتهن. ثم فيما يتعلق بالسيدة سبروت هناك الطفلة".

قال تومي: "أعتقد أن العميل السري قد يكون لديه طفل".

قالت توبنس: "نعم لكن لم تكن لتصطحبها معها في أثناء المهمة؛ فهذه ليست مهمة من النوع الذي من الممكن أن تقحم طفلك فيها. أنا متأكد من ذلك يا تومي. أعرف ما أقول. أي شخص مكانها سيحرص على عدم وجود طفله بموقف كهذا".

قال تومي: "إذن أعلن انسحابي، سأترك لك السيدة سبروت والآنسة مينتون، لكنني لست متأكدًا من أمر السيدة كايلي".

"لديك حق فهي بالفعل موضع شك لأنها تبالغ في تصرفاتها. أقصد أنه مستحيل أن يكون هناك سيدات يتصفن بهذا القدر الكبير من الحماقة الذي تبدو عليه".

تمتم تومي قائلاً: "لاحظت كثيرًا أن إخلاص الزوجة المبالغ فيه يفقدها عقلها".

سألته توبنس: "وأين لاحظت ذلك؟".

"بالطبع لم ألاحظه عليك؛ فإخلاصك لم يصل إلى هذا الحد قط".

قالت توبنس بلطف: "وأنت أيضًا لست كباقي الرجال؛ عندما تمرض لا تبالغ في التذمر والشكوى".

عاد تومي لاستعراض الشخصيات المشكوك بأمرها.

قال بتمعن: "كايلي، ربما يكون هناك أمر مريب حيالها".

"نعم، ربما. ثم هناك السيدة أورورك".

"ما شعورك حيالها؟".

"لا أدري، إنها مزعجة، وربما نقول إنها ذات بنية جسمانية مخيفة".

"نعم، أعتقد ذلك، لكنني أرى أيضًا أنها قوية الملاحظة؛ فهي تنتمي لهذه النوعية من السيدات".

قالت توبنس ببطء:

"إنها تلاحظ كل التفاصيل".

لقد تذكرت الملاحظة المتعلقة بالحياكة.

قال تومي: "ثم هناك بليتشلي".

"نادرًا ما أتحدث إليه. بالطبع هو صديقك المقرب".

"أعتقد أنه شخصية عادية. هذا رأيي".

قالت توبنس بتوتر: "هذه هي المشكلة، أسوأ ما في هذه المهمة أنك تنظر إلى أشخاص عاديين وتحاول أن تشكلهم بطريقة تتناسب مع مواصفات الشخص الذي تبحث عنه".

قال تومي: "لقد أجريت عدة تجارب على بليتشلي".

"ماذا تقصد؟ هناك بعض الأفكار تدور بذهني".

"حسنًا، مجرد أشراك عادية بسيطة، بخصوص المواعيد والأماكن، مثل هذه الأمور".

"هل يمكن أن توضح لي الأمر بشكل أكبر؟".

"حسنًا؛ لنفترض أننا نتحدث عن صيد البط؛ فإنه يذكر الفيوم بمصر - إنها رياضة ممتازة هناك في عام كذا أو شهر كذا. أحيانًا أخرى أذكر مصر في موقف مختلف. المومياوات، توت عنخ آمون، شيء كهذا – وأسأله ما إذا كان رأى هذه الأشياء؟ ومتى كان هناك؟ وأفحص الإجابات، ثم أتحدث عن القوارب - وعن أنواع معينة تعتبر مريحة، فيذكر هو رحلة أو أخرى، فيما بعد أتحرى عن ذلك فلا أجد شيئًا مهمًا، أو أي شيء يثير شكوكي نحوه - كل ما أقوم به هو مجرد التأكد من مدى صحة كلامه".

"وحتى الآن لم يخطئ قط؟".

"لـم يخطـئ ولـو مـرة واحـدة. ودعيني أخبـرك توبنس بـأن هذا اختبـار جيد تمامًا".

"نعـم، لكننـي أعتقـد أنـه إذا كان "إن" فمن المؤكـد أن لديـه سيناريو محكمًا للغاية".

"هـذا بالنسبة للخطوط العريضـة، لكنه ليس من السهل أبدًا ألا يخطئ عند سرد التفاصيل البسيطة؛ فنادرًا ما يقدر الفرد على تذكر الكثير من المعلومات. حتى الشخص العادي لا يتذكر عادة على الفور ما إذا كان قام برحلة صيد في عام ١٩٢٦ أم ١٩٢٧ . يجب عليه أن يفكر قليلًا ويبحث في ذاكرته".

"إذن لم يخطئ بليتشلي حتى الآن؟".

"إنه يتعامل حتى الآن بشكل طبيعي للغاية".

"إذن النتيجة سلبية".

"بالضبط".

قالت توبنس: "الآن، سأخبرك ببعض أفكاري".

وبدأت في سرد أفكارها.

٣

فـي طريقها للمنزل، توقفت السيـدة بلنكينسوب عند مكتب البريد وقامت بشراء طوابع بريد وفي طريقها للخروج ذهبت إلى كابينة هاتف عمومي وهناك اتصلت برقم معين وسألت عن السيد فارادي. كانت هذه هي الطريقة المقبولة للتواصل مـع السيـد جرانت. خرجت وهـي تبتسم وسارت بهدوء في اتجـاه العودة، وتوقفت في طريقها لشراء صوف الغزل.

لقـد كان مسـاء جميـلًا ذا نسيـم عليل. قللت توبنـس من سرعتها فـي المشي ومـدى نشاطهـا وسارت بسرعة معتدلـة تتناسب مع تصورها للـدور الذي تؤديه.

السيدة بلنكينسوب لا تفعل أي شيء بحياتها سوى الغزْل (وليست بارعة فيه) وكتابة الخطابات لأبنائها؛ فهي دائمًا منشغلة بكتابة تلك الخطابات - وأحيانًا لم تكن تكملها.

سارت توبنس ببطء نحو التل باتجاه سان سوسي. نظرًا لأنه لم يكن طريقًا ممهدًا (انتهى عند استراحة سماجلرز، منزل القائد هايدوك) فلم يكن به الكثير من حركة السير - القليل من شاحنات التجار في الصباح. مرت توبنس بمنزل بعد الآخر، وأخذت تسلي نفسها بترديد أسماء أصحاب هذه المنازل؛ بيلا فيستا (لم يكن هذا الاسم مناسبًا لموقع المنزل؛ نظرًا لأنه لم يكن مطلًّا على البحر) ثم منزل كاراشي، ثم شيرلي تاور، ثم سي فيو (هذا الاسم مناسب)، كاسيل كلير (وهو منزل صغير فخم)، تريلاوني، وهو مكان ينافس فندق السيدة بيرينا، وفي النهاية وصلت إلى سان سوسي.

عندما اقتربت منه رأت توبنس سيدة تقف بالقرب من البوابة وتمعن النظر بالمكان من الداخل. كان هناك شيء ما مثير للارتياب بخصوص هذه السيدة.

بدون وعي، هدأت توبنس من صوت خطواتها، وظلت تسير على أطراف أصابعها.

ولم تشعر بها هذه السيدة إلا عندما أصبحت تقف خلفها، عندئذ استدارت.

كانت سيدة طويلة القامة، رثة الثياب، لكن وجهها لم يكن عاديًا. لم تكن شابة - ربما أقل من الأربعين - بيد أنه كان هناك تناقض بين وجهها وملابسها. كانت شقراء، وعظام وجنتيها كانت عريضة، ورغم كل ذلك كانت ما زالت تتمتع بقدر من الجمال. لدقيقة شعرت توبنس بأن وجه هذه المرأة مألوف بالنسبة لها، لكن هذا الشعور تلاشى؛ حيث قالت لنفسها، ليس هذا بالوجه الذي يمكن نسيانه بسهولة.

بالطبع شعرت السيدة بالذعر، وبكل تأكيد لاحظت توبنس لمحة الدهشة التي بدت على وجهها.

قالت توبنس:

"عذرًا، هل تبحثين عن أحد؟".

تحدثت السيدة بصوت أجنبي هادئ، وأخذت تلفظ الكلمات بحذر كما لو كانت حفظتها عن ظهر قلب.

"هل هذا هو فندق سان سوسي".

"نعم، وأنا أعيش هنا. هل تريدين شخصًا ما؟".

سادت لحظة صمت، ثم قالت السيدة:

"مـن فضلك هـل يمكنك إخباري مـا إذا كان السيد روزنستيـن موجودًا هنا أم لا؟".

هـزت توبنس رأسها وقالت: "السيد روزنستيـن، كلا أعتقد أنه ليس هنا، ربما كان هنا ورحل، أتريدين أن أستعلم عنه؟".

لكن السيدة الغريبة أومأت برأسها في إشارة منها للرفض، ثم قالت:

"كلا - كلا. أنا أرتكب خطأ ما. من فضلك لا تستعلمي".

ثم استدارت سريعًا وسارت متجهة نحو أسفل التل.

وقفـت توبنس وأخـذت تحدق إليها ولسبب مـا انتابها الشـك؛ وذلك لأنه كان هناك تناقض بين سلوك السيدة وكلماتها. وظنت توبنس أن السيد روزنستين ما هو إلا شخصية وهمية؛ فالسيدة نطقت بأول اسم طرأ بذهنها.

تـرددت توبنس لدقيقة، ثم بدأت تتعقب هذه السيدة بنظرها. وحدسها جعلها ترغب في اللحاق بها.

لكنهـا امتنعـت عـن القيـام بذلك فـي الوقـت الحالـي، فتعقبها لهـذه السيدة سيعنـي لفـت الانتباه لها بشـكل ملحوظ؛ فهي كانت على وشـك الدخول إلى سان سوسـي عندمـا تحدثت إلى هـذه السيـدة؛ وظهورها مرة ثانية علـى الطريق من الممكن أن يثير الشك بأن السيدة بلنكينسوب تخفي شيئًا ما - هذا في حالة ما إذا كانت هذه السيدة الغريبة واحدة من الأعداء.

كلا، مهمـا كلـف الأمر فإنه يجـب أن تظل السيدة بلنكينسـوب ملتزمة بالدور الذي تؤديه.

عادت توبنس وواصلت سيرها نحو الفندق ودخلت وتوقفت في الردهة. بدا المكان مهجورًا، كما جرت العادة في فترة الظهيرة. كانت بيتي تحظى بقيلولة، والنزلاء الأكبر سنًا منهم من كان يحظى بقسط من الراحة ومنهم من كان بالخارج.

بعد ذلك، وفي أثناء وقوف توبنس في الردهة المظلمة وتفكيرها في الموقف الذي مرت به للتو، سمعت صوتًا خافتًا. إنه صوت تعرفه تمامًا ـ صدى صوت رنين.

كان الهاتف موجودًا بالردهة. والصوت الذي سمعته للتو هو صوت يصدر عند رفع السماعة أو وضعها. كانت هناك وصلة واحدة في المنزل ـ في غرفة نوم السيدة بيرينا.

في موقف كهذا كان من الممكن أن يشعر تومي بنوع من التردد، لكن توبنس لم تتردد للحظة. بهدوء وحذر رفعت سماعة الهاتف ووضعتها على أذنها.

شخص ما كان يستخدم الوصلة. سمعت صوت رجل يقول:

" الأمور كلها تسير على ما يرام. في الرابع كما اتفقنا".

صوت سيدة تقول: "نعم، نفذ".

سمعت صوت طقطقة في أثناء وضع سماعة الهاتف.

وقفت توبنس وبدا عليها التجهم. هل هذا صوت السيدة بيرينا؟ من الصعب أن تحدد من خلال هاتين الكلمتين. ليت المحادثة طالت قليلاً. بالطبع ربما تكون مجرد محادثة عادية ـ من المؤكد أن هذه الكلمات لم تشر لأي شيء مريب.

وفجأة ظهر ظل ما وحجب الضوء القادم من الباب، قفزت توبنس ووضعت السماعة عندما دخلت السيدة بيرينا وبدأت تتحدث:

"الجو جميل جدًا. هل أنت في طريقك للخارج سيدة بلنكينسوب أم أنك عدت للتو؟".

إذن لم تكن السيدة بيرينا في غرفتها ولم تكن هي المتحدث. تمتمت توبنس مخبرة إياها بأنها استمتعت بالسير ثم تحركت نحو السلم.

سارت السيدة بيرينا بالردهة. بدت أضخم من المعتاد. كانت توبنس على دراية بأنها سيدة رياضية قوية.

قالت:

"يجب أن أتحرى الأمر"، وبدأت تصعد السلم مسرعة، وفي أثناء عودتها اصطدمت بالسيدة أورورك، التي أغلقت أعلى السلم بجسمها الضخم.

"عزيزتي، عزيزتي، تبدين على عجلة من أمرك سيدة بلنكينسوب".

لم تتحرك جانبًا، فقط وقفت مكانها وأخذت تبتسم لتوبنس الواقفة أمامها. وكان هناك شيء ما مخيف في ابتسامتها، كالمعتاد.

وفجأة وبدون سبب شعرت توبنس بالخوف.

تلك السيدة الأيرلندية الضخمة، بصوتها القوي، تعوق طريقها، وبالأسفل تقف السيدة بيرينا.

نظرت توبنس لكتفيها. هل كانت تتخيل أن هناك شيئًا ما مريبًا بخصوص السيدة بيرينا؟ ثم قالت لنفسها إن هذا نوع من الغباء. لكن المكان كان هادئًا للغاية. ما من صوت يسمع. وها هي ذي نفسها تقف هنا على السلالم بين كل منهما. بالطبع كان هناك شيء مريب في ابتسامة السيدة أورورك ـ فهي تبدو شرسة للغاية، فكرت توبنس قائلة إن ابتسامتها: "تشبه ابتسامة القط للفأر".

وفجأة تلاشى هذا التوتر؛ حيث ظهرت الصغيرة بيتي سبروت، كانت ترتدي بلوزة وسروالًا قصيرًا اندفعت وتخطت السيدة أورورك وظلت تصيح بسعادة: "بي بو"، بينما كانت تلقي بنفسها على توبنس.

تغير المناخ العام. أخذت السيدة أورورك، ذات الجسم الضخم، تصيح قائلة:

"أوه عزيزتي، ستصبحين فتاة رائعة".

بالأسفل، استدارت السيدة بيرينا نحو الباب المؤدي للمطبخ. مرت توبنس - ممسكة بيد بيتي - بالسيدة أورورك واتجهت نحو غرفة السيدة سبروت حيث تنتظر لتوبيخ صغيرتها.

دخلت توبنس ومعها الطفلة.

شعرت بارتياح غريب في ظل هذا المناخ المنزلي ـ ملابس الطفلة المتناثرة، الدمى المصنوعة من الصوف، سرير الطفلة الملون، صورة السيد سبروت الموجودة على المزينة، وبالنسبة للسيدة سبروت فكانت تتذمر بسبب أسعار غسل وكي الثياب وتقول إن السيدة بيرينا ظالمة في رفضها عقاب الضيوف الذين لديهم مكواة كهربائية خاصة بهم ـ

كل ما في المكان يبدو عاديًا ومطمئنًا وروتينيًا.

ولكن ما الذي حدث منذ قليل على السلم.

قالت توبنس في قرارة نفسها: "ما شعرت به من توتر وعصبية".

لكن هل كان هناك داع للعصبية؟ شخص ما كان يتصل من حجرة السيدة بيرينا. ترى هل السيدة أورورك هي هذا الشخص؟ بالطبع من الغريب جدًا أن تقوم بذلك، لكن هذا التصرف يضمن لك ألا يسترق أحد السمع.

فكرت توبنس وقالت لنفسها إن هذه المحادثة كانت قصيرة للغاية وكلماتها كانت مختصرة جدًا.

"الأمور كلها تسير على ما يرام. في الرابع كما اتفقنا" .

إما أن هذا الكلام لا يعني شيئًا، أو أنه يشير لحدث جلل.

هل كلمة الرابع Fourth هنا تشير إلى تاريخ، أي الرابع من شهر كذا على سبيل المثال؟

أم أنها تعني المقعد الرابع، أم عمود الإنارة الرابع، أم حاجز الأمواج الرابع ـ من المستحيل أن أعرف.

من الممكن أن تعني جسر فورث بريدج؛ فقد كانت هناك محاولة لتفجيره في الحرب الماضية.

هل يقصد بهذا الكلام أي شيء على الإطلاق؟

ربما يكون المقصود به مجرد موافقة عادية على موعد بعينه. وربما تكون السيدة بيرينا قد أخبرت السيدة أورورك بأنه بمقدورها استخدام الهاتف الموجود بغرفتها متى شاءت.

وبالنسبة للمناخ العام الذي ساد على السلالم، لحظة التوتر هذه، ربما يكون نتيجة لعصبيتها ...

المكان الهادئ - الشعور بأن هناك شيئًا ما يدعو للشك - عملًا شريرًا ...

قالت توبنس بصرامة: "عليك الالتزام بالحقائق سيدة بلنكينسوب. والتعامل جيدًا مع مهمتك".

الخامس

اتضح أن القائد هايدوك مضيف كريم للغاية؛ حيث رحب بالسيد ميدوز والنقيب بليتشلي بحفاوة، وأصر على أن يرى السيد ميدوز "المكان بأكمله".

استراحة سماجلرز كانت في الأصل عبارة عن كوخين لخفر السواحل يقعان على الجرف المطل على البحر. كان هناك كهف صغير بالأسفل، لكن الوصول إليه كان محفوفًا بالمخاطر؛ لذا لم يحاول القيام بذلك سوى المغامرين.

فيما بعد اشترى رجل أعمال من لندن هذين الكوخين ودمجهما في شكل كوخ واحد وحاول عمل حديقة لكن لم يول ذلك اهتمامًا كبيرًا. وأحيانًا كان يأتي إلى هنا فترات قصيرة في الصيف.

بعد ذلك، ظل الكوخان خاليين عدة سنوات؛ حيث كان يتم تأجيرهما بقطع أثاث بسيطة لزوار فصل الصيف.

قال هايدوك: "ومنذ عدة سنوات تم بيعه إلى رجل يدعى هان، كان ألماني الجنسية، وإذا ما سألتني عن رأيي أظن أنه كان جاسوسًا".

انتبه تومي جيدًا لما يقال.

قال وهو يضع كوب العصير: "هذا موضوع مثير للغاية".

قال هايدوك: "اللعنة! يا لهم من متمكنين هؤلاء الألمان! لقد كانوا يستعدون للحرب منذ ذلك الحين - على الأقل هذا رأيي. انظر إلى موقع هذا المكان؛ فهو مناسب تمامًا لإرسال الإشارات، فضلاً عن الكهف الموجود بالأسفل؛ حيث يمكنك وضع زورق بحري. إنه مكان منعزل تمامًا بفضل محيط الجُرف. بعد كل هذا لا تخبرني بأن هذا الشخص المدعو هان لم يكن عميلاً ألمانيًا".

قال النقيب بليتشلي:

"بالطبع كان عميلا".

سأل تومي: "ماذا حدث له؟".

قال هايدوك: "أوه، إنها قصة طويلة. لقد أنفق هان الكثير من المال على هذا المكان. لقد رصف طريقًا طويلاً ممتدًا إلى الشاطئ لمجرد السير بخطوات ثابتة – وهذا الأمر مكلف للغاية، ثم قام بتجديد المنزل بأكمله، حتى دورات المياه، واشترى أدوات منزلية باهظة الثمن للغاية. ومن في اعتقادك قام بكل هذا؟ بالطبع لم يلجأ للعمال المحليين. قيل إنه استعان بشركة من لندن - لكن الكثير من العمال كانوا أجانب. بعضهم *لم ينطق بكلمة إنجليزية*. ألا تتفق معي أن هذا يبدو غريبًا للغاية؟".

وافقه تومي الرأي قائلاً: "بالطبع غريب جدًا".

"في هذا الوقت كنت موجودًا بالجوار، مقيمًا ببيت صغير، وشعرت باهتمام شديد تجاه ما يقوم به هذا الشخص. اعتدت أن أتجول بالمنطقة لمشاهدة العمال. دعني أخبرك بأنهم كانوا يشعرون بالضيق - لم يكن العمل يروقهم على الإطلاق. إذا كانت الأمور كلها على ما يرام فما الذي سيجعلهم يشعرون بذلك؟"..

أومأ بليتشلي برأسه موافقًا ثم قال:

"كان من المفترض أن تبلغ السلطات بهذا".

"هذا ما فعلته بالضبط يا صديقي العزيز. عندما زاد شعوري بالقلق أخبرت الشرطة".

سكب لنفسه كوبًا آخر من العصير، ثم قال:

"وما الذي حصلت عليه مقابل اهتمامي هذا؟ مجرد عدم الاهتمام. لقد كنا صمًا وبكمًا في هذه البلدة. لم يكن أحد يتوقع نشوب حرب أخرى مع ألمانيا - أوربا كانت تنعم بالسلام - فعلاقتنا معها كانت ممتازة؛ لذا اعتبروني عجوزًا أبله، مجنون حرب، بحارًا متطرفًا. ما فائدة إخبار الناس بأن الألمان لا يتجولون فقط بالمنطقة بل كانوا يؤسسون أفضل قوات جوية بأوربا؟".

قال النقيب بليتشلي بانفعال:

"لم يصدقك أحد! اللعنة على هؤلاء الحمقى! يتحدثون عن السلام والتهدئة وكل هذا الهراء".

قال هايدوك، ووجهه أكثر حمرة من المعتاد بسبب ما بداخله من غضب مكبوت: "لقد أطلقوا عليَّ مسمى الداعي للحرب، هذا الشخص الذي، كما قالوا، يمثل عقبة في طريق السلام. كنت على دراية بما يفعله صديقي الألماني، ولن تصدق، لقد كانوا يعدون العدة منذ وقت طويل. كنت مقتنعًا تمامًا بأن السيد هان يمثل خطرًا كبيرًا، ولم أشعر بارتياح قط تجاه عماله. كما شعرت بقلق إزاء أسلوبه في إنفاق الكثير من المال على هذا المكان. استمررت في مراقبتي إياهم".

قال بليتشلي بكل تقدير: "يالك من شخص جريء!".

قال هايدوك: "وفي النهاية، بدأت أحدث تأثيرًا. أتى إلى هنا ضابط شرطة جديد - جندي متقاعد. وكان على استعداد للاستماع إليَّ. بدأ رجاله يتحرون عن الأمر. وبالتالي رحل هان، في ليلة ما تسلل من المكان واختفى. بعد ذلك اقتحم رجال الشرطة المكان ومعهم إذن تفتيش، وبداخل خزانة كانت موجودة بغرفة الطعام عثروا على جهاز إرسال لا سلكي وبعض الوثائق الخطيرة. كما اكتشفوا أيضًا مخزنًا كبيرًا للبترول أسفل المرآب - خزانات ضخمة. شعرت حينها بسعادة غامرة. رفاقي بالنادي اعتادوا مضايقتي واتهامي بأن لديَّ عقدة ضد الجواسيس الألمان. وجميعهم شعروا بالخزي بعد ما حدث. مشكلتنا في هذا البلد أننا لا نميل إلى الشك على الإطلاق".

قال النقيب بليتشلي: "إنها جريمة. ونحن حمقى - مجرد حمقى. لماذا لا نحبس كل هؤلاء اللاجئين؟".

استمر القائد هايدوك في حديثه قائلًا: "وفي النهاية قمت بشراء هذا المكان عندما عرض للبيع. هل تود أن تلقي نظرة عليه يا سيد ميدوز؟".

"شكرًا، بالطبع أود ذلك".

كان القائد هايدوك يشعر بفخر كبير لامتلاكه هذا المكان. قام بفتح الخزينة الموجودة بغرفة تناول الطعام ليريه المكان الذي عثروا به على جهاز الإرسال. ثم اصطحب تومي إلى المرآب ليريه المكان الذي كانت تُخَبأ به خزانات البترول، وفي النهاية، بعد إلقاء نظرة على دورتي المياه الفخمتين، والإضاءة الرائعة، وأدوات المطبخ المتعددة، اصطحبه عبر الطريق الممهد إلى الكهف الصغير الموجود بالأسفل، وفي هذه الأثناء أخبره القائد هايدوك مرة ثانية بمدى روعة التصميم بأكمله وملاءمته لعدو في وقت الحرب.

اصطحبه للكهف الذي سمي المكان باسمه، وأشار هايدوك بحماس إلى كيفية الاستفادة منه.

لم يرافقهما النقيب بليتشلي في جولتهما، بل ظل بالشرفة يتناول مشروبه. استنتج تومي أن قصة القائد مع هذا الجاسوس هي واحدة من أكثر المواضيع التي يتحدث عنها، وأن أصدقاءه قد سمعوا هذه القصة عدة مرات.

في الحقيقة، تحدث النقيب بليتشلي كثيرًا في أثناء عودتهما إلى سان سوسي لاحقًا حيث قال:

"شخص لطيف هايدوك، لكنه لا يكف عن سرد القصص. لقد سمعنا هذه القصة مرارًا وتكرارًا حتى سئمنا منها. إنه شديد الفخر بهذا المكان مثله مثل المحارب الذي يتباهى بانتصاراته".

ثم ابتسم ابتسامة عريضة، ووافقه تومي الرأي مبتسمًا هو الآخر.

بعد ذلك تحولت المناقشة لتدور حول اكتشاف النقيب بليتشلي أمر أحد الخونة في عام ١٩٢٣، اهتمام تومي بأكمله كان منصبًا على ما يدور بذهنه من أفكار لكنه من حين لآخر كان يرد على بليتشلي بعبارات على شاكلة: "حقًا؟"، "لا تقل ذلك"، و "يا له من عمل غير عادي!"، وكان هذا هو كل ما يحتاج إليه بليتشلي.

الآن تيقن تومي، أكثر من أي وقت مضى، أن فارقوهار عندما ذكر سان سوسي في أثناء موته كان على الطريق الصحيح. هنا، بهذا المكان من بين كل الأماكن الموجودة بالعالم، تمت بعض الاستعدادات منذ وقت طويل مضى. وصول الألماني هان وإقامته بهذا المكان هما أكبر دليل على أن هذا الجزء من الساحل قد تم اختياره كنقطة تجمع؛ مركز لنشاط الأعداء.

وهذه المحاولة قد أُحبطت بسبب العمل غير المتوقع الذي قام به القائد هايدوك. الجولة الأولى من المباراة انتهت لصالح بريطانيا. لكن ربما تكون استراحة سماجلرز هذه مجرد أول نقطة تمركز بخطة هجوم كبيرة ومعقدة. بمعنى أنها كانت تمثل عملية التواصل عبر البحر؛ فشاطئها يصعب الوصول إليه ويسهل التحرك عليه بأمان، لكنها كانت مجرد جزء من الخطة.

بما أن هذا الجزء من الخطة قد فشل بسبب هايدوك، ترى ما رد فعل العدو؟ ربما يكونون انتقلوا إلى البديل الأفضل - أي سان سوسي. لقد انكشف أمر هان منذ حوالي ٤ سنوات. طرأ بذهن تومي فكرة عندما استرجع الكلام الذي قالته له شيلا بيرينا؛ لقد عادت السيدة بيرينا إلى إنجلترا واشترت سان سوسي بعد الذي حدث لـ "هان" بفترة قصيرة جدًّا. ترى هل هذه هي الجولة الثانية باللعبة؟

من ثم يبدو أن ليهامبتون كانت بكل تأكيد مركزًا للعدو - وكانت هناك مقرات وعلاقات بالمنطقة.

ارتفعت روحه المعنوية واختفى الإحباط الذي نشأ بسبب الجو العام السائد في سان سوسي؛ فالسذاجة التي يبديها معظم المتواجدين ليست سوى مجرد قناع، وخلف قناع البراءة هذا يكمن شيء خطير.

ووفقًا لوجهة نظر تومي، أهم شخص يجب التركيز عليه هو السيدة بيرينا. وأول شيء يجب عليه القيام به هو معرفة المزيد عنها، إجراء تحريات لمعرفة ما هو كامن وراء الأعمال الروتينية التي تقوم بها والمتمثلة في إدارة فندقها. لابد أن نشاطها الفعلي سيظهر إما من خلال مراسلاتها أو معارفها أو أنشطتها الاجتماعية والمتعلقة بالحرب. لو أن السيدة بيرينا كانت هي العميلة المشهورة. إم، فهذا يعني أنها هي التي تتحكم بكل أنشطة الطابور الخامس هنا بهذه البلدة.

وهويتها ربما تكون معروفة لقلة - ذوي النفوذ فقط. لكن من المؤكد أنها تجري اتصالات مع قادتها، ومهمته هو وتوبنس تتمثل في مراقبة تلك الاتصالات.

من وجهة نظر تومي، لقد تمت السيطرة على سماجلرز رست في اللحظة المناسبة - بفضل بعض الشخصيات المقدامة بالقرب من سان سوسي. ربما لم تَحِنْ هذه اللحظة بعد، لكن ربما تكون قريبة جدًا.

بمجرد أن أصبح الجيش الألماني متحكمًا في موانى القناة بفرنسا وبلجيكا، أصبح بإمكانه التركيز على اجتياح بريطانيا وإخضاعها، وبكل تأكيد كانت الأمور تسير على نحو سيئ جدًا بفرنسا في هذه اللحظة.

البحرية البريطانية كانت متحكمة تمامًا في البحر؛ لذا يجب أن يتم الهجوم عن طريق الجو والخيانة الداخلية - ولو أن خيوط الخيانة الداخلية توجد بيد السيدة بيرينا، فهذا يعني أنه لم يعد لدينا أي وقت لنضيعه.

في هذه اللحظة نطق النقيب بليتشلي بكلمات مماثلة لأفكاره:

"رأيت أنه لم يعد هناك وقت لأضيعه. أمسكت بـ أبدول، خادمي - لقد كان خادمًا مخلصًا -".

وواصل سرد قصته.

ظل تومي يفكر قائلًا:

"لماذا ليهامبتون؟ هل من سبب معين؟ هذا مخالف للاتجاه السائد - التركيز على الغابات الخلفية. هل لأنه مكان محافظ، وعتيق؟ ربما تكون هذه النقاط هي السبب. هل هناك أي شيء آخر؟".

كانت هناك مساحة مزروعة بالخلف، الكثير من المراعي الملائمة لهبوط الطائرات التي تحمل القوات أو القوات التي تهبط باستخدام المظلات. لكن هذا ينطبق على عدة أماكن أخرى. وهناك أيضًا معامل كيميائية؛ حيث يعمل كارل فون دينيم.

كارل فون دينيم، كيف أتى إلى هنا؟ إنه ليس رئيس المنظمة كما أشار جرانت. بل مجرد ترس بالعجلة؛ لذا فهو محل شك وعرضة للحبس بأي وقت، لكن ربما

كان نفذ مهمته في الوقت الحالي. لقد أخبر توبنس بأنه يعمل على حل مشكلات التلوث وتحصين غازات معينة. هناك احتمالات عديدة - احتمالات يجب التفكير فيها.

قرر تومي أن كارل متورط بالأمر (على مضض) مما أدى لشعوره بالأسف، لكنه رغم أسفه كان معجبًا بالفتى؛ حيث رأى أنه يعمل من أجل بلده - حاملًا روحه على كفيه. شعر تومي باحترام هذا العدو - تبًا له - بالطبع ستكون نهايته (فون دينيم) الإعدام، لكنه كان على دراية بذلك عندما قبل هذه المهمة.

لكنه شعر برغبة حقيقية في الانتقام ممن خانوا بلدتهم - من الداخل؛ فهو يتوق إلى النيل منهم.

أنهى النقيب قصته بفخر قائلًا: "ـ وهكذا نلت منهم! يا له من عمل غاية في الذكاء، أليس كذلك!".

قال تومي بجرأة:

"هذا أروع شيء سمعته في حياتي أيها النقيب".

٢

كانت السيدة بلنكينسوب مشغولة بقراءة خطاب مكتوب على ورقة صغيرة ومختوم من الخارج.

كانت هذه هي النتيجة المباشرة لمحادثتها مع "السيد فارادي".

تمتمت قائلة: "عزيزي ريموند. لقد كنت مطمئنة عليه بمصر، والآن، يبدو أن هناك تغييرًا كبيرًا حدث. وبالطبع كلها أمور سرية *للغاية*، ولا يمكنه *التصريح* بأي شيء - مجرد أن هناك خطة رائعة وأنني يجب عليَّ الاستعداد *لمفاجأة كبرى* في القريب العاجل. سأكون سعيدة إذا ما عرفت إلى أين تم إرساله، لكنني لا أعرف حقًا لماذا ـــ".

قال بليتشلي:

"بالطبع ليس مسموحًا له بأن يخبرك بذلك؟".

ضحكت توبنس مستنكرة ونظرت إلى مائدة الإفطار في أثناء طيها الخطاب الغالي.

قالت بمكر: "أوه، لدينا أساليبنا. ابني العزيز يعرف أنه إذا ما علمت فقط أين هو أو أين سيذهب يقل شعوري بالقلق. إننا نتبع طريقة بسيطة للغاية؛ هناك كلمة معينة، والحروف الأولى لكل ما يأتي بعدها من كلمات عندما تتجمع تصبح اسم المكان. أحيانًا يتسبب ذلك في كتابة جمل مضحكة للغاية ـ لكن ريموند بارع جدًا. أنا متأكدة من أنه *ما من أحد* سيلاحظ ذلك".

أخذ الجميع يتمتمون. لقد اختارت اللحظة المناسبة؛ الجميع حاضرون على مائدة الإفطار لأول مرة.

قال بليتشلي وهو محمر الوجه:

"عذرًا سيدة بلنكينسوب، لكن هذا عمل غاية في الحماقة؛ فتحركات الجنود والقوات الجوية هي أهم ما يود الألمان معرفته".

صاحت توبنس: "أوه، لكنني لا أخبر أحدًا مطلقًا، وأتوخى الحذر تمامًا".

"أيًا كان فهذا تصرف غير حكيم بالمرة ـ وابنك سيواجه الكثير من المشكلات يومًا ما بسبب تصرفه هذا".

"كلا، آمل ألا يحدث ذلك. أنا *والدته*، أتفهم. والأم يجب أن تعرف مثل هذه المعلومات".

صاحت السيدة أورورك قائلة: "في الواقع أعتقد أنك على صواب. فما من أحد سيقدر على الحصول على مثل هذه المعلومات منك ـ نحن نعرف ذلك".

قال بليتشلي: "من الممكن أن يقرأ أحد الخطابات".

قالت توبنس بغضب: "أتوخى الحذر التام كي لا أترك هذه الخطابات بأي مكان. دائمًا ما أخفيها بمكان ما".

هز بليتشلي رأسه في إشارة منه لارتيابه وعدم اقتناعه.

٣

كان صباحًا باردًا نظرًا لهبوب الرياح من البحر.

جلست توبنس وحدها عند نهاية الشاطئ.

أخرجت من حقيبتها خطابين أرسلت في طلبهما في أثناء تواجدها بمحل بيع صحف صغير بالمدينة.

لقد استغرق وصولهما بعض الوقت نظرًا لأنه أعيد إرسالهما مرة ثانية بعد تغيير اسم المرسل إليه. اعتادت توبنس تغيير مكان تواجدها؛ لذا اعتقد أبناؤها أنها بمقاطعة كورنوال بصحبة عمتهم.

فتحت الخطاب الأول.

" والدتي العزيزة،

لديّ الكثير من الأخبار المضحكة، لكنني لا أستطيع إخبارك بها. أعتقد أننا نبلي بلاء حسنًا. تمكنا اليوم من تدمير خمس طائرات ألمانية قبل موعد الإفطار. بالطبع تعم الفوضى المكان بأكمله حاليًا، لكننا سنصل إلى نتيجة جيدة في النهاية.

لكن الطريقة التي يطلقون بها النيران على المدنيين المساكين هي التي تزعجني، بل وتزعجنا جميعًا. الضوضاء هنا قوية للغاية.

لا تقلقي بشأني. أنا بخير. لم أكن لأفوت هذا العرض مهما حدث. تحياتي إلى والدي العجوز - هل حصل على وظيفة أم لا؟

ابنك المخلص،

ديريك" .

ظلت عيناها تلمعان في أثناء قراءتها هذه الكلمات.

ثم فتحت الخطاب الآخر.

"والدتي العزيزة،

كيف حال العمة جراسي العجوز؟ هل تحسنت صحتها؟ أعتقد أنه لعمل رائع من جانبك أن تبقي بجوارها؛ فأنا لم أقدر على القيام بذلك.

ما من جديد لدي. مهمتي ممتعة للغاية، لكنها سرية جدًا؛ لذا لن أستطيع إخبارك أي شيء بشأنها. بيد أنني أشعر حقًا بقيامي بعمل ذي قيمة. لا تغضبي بسبب عدم حصولك على عمل ما - إنه لأمر سخيف وجود كل هؤلاء السيدات المسنات ومحاولتهن المستمرة للقيام بعمل ما، لكنهم بالإدارة لا يريدون سوى الشباب الذين يتمتعون بالكفاءة. أتساءل كيف يدبر والدي أموره في وظيفته الجديدة بإسكتلندا؟ أعتقد أنه لا يقوم بشيء سوى ملء الاستمارات، لكنه سيكون سعيدًا بالطبع لقيامه بعمل ما.

مع خالص حبي،

ديبورا".

ابتسمت توبنس.

ثم طوت الخطابين ولمستهما بحب، بعد ذلك اختبأت خلف حاجز الأمواج وأشعلت عود ثقاب وأضرمت بهما النيران، وانتظرت حتى رأتهما يتحولان إلى رماد.

ثم أخرجت قلمها الحبر ومفكرة صغيرة وأخذت تكتب بسرعة.

"بلدة لونجيرن،

مقاطعة كورنوال.

"عزيزتي ديب،

المكان هنا بعيد تمامًا عن الحرب لدرجة أنني لا أستطيع تصديق أن هناك حربًا دائرة. إنني سعيدة جدًا لتسلم خطابك ومعرفة أنك مستمتعة بعملك.

العمـة جراسـي مريضـة جـدًا وهـى سعيدة للغايـة بوجودي هنـا. إنها تتحـدث كثيرًا عـن الماضي وأحيانًـا لا تعرفني. إنهم يزرعـون هنا الكثير من الخضراوات. قاموا بتحويل حديقة الزهور إلى مزرعة بطاطس. وأنا أساعدهـم قليلًا. وهذا يجعلني أشعر بأننـي أقوم بعمل ما في ظل ظروف الحـرب هـذه. والدك يبـدو مستاء إلى حد ما، لكنني أعتقـد أنه، كما قلت، سعيد لقيامه بعمل ما.

كل الحب من والدتك

توبنس" .

ثم أخذت ورقة أخرى وأخذت تكتب.

" عزيزي ديريك،

شعـرت بارتيـاح شديـد عنـد تسلُم خطابـك. يمكنـك إرسـال بطاقـات بريدية عندما لا يتوافر لديك وقت للكتابة.

لقـد أتيـت للإقامة مع العمة جراسي فترة؛ فهـي مريضة جدًا. أتعلم إنهـا تتحـدث عنك كما لو كنـت في السابعة من عمـرك وأعطتني بالأمس بعض النقود لأرسلها إليك.

مـا زلـت أجلس بلا عمـل، فما من أحـد بحاجة إلى خدماتـي الرائعة. بالنسبـة لوالـدك، فكما أخبرتك، قـد حصل على وظيفة بـوزارة الأشغال. إنـه بالشمـال بمكان ما. إنها وظيفة لا بأس بهـا، أفضل من لا شيء، لكنها ليست ما أراد، يا له من مسكين والدك هذا؛ ما زلت أعتقد أنه يجب علينا التنحي وترك مسألة الحرب هذه لكم أيها الشباب الأحمق.

لـن أقول "اعتن بنفسك" ؛ لأنني أعرف أنك ستقوم بالعكس، لكن على أية حال عليك ألا تتصف بالحماقة.

كل الحب،

توبنس" .

وضعت الخطابين في ظرفين ووضعت عليهما طوابع البريد وكتبت على كل واحد منهما العنوان وأرسلتهما في أثناء عودتها إلى سان سوسي.

عندما وصلت إلى أسفل الجرف رأت شخصين يقفان ويتحدثان على مسافة بعيدة منها.

وقفت مكانها كالتمثال. إنها السيدة نفسها التي رأتها بالأمس وهي تتحدث إلى كارل فون دينيم.

أدركت توبنس أنها للأسف لن تتمكن من الاقتراب منهما من دون أن يراها أحد وبالتالي لن تستطيع سماع ما يقال.

علاوة على ذلك، عند هذه اللحظة، استدار الشاب الألماني ورآها. وفجأة انتهت محادثتهما وتوجهت السيدة بسرعة نحو أسفل التل مرورًا بتوبنس على الجانب الآخر.

انتظر كارل فون دينيم حتى وصلت توبنس إليه.

ثم ألقى عليها التحية بشكل مهذب ومبجل.

قالت توبنس على الفور:

"يا لها من سيدة غريبة الشكل تلك التي كنت تتحدث إليها سيد دينيم!".

"نعم، إنها نموذج لسكان أوربا الوسطى. إنها بولندية".

"حقًا؟ هل هي صديقة لك؟".

نبرة توبنس كانت نسخة من نبرة العمة جراسي الفضولية التي كانت تتحدث بها في فترة شبابها.

قال كارل بتزمت: "كلا؛ فأنا لم أرها قط من قبل".

قالت توبنس: "حقًا. اعتقدت ــ" ثم توقفت.

"كل ما هنالك أنها سألتني عن الطريق. تحدثت إليها بالألمانية لأنها لا تفهم الإنجليزية جيدًا".

"فهمت. وهل كانت تسأل عن مكان قريب؟".

"سألتني ما إذا كنت أعرف منزل السيدة جوتليب. أخبرتها بأنني لا أعرفه فقالت إنها ربما حصلت على اسم خطأ".

قالت توبنس بعد التفكير بتمعن: "فهمت".

السيد روزنستين والسيدة جوتليب.

نظرت إليه خلسة نظرة سريعة؛ حيث كان يسير بجوارها ويبدو على وجهه التجهم.

شعرت توبنس بشك مؤكد تجاه هذه السيدة الغريبة، وكانت على اقتناع تام بأنها حينما رأتهما لأول وهلة، كانا يتحدثان منذ فترة طويلة.

هل كارل فون دينيم موضع شك؟

لقد وقف يتحدث إلى شيلا صباح يوم ما. ماذا عن عبارة" *يجب أن تتوخى الحذر*" .

فكرت توبنس قائلة:

"أتمنى - أتمنى ألا يكون هؤلاء الشباب متورطين في الأمر".

هكذا ظلت هذه السيدة تحدث نفسها بهدوء قائلة إن النازيين يفضلون الشباب، ومن ثم سيكون كل عملائهم على الأرجح من الشباب - كارل وشيلا. قال تومي إن شيلا ليست متورطة بالأمر. نعم، لكن تومي رجل، وشيلا جميلة للغاية ربما يكون خُدِعَ بجمالها.

كارل وشيلا ومعهما تلك السيدة الغامضة: السيدة بيرينا، هذه السيدة تبدو أحيانًا كصاحبة فندق عادية ذات لسان فصيح وأحيانًا أخرى، تبدو للحظات شخصية بائسة وعنيفة.

صعدت توبنس بهدوء للأعلى لغرفتها.

هذا المساء عندما ذهبت للنوم، قامت بسحب الدرج الطويل الموجود بمكتبها، والذي يوجد بأحد جوانبه صندوق صغير مزود بقفل رديء زهيد الثمن. نزعت توبنس قفازها، وفتحت الصندوق. بداخله توجد مجموعة من الخطابات

يعلوها الخطاب الذي تسلمته هذا الصباح من "ريموند". فتحت توبنس الخطاب متوخية الحذر.

ثم بدا عليها الغضب؛ كان هناك رمش عين داخل الخطاب هذا الصباح، والآن هذا الرمش غير موجود.

اتجهت نحو الحوض وهناك وجدت زجاجة صغيرة مكتوبًا عليها: استخدم "البودرة الرمادية" بكميات قليلة.

بمهارة وضعت توبنس القليل من البودرة على الخطاب وسطح الصندوق.

ولم تجد أية بصمات على أي منهما.

مرة ثانية أومأت برأسها شاعرة باقتناع تام.

بالطبع لابد من وجود أية بصمات ـ بصماتها على الأقل.

ربما يكون أحد الخدم قرأ الخطاب بدافع الفضول ليس أكثر، لكن هذا الاحتمال بدا بعيدًا ـ بالطبع بعيدًا؛ لذا تحتمت عليها مواجهة مشكلة العثور على المفتاح الذي يلائم هذا الصندوق.

لكن الخادم لن يفكر في مسح البصمات.

هل هي السيدة بيرينا؟ أم شيلا؟ أم شخص آخر؟ شخص يشعر باهتمام لمعرفة تحركات القوات المسلحة البريطانية!

٤

الملخص العام لخطة توبنس كان بسيطًا. أولًا يجب عليها حصر كل الاحتمالات. ثانيًا، التحري لمعرفة ما إذا كان هناك نزيل بسان سوسي يهتم بمعرفة تحركات القوات ويحاول إخفاء تلك الحقيقة أم لا؟ ثالثًا، معرفة هذا الشخص.

تلك النقطة الثالثة كانت مهمة للغاية لدرجة أن توبنس ظلت تفكر فيها وهي ترقد بفراشها في الصباح التالي. غير أن حبل أفكارها قد انقطع على يد بيتي

سبروت التي أخذت ترقص في ساعة مبكرة، قبل تناول هذا المشروب الفاتر الذي يطلقون عليه مسمى شاي الصباح.

كانت بيتي نشيطة وتتحدث بسرعة رهيبة. لقد أحبت توبنس كثيرًا؛ لذا صعدت إلى الفراش ودفعت بكتاب الصور نحو أنفها، وقالت:

"اقيئي". (أي اقرئي)

استجابت توبنس وأخذت تقرأ:

"أيها الأبله، أيها الأحمق، إلى أين ستذهب؟".

"للأعلى، للأسفل، بغرفة سيدتي".

أخذت بيتي تدور في سعادة - وظلت تكرر كلمات توبنس.

"للأعيا - للأعيا - للأعيا " وفجأة قالت "أسفي -"، ثم واصلت الرقص على الفراش.

تكرر هذا عدة مرات حتى شعر كل منهما بالملل، ثم زحفت بيتي للأرض، وأخذت تلعب بحذاء توبنس وتتحدث إلى نفسها بلغتها الخاصة قائلة:

"آه - بو بي - سو - دادا".

عادت توبنس مرة ثانية لحيرتها ونسيت أمر الطفلة. شعرت بأن الكلمات التي قرأتها لبيتي تبدو كأنها موجهة لها؛ للسخرية منها.

"أيها الأبله، أيها الأحمق، إلى أين ستذهب؟".

إلى أين حقًا؟ الأبله هنا تشير لها، والأحمق تشير إلى تومي. على أية حال إنهما يبدوان هكذا في تلك اللحظة! شعرت توبنس بأنها تحتقر السيدة بلنكينسوب للغاية. وبالنسبة للسيد ميدوز، شعورها نحوه كان أفضل: شخص تافه، ضعيف الخيال وغبي. كل منهما، كما تمنت، مناسب للتواجد بهذا المكان.

أيًا كانت الظروف، فإنه يجب على الفرد أن يظل حذرًا - فمن السهل جدًا الوقوع في الخطأ. ولقد ارتكبت خطأ ما منذ بضعة أيام - إنه خطأ لا يذكر، لكن الإشارة إليه مهمة كي تتوخى الحذر. لقد اتبعت طريقة سهلة لتكوين صداقات وعلاقات طيبة - سيدة لا تجيد الغزل تريد من يوجهها، لكنها نسيت أنه في ليلة

مـا، أخـذت تغزل بمنتهى المهارة، وظلـت الإبر تحدث صوت ارتطام مما يشير إلى كونهـا تتمتـع بخبرة كبيرة فيما تقوم به. وقد لاحظت السيدة أورورك ذلك. ومنذ هـذه اللحظـة، بـدأت تغزل باعتـدال ـ لم تعـد تتظاهر بعدم الإتقـان كما فعلت في البداية ـ ولم تستخدم السرعة التي تقدر عليها.

قالت بيتي: "آه بو بيبي". ثم كررت الكلمات نفسها مرة ثانية: "آه بو بيبي".

قالت توبنس وهي شاردة الذهن: "جميل يا صغيرتي".

عادت بيتي للتمتمة مرة ثانية.

فكرت توبنس أن خطوتها التالية من الممكن أن تتم بسهولة كافية. بمساعدة تومي. لقد علمت جيدًا كيف تقوم بذلك.

وبينما كانت تستلقي على فراشها منهمكة في التفكير، مر الوقت سريعًا. وإذا بالسيدة سبروت تدخل الغرفة مسرعة بحثًا عن بيتي.

"أوه، هـا هـي ذى. لـم أكـن أدري أين ذهبت. بيتـي أيتها المشاغبة ـ أوه، سيدة بلنكينسوب أنا غاية في الأسف".

نهضـت توبنـس فوجـدت بيتـي ذات الوجـه الملائكـي تتأمـل الفوضـى التـي أحدثتها.

قامـت بيتـي بإزالة أربطـة أحذية توبنس ووضعتها في كـوب من الماء وأخذت تلعب بها.

ضحكت توبنس وقاطعت السيدة سبروت في أثناء اعتذارها.

"يا له من أمر مضحك. لا تقلقي سيدة سبروت، كل شيء سيكون على ما يرام. إنها غلطتي، كان من المفترض أن أراقب ما تفعله. لقد كانت غاية في الهدوء".

تنهـدت السيـدة سبروت قائلة: "أعرف. فمتى اتسمـت بالهدوء كان هذا دليلًا علـى انشغالهـا بتخريـب شيء مـا. سأحضر لك أربطـة أخرى هذا الصبـاح سيدة بلنكينسوب".

قالت توبنس: "لا داعي، ستجف هذه الأربطة".

اصطحبت السيدة سبروت بيتي للخارج ونهضت توبنس لتنفيذ خطتها.

السادس

نظر تومي بحذر شديد إلى العلبة التي دفعتها توبنس نحوه.

وقال: "أهذا هو؟".

"نعم. ولكن كن حذرًا ولا تقربها منك".

قام تومي بشم العلبة ورد بنشاط قائلًا:

"كلا، ما هذه المادة الكريهة؟".

قالت توبنس: "إنه صمغ نباتي، قيل في الإعلان إن استخدام جزء صغير منه سيجعلك تندهش من رؤية صديقك وهو غير منتبه على الإطلاق".

تمتم تومي: "رائحته كريهة حقًا".

بعد ذلك بفترة قصيرة، وقعت أحداث عديدة.

أولها الرائحة الموجودة بغرفة السيد ميدوز.

تحدث السيد ميدوز عن الأمر بهدوء في البداية - نظرًا لأنه ليس رجلًا شكاء - ثم بعصبية شديدة.

تـم استدعـاء السيـدة بيرينـا. رغم رغبتهـا الشديدة فـي الإنـكار، تحتم عليها الاعتـراف بوجـود رائحة مـا. رائحة كريهة واضحـة للغاية. قالت إنهـا ربما تكون رائحة تسرب الغاز.

انحنـى تومـي وأخـذ يشـم بارتياب، ثم قال إنـه لا يظن أن الرائحـة قادمة من أنبوب الغاز وظن عن نفسه أن هذه رائحة فأر كبير ميت.

اعترفـت السيـدة بيرينـا بأنها سمعت عن هذا ـ لكنها كانـت على يقين تام بأنه ما من فئران كبيرة بالفندق، ربما يكون هناك فأر صغير ـ رغم أنها لم تر قط أي فئران من قبل.

قـال السيـد ميـدوز بصرامـة إن هـذه الرائحـة تشير لوجـود فأر كبيـر ميت ـ وأضـاف بمزيـد من الصرامة أنه لن ينام ليلة واحـدة بهذه الحجرة حتى يتم حل هذه المشكلة، من ثم طلب من السيدة بيرينا أن تغير له الغرفة.

قالـت السيـدة بيرينا: "بالطبـع"، لقد كانت على وشك اقتـراح الفكرة نفسها، غير أنها تخشى كون الغرفة الوحيدة الفارغة صغيرة إلى حد ما وللأسف لا تطل على البحر، لكن إذا قبل بها السيد ميدوز فما من مشكلة.

بالطبـع قبل السيـد ميدوز، فأمنيته الوحيدة كانت الابتعاد عن هذه الرائحة. بنـاء عليـه اصطحبتـه السيـدة بيرينـا إلـى غرفة نـوم صغيـرة، تصـادف أنها تقع مباشـرة أمـام غرفـة السيـدة بلنكينسـوب، ثـم استدعـت الخادمة "لنقـل أغراض السيـد ميدوز". وقالت إنها سترسل فـي طلب أحد العمال لينظف الغرفة ويعرف مصدر الرائحة.

وبناء عليه تمت تسوية الأمر بشكل مُرضٍ.

٢

أمـا الحـدث الثاني فهـو إصابة السيد ميـدوز بالحمى. هكذا أسماهـا في البداية، لكن فيما بعد اعترف بأنه ربما يكون كل ما هنالك أنه مصاب بالبرد. ظل يعطس كثيـرًا، وأخـذت عيناه تدمعـان. بالطبـع لو أن هناك قدرًا قليـلًا من رائحة البصل

منتشرة بالجو بالقرب من منديل السيد ميدوز، لما لاحظ أحد ذلك، وفي الواقع استخدامه قدرًا من العطر قد أخفى رائحة البصل القوية هذه.

في النهاية بعدما أرهق بسبب العطس المتكرر قرر السيد ميدوز الخلود للفراش بقية اليوم.

في صباح هذا اليوم تسلمت السيدة بلنكينسوب خطابًا من ابنها دوجلاس. شعرت بانفعال شديد لأن كل الموجودين بسان سوسي علموا ذلك. لم يكن الخطاب مختومًا من الخارج، فقامت بتوضيح الأمر قائلة إن أحد أصدقاء دوجلاس قد أتى في إجازة وأحضره معه، لذا أخيرًا ولو مرة واحدة تمكن دوجلاس من كتابة كل ما يريد.

قالت السيدة بلنكينسوب وهي تهز رأسها بحكمة: "وهذا دليل على قلة ما لدينا من معلومات عما يحدث".

بعد تناول الإفطار صعدت إلى غرفتها، وفتحت صندوق الخطابات ووضعت به هذا الخطاب. بين الصفحات المطوية كان هناك القليل من دقيق الأرز. أغلقت الصندوق مرة ثانية، وضغطت بأصابعها على سطحه.

وفي أثناء تركها غرفتها سعلت، ومن الغرفة المقابلة سمعت صوت عطسة قوية مصطنعة.

ابتسمت توبنس واتجهت نحو الطابق السفلي.

أخبرت توبنس الجميع برغبتها في الذهاب إلى لندن هذا اليوم ـ لرؤية محاميها ومناقشته في بعض الأمور وللتسوق.

والآن يقوم نزلاء الفندق بوداعها وتكليفها بعدة مهام قائلين: "بالطبع إذا توافر لديك الوقت".

أما النقيب بليتشلي فتجنب كل هذه الثرثرة النسائية واستغرق في قراءة الصحيفة والتصريح ببعض التعليقات: "اللعنة على هؤلاء الحمقى الألمان. إطلاق النيران على اللاجئين المدنيين في الطريق. يا لها من وحشية! لو أنني مكان قادتنا ــ".

تركته توبنس منهمكًا في وصف ما كان سيقوم به لو كان بموضع المسئولية.

اتجهت نحو الحديقة لتسأل بيتي سبروت عن الهدية التي تريدها من لندن.

كانت بيتي تلعب وتمرح حينما ذهبت لها توبنس وقالت لها: "هل تريدين دمية أم كتاب صور وبعض الألوان لترسمي؟" ردت بيتي عليها قائلة: "بيتي تيسم". وبالتالي أدرجت توبنس الألوان بقائمة مشترياتها.

وبينما تسير في طريقها للخروج من الحديقة قابلت مصادفة كارل فون دينيم الذي كان يقف مستندًا إلى الحائط ويداه متشابكتان. وعندما اقتربت منه توبنس استدار لها ووجهه المتسم بالهدوء الدائم يبدو عليه الغضب.

وقفت توبنس وسألته:

"هل هناك مشكلة ما؟".

رد عليها بنبرة صوت مبحوح وغير طبيعي قائلًا: "أوه، بالطبع، هناك الكثير من المشكلات. لقد قلت لي من قبل إن الأمور لا تسير على وتيرة واحدة وإن كل شيء له مزاياه وعيوبه، أليس كذلك؟".

أومأت توبنس برأسها.

أكمل كارل حديثه آسفًا:

"هذا أنا. لا يمكنني الاستمرار بهذه الطريقة. لن يفلح الأمر. أظن أنه من الأفضل أن أنهي كل شيء".

"ماذا تقصد؟".

قال الشاب:

"لقد تحدثت إليَّ برقة وعطف وأظن أنك ستتفهمين موقفي. لقد فررت هاربًا من بلدي بسبب الظلم والوحشية وأتيت إلى هنا بحثًا عن الحرية. أكره النازية الألمانية، لكنني في الوقت ذاته ما زلت ألمانيًا. وهذه حقيقة لن تتغير".

تمتمت توبنس قائلة:

"أعرف أنك ربما تكون تواجه بعض المتاعب".

"الأمر ليس كذلك. أنا ألماني بكل ما تحمله الكلمة من معنى. وألمانيا ما زالت بلدي. عندما أقرأ عن المدن الألمانية التي يتم تفجيرها، والجنود الألمان الذين يموتون، والطائرات الألمانية التي يتم إسقاطها، أشعر بأن أهل بلدتي يموتون. وعندما يقوم النقيب بليتشلي بقراءة الصحيفة وينعت الألمان بالحمقى أشعر بغضب شديد ـ لا أستطيع تحمل كل هذا".

وأضاف بهدوء:

"لذا أظن أنه سيكون من الأفضل أن أنهي كل هذا. نعم أنهيه".

أمسكت توبنس بذراعه وقالت:

"ما هذا الهراء. من الطبيعي أن تشعر بكل هذا. أي شخص يتعرض لموقف كهذا سيشعر مثلك، لكن يجب عليك أن تتماسك".

"أتمنى أن يعتقلوني؛ فهذا أفضل".

"ربما، لكنك في الوقت الحالي تقوم بعمل مفيد ـ هكذا سمعت. عمل مفيد ليس لإنجلترا فقط بل للإنسانية بأكملها. إنك تعمل على حل مشكلات التلوث، أليس كذلك؟".

أشرق وجهه إلى حد ما وقال:

"أوه، نعم، ولقد أحرزت تقدمًا كبيرًا. عملية بسيطة، يسهل القيام بها وتطبيقها ليس معقدًا على الإطلاق".

قالت توبنس: "حسنًا، الأمر يستحق المحاولة. أي شيء يخفف معاناة البشر يستحق المحاولة ـ وبالطبع كل ما هو بَنَّاء وليس هدامًا. من الطبيعي جدًّا أن نسب الأعداء. وهم أيضًا يقومون بالأمر نفسه في ألمانيا؛ فهناك المئات من الشخصيات التي تشبه النقيب بليتشلي بألمانيا ومن المؤكد أنهم يسبوننا بأفظع من ذلك. أنا أيضًا أكره الألمان. مجرد التلفظ بهذه الكلمة يثير اشمئزازي، لكن عندما أفكر في الأفراد: الأمهات اللاتي يشعرن بالقلق في انتظار ورود أخبار عن أبنائهن، والأبناء الذين يغادرون منازلهم من أجل القتال، والفلاحون الذين يجمعون المحاصيل، وأصحاب المحلات الصغيرة وبعض الشخصيات الألمانية اللطيفة البسيطة التي أعرفها، ينتابني شعور مختلف. أدرك حينها أنهم مجرد

بشر وأننا جميعًا تنتابنا المشاعر نفسها. تلك هي الحقيقة. وما عداها هو مجرد قناع الحرب الذي نرتديه والذي هو جزء من الحرب - ربما يكون جزءًا ضروريًا - لكنه سريع الزوال".

وبينما كانت تتحدث فكرت، كما حدث مع تومي منذ فترة قصيرة، في كلمات الممرضة كافيل: "الوطنية ليست كافية ... يجب ألا أكنَّ بقلبي أية ضغينة".

مقولة هذه السيدة الوطنية دائمًا ما كانت بالنسبة لهم خير مثال للتضحية.

أمسك كارل فون دينيم بيدها وقبلها ثم قال:

"شكرًا لك. ما قلته صحيح تمامًا ومفيد. سوف أتحلى بمزيد من الثبات".

قالت توبنس وهي تسير نحو الطريق إلى المدينة: "أوه، عزيزي. إنه لمن سوء حظي أن يكون أكثر شخص أحبه بهذا المكان ألمانيًا؛ فهذا شيء غريب جدًا".

٣

كانت توبنس دقيقة للغاية في عملها، رغم أنها لم ترغب على الإطلاق في الذهاب إلى لندن؛ فقد شعرت بأنه من الأفضل أن تفعل ما قالت إنها ستقوم به. فإذا ما قامت بجولة في أي مكان آخر، فربما يشاهدها أحد ويصل الخبر إلى سان سوسي.

من ثم قالت السيدة بلنكينسوب إنها ستذهب إلى لندن؛ حيث يجب عليها القيام بذلك.

قامت بشراء التذكرة، وبينما كانت تغادر شباك الحجز التقت بشيلا بيرينا.

قالت شيلا: "مرحبًا، إلى أين أنت ذاهبة؟ لقد أتيت بحثًا عن طرد يبدو أنه ضل طريقه".

أخبرتها توبنس بما هي عازمة على القيام به.

قالت شيلا بنوع من عدم الاهتمام: "أوه، نعم، بالطبع. أتذكر أنك قلت شيئًا عن هذا، لكن لم أكن أدري أنك ستذهبين اليوم. سأرافقك حتى القطار".

كانت شيلا أكثر نشاطًا من المعتاد. لم يبد عليها العصبية أو التجهم. وظلت تتحدث بهدوء عن بعض تفاصيل الحياة اليومية بسان سوسي. أخذت تتحدث إلى توبنس حتى غادر القطار المحطة.

بعد التلويح من النافذة ورؤية الفتاة وقد أصبحت بعيدة تمامًا، جلست توبنس بمقعدها مرة ثانية واستغرقت في التفكير.

تساءلت هل وجود شيلا بالمحطة في هذا الوقت هو مجرد مصادفة؟ أم أن هذا دليل على حيطة العدو؟ هل السيدة بيرينا تود التأكد من أن السيدة بلنكينسوب الثرثارة ذهبت حقًا إلى لندن؟

يبدو أن الأمر كذلك.

٤

لم تستطع توبنس مقابلة تومي حتى اليوم التالي، لقد اتفقا على ألا يحاولا مطلقًا التواصل معًا تحت سقف سان سوسي.

التقت السيدة بلنكينسوب بالسيد ميدوز عندما كان يقوم بجولة أمام الفندق، بعدما انخفضت درجة حرارته إلى حد ما. جلسا معًا على أحد مقاعد المتنزه.

قالت توبنس: "هل من أخبار؟".

أومأ تومي برأسه ببطء. بدا حزينًا إلى حد ما ثم قال:

"نعم، لديَّ بعض الأخبار. لكن يا إلهي، يا له من يوم! لقد قضيت اليوم بأكمله في النظر عبر فتحة الباب، لقد أصبت بتيبس في الرقبة".

قالت توبنس بعدم إحساس: "دعنا من رقبتك. أخبرني بما رأيت".

"حسنًا، دخل الخدم لترتيب الفراش والغرفة. ثم أتت السيدة بيرينا - بينما كان الخدم بالداخل وأخذت توبخهم بخصوص شيء ما. كما دخلت الطفلة مرة وخرجت ومعها دمية على شكل كلب".

"حسنًا، هل من أحد آخر؟".

قال تومي بهدوء: "شخص آخر".

"من؟".

"كارل فون دينيم".

شعرت توبنس بألم مفاجئ وقالت: "يا إلهي!".

ثم سألته: "متى؟".

"عند وقت الغداء. خرج من غرفة تناول الطعام مبكرًا، ثم اتجه نحو غرفته، بعد ذلك تسلل إلى الممر ومنه إلى غرفتك وظل بها حوالي ربع ساعة".

توقف تومي ثم قال:

"أعتقد أن هذا يحسم الأمر، أليس كذلك؟".

أومأت توبنس برأسها.

بالطبع، هذا يحسم الأمر تمامًا، فلا يوجد سبب واحد يدفع كارل فون دينيم للذهاب إلى غرفة السيدة بلنكينسوب والبقاء بها لمدة ربع ساعة. لقد ثبت تورطه في الأمر. فكرت توبنس وقالت لنفسها إن كارل يعتبر ممثلًا بارعًا.

فكلماته صباح ذلك اليوم بدت حقيقية للغاية. حسنًا، ربما كانت حقيقية بطريقة ما؛ فمعرفة التوقيت الأمثل لاستخدام الحقيقة هو أساس الخداع الناجح. كارل فون دينيم يعتبر وطنيًا على أية حال؛ فهو عميل للعدو يعمل من أجل بلاده. ربما يحظى باحترام الفرد لهذا السبب. نعم - لكن ذلك لن يعوق محاولة النيل منه.

قالت ببطء: "أنا حزينة".

قال تومي: "وأنا أيضًا. إنه فتى لطيف".

قالت توبنس:

"كان من الممكن أن أذهب أنا وأنت لألمانيا للقيام بالمهمة نفسها".

أومأ تومي برأسه وواصلت توبنس حديثها قائلة:

"حسنًا، على الأقل توصلنا إلى نتيجة جيدة؛ كارل فون دينيم يعمل مع شيلا ووالدتها. ربما تكون السيدة بيرينا هي الشخصية الأهم، ثم هناك السيدة الأجنبية التي كانت تتحدث إلى كارل بالأمس؛ فهي متورطة بالأمر بطريقة ما".

"ماذا سنفعل الآن؟".

"يجب أن ندخل غرفة السيدة بيرينا في وقت ما. ربما نجد بها أي شيء يعطينا ولو خيطًا بسيطًا. ويجب أن نراقبها - نعرف أين تذهب وبمن تلتقي. تومي، علينا أن نستدعي ألبرت إلى هنا".

فكر تومي في الأمر.

منذ عدة سنوات انضم ألبرت، خادم بفندق، إلى كل من تومي وتوبنس وشاركهما مغامرتهما. بعد ذلك انضم للمهمة وأصبح العميل الوحيد من داخل المكان نفسه. منذ ٦ سنوات مضت تزوج وأصبح الآن صاحب مطعم ذا دك آند دوج بجنوب لندن.

واصلت توبنس حديثها بسرعة قائلة:

"سينبهر ألبرت. سوف نحضره إلى هنا؛ فهو يستطيع البقاء بالمطعم القريب من المحطة، ومن ثم يمكنه مراقبة السيدة بيرينا - أو أي شخص آخر".

"ماذا عن زوجته؟".

"لقد ذهبت يوم الاثنين الماضي هي وأطفالها إلى والدتها بمدينة ويلز بسبب الغارات الجوية. الظروف كلها ملائمة تمامًا".

"نعم، هذه فكرة جيدة يا توبنس؛ فمراقبة أي منا للسيدة ستفضح أمرنا؛ لذا أعتقد أن ألبرت هو أفضل شخص. الآن هناك مشكلة أخرى - أعتقد أنه يجب علينا الانتباه لهذه السيدة البولندية التي كانت تتحدث إلى كارل وتتجول بالمكان. أظن أنها تمثل الطرف الآخر بالمهمة - وهذا هو ما نود معرفته".

"أوه، نعم أوافقك الرأي؛ فهي تأتي هنا لتبليغ الأوامر أو تلقي الرسائل. في المرة التالية عندما نراها علينا أن نتبعها ونكتشف المزيد بشأنها".

"ماذا عن تفتيش حجرة السيدة بيرينا ـ وحجرة كارل أيضًا على ما أعتقد؟".

"أعتقد أنك لن تجد أي شيء بحجرته؛ فهو في النهاية ألماني، ومن حق الشرطة تفتيش غرفته بأي وقت؛ لذا سيتوخى الحذر ألا يترك بها أي شيء مثير للشك. أما بالنسبة لغرفة السيدة بيرينا فسيكون من الصعب تفتيشها؛ فعندما تكون خارج الفندق، تكون شيلا موجودة، وهناك بيتي والسيدة سبروت اللتان تتجولان بكل مكان، كما أن السيدة أورورك تقضي الكثير من الوقت بغرفتها".

توقفت ثم قالت: "أعتقد أن وقت الغداء هو أفضل وقت".

"تقصدين الوقت الذي اختاره كارل؟".

"بالضبط. من الممكن أن أخبرهم أنى أشعر بصداع ثم أذهب إلى غرفتي ـ كلا، قد يأتي أحد ما ويرغب في الاعتناء بي. إذن، سوف أدخل بهدوء قبل موعد الغداء وأصعد إلى غرفتي من دون إخبار أحد. وفيما بعد، عقب تناول الغداء، يمكنني القول إنني شعرت بصداع".

"أليس من الأفضل أن أقوم أنا بهذه المهمة؟ من الممكن أن تعود لي الحمى غدًا".

"أظن أنه من الأفضل أن أقوم أنا بذلك؛ فإذا ما رآني أحد فسأقول إنني كنت أبحث عن أسبرين أو شيء من هذا القبيل؛ فوجود رجل مهذب مثلك بغرفة السيدة بيرينا سيثير مزيدًا من الشك".

ابتسم تومي قائلًا:

"وله مغامراته".

ثم اختفت الابتسامة. بدا وقورًا وقلقًا.

"علينا أن نتحرك بأقصى سرعة لدينا. الأخبار سيئة اليوم. يجب أن نتوصل إلى شيء ما سريعًا".

٥

واصـل تومـي سيـره ثم توقـف ودخل مكتـب البريد؛ حيـث أجرى اتصـالًا هاتفيًا تحـدث خلالـه للسيـد جرانـت قائـلًا: "لقد نجحـت العمليـة الأخيـرة وصديقنا متورط بالفعل".

ثـم كتـب خطابًا وقـام بإرساله إلـى السيد ألبرت بـات، مطعـم ذا داك آند دوج، شارع جلامورجان، كينينجتون.

ثـم اشترى لنفسه صحيفة أسبوعية معروفـة بإخبارها للعالم الإنجليزي بما سيحدث حقًا، ثم سار عائدًا إلى سان سوسي.

عنـد هذه اللحظـة سمع صوت القائد هايدوك الودود ينـادي عليه من سيارته ويصيح قائلًا: "مرحبًا سيد ميدوز هل تريد أن أقوم بتوصيلك؟".

قبل تومي عرضه بامتنان وركب السيارة.

قال هايدوك وهو ينظر إلى غلاف صحيفة *Inside Weekly News*: "إذن أنت تقرأ تلك الصحيفة السيئة؟".

أبـدى السيـد ميدوز نوعًا من الدهشـة يبديه كل من يقرأ تلك الصحيفة عند مواجهة هذا السؤال.

وافقه الرأي قائلًا: "إنها سيئة حقًا، لكن في بعض الأحيان يبدو كأن القائمين عليها يعرفون حقا ما يدور خلف الكواليس".

"وأحيانًا يخطئون".

"أوه، أحيانًا".

قـال القائـد هايـدوك وهـو يتجـه نحـو طريق وحيـد الاتجـاه وبالـكاد تفادى الاصطدام بشاحنة كبيرة: "تكمن الحقيقة في أنه عندما يكون الأشخاص عديمو القيمة على صواب، يذكر الفرد ذلك، وعندما يكونون على خطأ تنسى ذلك".

"هل تعتقد أن شائعة اقتراب ستالين منا صحيحة؟".

قال القائد هايدوك: "إنها مجرد أمنية يا عزيزي، مجرد أمنية. الروس كاذبون، لا تثق بهم، هذا رأيي. سمعت أنك كنت مريضًا، أهذا صحيح؟".

"كنت مصابًا بالحمى، دائمًا ما أصاب بها في هذا الوقت من العام".

"أوه نعم. لم أُعَانها قط، لكنْ لديَّ صديق يصاب بها عادة شهر يونيو من كل عام. هل تشعر بتحسن كاف للعب مباراة جولف؟".

قال تومي إنه قد يحب ذلك كثيرًا.

"حسنًا، ماذا عن الغد؟ دعني أخبرك بأنني لدي اجتماع عمل، إنه مشروع جديد وفكرته رائعة. إذن هل نلتقي للعب في حوالي الساعة السادسة؟".

"شكرًا جزيلًا أود ذلك".

"حسنًا اتفقنا".

اتجه القائد فجأة نحو بوابة سان سوسي ثم سأله:

"كيف حال الجميلة شيلا؟".

"أعتقد أنها بخير. لم أرها كثيرًا".

ضحك هايدوك بصوت مرتفع.

"أراهن أنه ليس بالقدر الكافي الذي تريده. إنها فتاة حسنة المظهر، لكنها للأسف غير مهذبة. إنها معجبة للغاية بهذا الفتى الألماني وهذا فعل مخالف للوطنية من وجهة نظري. بالطبع هي لن تفكر أبدًا في أشخاص مثلي ومثلك، لكن هناك الكثير من الشباب الرائعين ببلدتنا، لماذا إذن تعجب بألماني دموي؟ هذا الأمر يزعجني".

قال السيد ميدوز:

"كن حذرًا، إنه آت خلفنا".

"لا يهمني إذا سمع. بالعكس أتمنى أن يسمع. أود أن أضربه. أي ألماني مهذب يحارب من أجل بلده - لا يهرب ويأتي إلى هنا لينجو بنفسه".

قال تومي: "حسنًا، إنه فرد واحد ولا يمثل مشكلة بالنسبة لنا".

"هل تقصد أنه متأقلم مع المكان؟ ها ها! هذا غير صحيح يا ميدوز. بالمناسبة إنني لا أصدق ما يقال من حماقات عن الاجتياح. لم يجتحنا أحد من قبل ولن يحدث هذا أبدًا؛ فبحمد الله لدينا القوات البحرية".

وبعد هذا التصريح البطولي قاد السيارة بأقصى سرعة وانطلق نحو التل متجهًا إلى استراحة سماجلرز.

٦

وصلت توبنس لبوابة سان سوسي في الساعة الثانية إلا عشر دقائق، ومرت بالحديقة ثم إلى الفندق عن طريق نافذة غرفة الاستقبال المفتوحة. ومن بعيد شمت رائحة الطعام وسمعت صوت الأطباق وتمتمة؛ فالكل يعمل بجدية لتحضير وجبة الغداء.

انتظرت توبنس عند باب غرفة الاستقبال حتى مرت مارثا، الخادمة، على الردهة ومنها إلى غرفة تناول الطعام، ثم هرولت بسرعة وصعدت السلم وهي حافية القدمين.

ذهبت إلى غرفتها وارتدت خف النوم المريح، ثم خرجت من غرفتها واتجهت إلى غرفة السيدة بيرينا.

بمجرد أن دخلت الغرفة أخذت تنظر حولها وشعرت بنوع من النفور. يا لها من مهمة كريهة! فعملها هذا سيكون أشبه بالذنب الذي لن يغتفر إذا ما اتضح أن السيدة بيرينا ليست عميلة سرية. إنها بهذه الطريقة تتطفل على شئونها الخاصة.

هزت توبنس رأسها، هزة عنيفة كانت بمثابة تذكرة لها بأن *هناك حربًا دائرة!*

اتجهت نحو المزينة.

اتسمت حركتها بالسرعة والخفة، فسريعًا ما ألقت نظرة على محتويات أدراج المزينة، ثم اتجهت نحو المكتب فوجدت أحد أدراجه مغلقًا فشعرت بأن به سرًا ما.

لقد تعلم تومي بعض المهارات وحصل على بعض التعليمات المتعلقة بكيفية التعامل مع الأدراج المغلقة. وقد أخبر توبنس بكل ما تعلمه.

قامت توبنس بالضغط على الدرج بخفة برسغها فَفُتِح.

وجدت بداخله صندوقًا يحتوى على بعض النقود والفضيات ـ والمجوهرات أيضًا. وكانت هناك كومة من الورق. وهو الشيء الذي استحوذ على انتباهها للغاية. تفحصت هذه الأوراق سريعًا، مجرد نظرة خاطفة؛ حيث لم يكن هناك مزيد من الوقت.

وجدت أوراقًا رهن الفندق، وحساب البنك، ومجموعة خطابات أخرى. مر الوقت سريعًا؛ بينما كانت توبنس تتصفح الوثائق بتركيز تام للعثور على أي شيء مثير للشك. وجدت خطابين من صديقة بإيطاليا، ومجموعة خطابات أخرى تبدو غير ضارة، لكن ربما كانت الحقيقة غير ذلك. خطاب من سيمون مورتيمر من لندن ـ يبدو أنه خطاب عمل لا يشتمل على الكثير من الكلام لدرجة أن توبنس تعجبت من احتفاظ بيرينا به. هل السيد مورتيمر لا يمثل خطورة كما تظن؟ وفي نهاية مجموعة الخطابات هناك خطاب مكتوب بحبر باهت اللون وموقع باسم بات ويبدأ بهذه العبارة " *هذا سيكون آخر خطاب أكتبه لك، إلين عزيزتي ـ* "

كلا، ليس هذا الخطاب! لم تحاول توبنس قراءته وقامت بطيه ورتبت باقي الخطابات فوقه، وفجأة انتبهت، وأغلقت الدرج بسرعة ـ لم يكن هناك وقت لتغلقه مرة ثانية ــ وعندما فتح الباب ودخلت السيدة بيرينا، وجدت توبنس تبحث عن شيء ما بين الزجاجات الموجودة على الحوض.

تظاهرت السيدة بلنكينسوب بنوع من الارتباك وبدت عليها الحماقة عندما رأت السيدة بيرينا ثم قالت:

"أوه سيدة بيرينا، سامحيني. عندما عدت إلى الفندق كنت أشعر بصداع شديد، فأردت أن أستلقي بفراشي بعد تناول بعض أقراص الأسبرين لكنني لم أجد لديَّ أية أقراص، فقلت إنك لن تمانعي أن أحصل على بعض الأقراص من غرفتك ـ كنت متأكدة أن لديك أسبرينًا لأنك أعطيت منه للآنسة مينتون منذ

بضعة أيام".

دخلت السيدة بيرينا الغرفة، وتحدثت بحدة قائلة:

"ولماذا لم تطلبيه مني سيدة بلنكينسوب؟".

"حسنًا، بالطبع كان من المفترض أن أطلبه منك، لكنني كنت على دراية بأنكم جميعًا تتناولون الغداء، وكما تعرفين أنا أكره إحداث *الجلبة*".

مـرت السيـدة بيرينا من أمـام توبنـس وأمسكت بزجاجـة الأسبريـن وسألتها بهدوء:

"كم قرصًا تريدين؟".

أخـذت السيـدة بلنكينسوب ٣ أقراصـ ثم تحركت متجهة إلـى غرفتها وأخذت تعبر عن استيائها من فكرة استخدام كمادات المياه الساخنة لتدفئة جسدها.

وفي أثناء انصرافها أبدت السيدة بيرينا ملاحظة لاذعة؛ حيث قالت:

"لكنك لديك أقراص أسبرين سيدة بلنكينسوب، لقد رأيتها بنفسي".

صاحت توبنس بسرعة:

"أوه أعـرف، أعـرف أننـي لدي بعض منهـا بمكان ما، لكننـي للأسف لم أتذكر أين توجد تحديدًا".

قالت السيدة بيرينا وهي تظهر جزءًا من أسنانها البيضاء الكبيرة:

"حسنًا، فلتنعمي بقسط من الراحة حتى وقت تناول الشاي".

خرجـت بيرينـا، وأغلقت الباب خلفها. أخذت توبنس نفسًـا عميقًا، ثم استلقت على فراشها خوفًا من عودة السيدة بيرينا.

هـل شعـرت السيدة بيرينا بـأي شك؟ تلك الأسنـان الضخمة البيضـاء ـ دائمًا مـا كانـت تراود توبنس فكرة "كي آكلـك بها يا عزيزتي" عندما ترى هذه الأسنان. وبالنسبة ليديها فكانتا ضخمتين للغاية أيضًا وتبدو عليهما الوحشية.

يبدو أنها تقبلت وجود توبنس في غرفتها بشكل طبيعي، لكن فيما بعد ستجد درج المكتـب مفتوحًـا فهل ستشك حينها؟ أم ستظـن أنها مجرد مصادفة وأنها قد

تركتـه مفتوحًـا؟ أحيانًـا يقوم الفرد بذلـك. هل استطاعـت توبنس إعـادة الأوراق وتنظيمها بحيث تبدو كما كانت قبل فتحها للدرج؟

بالطبـع حتـى إذا مـا لاحظـت السيـدة بيرينـا بعضـ الاختلاف فعلـى الأرجح ستشك في الخدم وليس بالسيدة بلنكينسوب. وحتى إذا ما شعرت بالشك تجاهها، ستعتقد أنها قامت بذلك من باب الفضول، أليس كذلك؟ فهناك أشخاص يحبون التدخل فيما لا يعنيهم.

لكـن لـو أن السيدة بيرينا هي العميـل الألماني المعروف إم؛ ففي هذه الحالة ستشك في وجود من يتجسس عليها.

أهناك أي شيء بسلوكها يوحي بانتباه لا داعي له؟

لقد بدت طبيعية للغاية - باستثناء تلك الملحوظة الحادة المتعلقة بالأسبرين.

فجـأة، نهضـت توبنس وتذكرت أن أقراصـ الأسبرين الخاصة بهـا، بالإضافة إلـى زجاجة بيكربونـات الصودا، كانت بآخر درج المكتب؛ حيث وضعتهما في أثناء تفريغها لمحتويات حقيبتها.

ومـن ثـم يبدو أنها ليسـت الشخص الوحيد الذي يتسلل إلـى غرف الآخرين، فالسيدة بيرينا قد تسللت إلى غرفتها أولًا!

السابع

في اليوم التالي ذهبت السيدة سبروت إلى لندن.

بمجـرد تلميحها برغبتها في الذهاب قام كل الموجودين بالفندق على الفور بالتعبير عن استعدادهم للاعتناء بالصغيرة بيتي.

عندمـا غـادرت السيدة سبـروت، بعدما طلبت من بيتي عـدة مرات أن تتصرف بشـكل مهـذب، ظلت بيتـي برفقة توبنس، التي تم اختيارهـا للاعتناء بها في فترة الصباح.

قالت بيتـي: "أريد أن ألعب الغميضة".

قدرتهـا علـى الكلام بسهولة كانت تتطور يومًا بعـد يوم كما أنها اكتسبت عادة إمالة رأسها إلى الجنب، والابتسام بطريقة تسحر من يتحدث إليها.

ودت توبنس أن تصطحبهـا فـي نزهـة، لكـن السمـاء كانـت تمطر بشـدة؛ لذا صعدتا هما الاثنتان إلى غرفة النوم واتجهت بيتي نحو الدرج السفلي حيث تضع لعبها.

سألت توبنس: "هل سنقوم بتخبئة بونزو؟".

لكن بيتي كانت قد غيرت رأيها؛ لذا قالت لها:

"اقيئي لي قصة".

سحبت توبنس كتابًا باليًا من فوق الرف ـ قاطعتها صيحات بيتي حيث قالت:

"كلا، كلا. قبيح ... سيئ...".

حدقت توبنس إليها في دهشة ثم نظرت إلى الكتاب؛ نسخة ملونة من كتاب *Little Jack Horner.*

قالت لها: "هل جاك فتي سيئ لأنه أخذ الخوخ؟".

أعادت بيتي الكلام نفسه قائلة:

"سيئ" ثم قالت بحدة: "قذذذذذر".

أخذت الكتاب من توبنس ووضعته مكانه على الرف، ثم سحبت كتابًا مماثلًا من الطرف الآخر للرف وقالت بابتسامة ساحرة:

"هذا الكتاب ذ ذ نظيف".

أدركت توبنس أن الكتب البالية قد استبدلت بها نسخ جديدة ونظيفة ومسلية أكثر. كانت السيدة سبروت نموذجًا لما كانت توبنس تطلق عليه مسمى "الأم النظيفة"؛ فهي دائمًا ما كانت تخاف الجراثيم والطعام الملوث وقيام الطفلة بمص اللعب.

دائمًا ما كانت توبنس تسخر من المبالغة في النظافة وقد ربت أبناءها على تحمُّل ما أسمته "قدرًا مقبولا" من عدم النظافة. على الرغم من ذلك، قامت طواعية بأخذ النسخة النظيفة من الكتاب وأخذت تقرأ منها وتعلق على الأحداث. أخذت بيتي تتمتم وتشير إلى الكتب الموجودة على الرف بأصابعها غير النظيفة مما يدل على أن تلك النسخة الجديدة سيتم الاستغناء عنها قريبًا، ثم قامت بيتي بتخبئة الكتب ومضت توبنس فترة طويلة في البحث عن كل واحد منها، وهو ما أسعد بيتي كثيرًا، وهكذا مضت فترة الصباح بسرعة.

بعد الغداء أخذت بيتي قسطًا من الراحة، وفي هذا الوقت دعت السيدة أوروورك توبنس للقدوم لغرفتها.

كانت الغرفة غير مرتبة على الإطلاق وكانت تفوح منها رائحة نعناع والكعك. وكانت هناك صور على كل منضدة لأبناء السيدة أورورك وأحفادها وأبناء أختها وبنات أختها وأحفاد أختها. كان هناك الكثير منها لدرجة أن توبنس شعرت كأنها كانت تنظر إلى مسرحية واقعية قديمة جدًا.

قالت السيدة أورورك: "لديك أسلوب رائع في التعامل مع الأطفال سيدة بلنكينسوب".

قالت توبنس: "أوه، بالطبع، هذا من واقع تعاملي مع ولديَّ -".

قاطعتها السيدة أورورك بسرعة قائلة:

"اثنان؟ أظن أنك أخبرتني بأن لديك ٣ أبناء؟".

"أوه، نعم ٣. لكنَّ اثنين منهما في عمر متقارب وأنا كنت أفكر في الأيام التي قضيتها معهما".

"أوه، فهمت. اجلسي الآن سيدة بلنكينسوب. اعتبري نفسك بمنزلك".

جلست توبنس وتمنت ألا تسبب لها السيدة أورورك أي شعور بعدم الارتياح. في هذه اللحظة شعرت كأنها مثل هانسل وجريتل اللذين قبلا دعوة الساحرة الشريرة.

قالت السيدة أورورك: "أخبريني الآن، ما رأيك في سان سوسي؟".

بدأت توبنس في الإطراء على المكان، لكن السيدة أورورك قاطعتها بدون تكليف قائلة:

"إنني أسألك عما إذا كنت تشعرين بوجود شيء ما غريب بالمكان؟".

"غريب؟ كلا، لا أعتقد ذلك".

"ولا حتى بخصوص السيدة بيرينا؟ أنت مهتمة بها، لقد رأيتك تراقبينها أكثر من مرة".

احمر وجه توبنس وقالت:

"إنها - إنها سيدة لطيفة".

قالت السيدة أورورك: "إذن هي ليست غريبة. إنها سيدة عادية ـ هذا إذا كانت حقًا كما تبدو. لكن ربما لا تكون كذلك. ما رأيك أنت؟".

"في الواقع سيدة أورورك لا أفهم قصدك".

"هل سبق أن توقفت للتفكير في أن العديد منا قد تكون حقيقتهم مختلفة تمامًا عن الظاهر؛ فمثلاً السيد ميدوز، إنه رجل من النوع المحير. أحيانًا قد أقول إنه نموذج للرجل الإنجليزي، غبي تمامًا، وأحيانًا أخرى ألاحظ أنه يتحدث بكلمات لا تنم عن أي غباء. إنه أمر غريب، أليس كذلك؟".

قالت توبنس بصرامة:

"أوه، أظن حقًا أن السيد ميدوز شخص عادي".

"إذن هناك آخرون مثيرون للارتياب. ربما تكونين تعرفين من المقصود؟".

هزت توبنس رأسها.

قالت السيدة أورورك مشجعة إياها: "واحدة من السيدات".

هزت رأسها عدة مرات.

وفجأة شعرت بالغضب وبالرغبة في الدفاع عن تلك الشابة الجميلة، ومن ثم قالت توبنس:

"شيلا مجرد فتاة متمردة! وعادة ما يكون المرء كذلك في هذا العمر".

هزت السيدة أورورك رأسها عدة مرات وبدت كتمثال صغير تذكرت توبنس وجوده على منضدة العمة جراسي، ابتسمت أورورك ابتسامة عريضة ثم قالت بهدوء:

"أعتقد أنك لست على دراية بأن اسم الآنسة مينتون الحقيقي هو صوفيا".

اندهشت توبنس وقالت: "أوه، هل تقصدين الآنسة مينتون؟".

قالت السيدة أورورك: "كلا".

استدارت توبنس نحو النافذة. يا له من أمر غريب! لقد استطاعت هذه السيدة العجوز التأثير فيها، وأثارت بداخلها إحساسًا بعدم الارتياح والخوف. قالت توبنس في قرارة نفسها: "أشعر الآن بأنني أشبه بالفأر الواقع بين براثن

القط".

تلك السيدة العجوز الضخمة المبتسمة، تجلس مكانها وتتظاهر بالهدوء - مع ذلك هناك أمور معينة تحاول معرفتها، لكن يجب ألا تصل إلى هدفها هذا ....

فكرت توبنس وهي تحدق من النافذة إلى الحديقة: "هراء - هذا كله مجرد هراء! كل ما هنالك أنني أتخيل مثل هذه الأمور". توقفت الأمطار ولم تعد هناك سوى قطرات بسيطة من الماء تتساقط من فوق الأشجار.

فكرت توبنس قائلة: "الأمر ليس له علاقة بخيالي؛ فأنا لست شخصية خيالية. هناك شيء ما، شيء ما مريب يحدث هنا. لو أنني أستطيع -".

تمت مقاطعة حبل أفكارها فجأة.

بآخر الحديقة تحركت الأشجار قليلاً وبين الأشجار ظهر وجه ما، وأخذ يحدق سرًا إلى الفندق. إنه وجه السيدة الأجنبية التي وقفت تتحدث إلى كارل فون دينيم على الطريق.

وقفت هذه السيدة ثابتة تمامًا، ولم ترمش حتى بعينها، لدرجة أن وجهها بدا لتوبنس كأنه غير آدمي. ظلت تلك السيدة تحدق، تحدق للأعلى باتجاه الفندق، بوجه خال من أي تعبير، ومع ذلك فإنها تمثل - نعم، بدون شك تمثل - تهديدًا من نوع ما. إنها لا تتحرك وتبدو عنيدة، ربما تكون تمثل روحًا ما، أو قوة خارقة، لكنها على أية حال تبدو مختلفة عن نزلاء سان سوسي وعما يسود هذا المكان من تفاهة. فكرت توبنس قائلة: "إذن ربما تنتظر الوقت المناسب لتنفيذ خطة ما".

طرأت هذه الأفكار بذهن توبنس لمدة ثانية أو اثنتين وفجأة ابتعدت عن النافذة وهمست ببعض الكلمات للسيدة أورورك وخرجت مسرعة من الغرفة ونزلت السلم وخرجت من الباب الأمامي.

استدارت لليمين وهرولت نحو الممر المؤدي للمكان الذي رأت به وجه السيدة. لكنها لم تجد أحدًا. ظلت توبنس تتحرك بين الشجيرات وتجري على الطريق وتنظر إلى أعلى وأسفل التل، لكنها لم تستطع رؤية أحد. أين ذهبت السيدة؟

استدارت وعادت إلى حديقة سان سوسي وهي تشعر بغضب شديد. هل كانت تتخيل كل هذا؟ كلا؛ فالسيدة كانت تقف هناك.

بعناد، ظلت تتجول بالحديقة، وتنظر خلف الشجيرات. ابتلت ثيابها ولم تعثر على أية آثار لأقدام السيدة الغريبة. عادت إلى الفندق وبداخلها شعور غريب ينذر بشر - خوف شديد من شيء ما على وشك الحدوث.

لم تستطع تخمين هذا الشيء، ولم تكن لتقدر قط على تخمينه.

٢

الآن بعدما تحسنت حالة الجو، قامت الآنسة مينتون بتجهيز بيتي استعدادًا لاصطحابها في جولة بالخارج، سيذهبان إلى المدينة لشراء دمية على شكل بطة لتسبح بحمام بيتي.

شعرت بيتي بسعادة غامرة وظلت تقفز بمنتهى النشاط لدرجة أنه كان من الصعب وضع ذراعها بكم الكنزة الصوفية. بعد الاستعداد خرجت بيتي مع الآنسة مينتون وظلت تثرثر بصوت مرتفع قائلة: "سنشتيي بطة، سنشتيي بطة، من أجل بييتي"، وظلت تكرر تلك الكلمات التي كانت تمنحها شعورًا غامرًا بالسعادة.

وجدت توبنس عودي ثقاب على المنضدة الموجودة بالردهة، ومن ثم علمت أن السيد ميدوز قضى فترة بعد الظهر في اقتفاء أثر السيدة بيرينا. توجهت توبنس نحو غرفة الاستقبال لتجلس بصحبة السيد والسيدة كايلي.

وجدت السيد كايلي في حالة مزاجية سيئة للغاية؛ لقد أتى إلى ليهامبتون، كما وضح، ليحظى بالراحة والهدوء، وأي هدوء سينعم به مع وجود طفلة بالمكان؟ فهي تتحرك طوال اليوم وتصرخ وتجري وتقفز ــ

تمتمت زوجته قائلة إن بيتي فتاة صغيرة وجميلة، لكن ملحوظتها لم تنل إعجابه.

قال السيد كايلي وهو يحرك رقبته: "بالطبع هي مجرد فتاة صغيرة لكن والدتها يجب أن تبقيها هادئة. هناك أشخاص آخرون يجب وضعهم في الاعتبار.

أشخاص يحتاجون إلى تهدئة أعصابهم".

قالت توبنس: "ليس من السهل أن تجعل طفلًا بهذا العمر يلتزم الهدوء، بل وليس من الطبيعي - إذا ما التزمت الطفلة الهدوء فهي تعاني مشكلة ما".

صاح السيد كايلي غاضبًا:

"هراء، هراء، تلك النزعة الحديثة؛ ترك الأطفال يفعلون ما يشاءون. يجب أن يتعلم الطفل الجلوس بهدوء واللعب بدمية أو قراءة شيء ما".

قالت توبنس وهي تبتسم :"إنها لم تبلغ الثالثة بعد، لن تستطيع القراءة".

"حسنًا، لابد من القيام بشيء ما حيال ذلك. سوف أتحدث إلى السيدة بيرينا. لقد ظلت الفتاة تغني وتغني بفراشها قبل حلول السابعة هذا الصباح. لقد قضيت ليلة سيئة ولم أخلد للنوم إلا مع قرب حلول الصباح - فإذا بها توقظني سريعًا".

قالت السيدة كايلي باهتمام: "من المهم جدًا أن يحصل السيد كايلي على أكبر قدر ممكن من النوم؛ فهذه تعليمات الطبيب".

قالت توبنس: "لابد أن تذهب إلى دار رعاية".

"عزيزتي، تكلفة هذه الأماكن تكون باهظة للغاية فضلًا عن كونها ليست بالمناخ المناسب، يقال إن الأمراض تنتشر بها، وهذا يؤثر بشكل سلبي على اللاوعي لديَّ".

شرحت السيدة كايلي الأمر قائلة: "طلب الطبيب منه الذهاب إلى مكان صحي وأن يحظى بحياة عادية؛ فظن أن الفندق سيكون أفضل من شراء منزل مفروش. السيد كايلي لا يحب العزلة وسيشعر بالحماس عندما يتبادل الأفكار مع الآخرين".

وفقًا لوجهة نظر توبنس، طريقة السيد كايلي في تبادل الأفكار كانت عبارة عن مجرد سرد لأمراضه وأعراض هذه الأمراض ورد فعل الطرف الآخر ما هو إلا مجرد استقبال هذا الكلام بنوع من التعاطف أو العكس.

بمهارة قامت توبنس بتغيير الموضوع.

قالت: "أود أن تخبرني عن رأيك في الحياة بألمانيا. لقد أخبرتني بأنك

سافرت إلى هناك كثيرًا على مدار السنوات القليلة الماضية. سيكون من الممتع أن أعرف رأي رجل يتمتع بخبرة كبيرة في الحياة مثلك. يمكنني القول إنك من الشخصيات التي ستقدم وصفًا واضحًا للأوضاع هناك، بدون أي تحامل".

ترى توبنس أن المدح يجب أن يرتكز على نقطة تمثل أهمية كبيرة بالنسبة للممدوح. سريعًا ما بلع السيد كايلي الطعم وقال:

"كما تقولين سيدتي العزيزة، لديَّ القدرة على تقديم آراء واضحة غير متحيزة. في رأيي ــــ".

كل ما قيل بعد ذلك كان عبارة عن حوار ذاتي تخللته بعض الجمل التي كانت تصرح بها توبنس أحيانًا مثل "هذا أمر مشوق للغاية"، أو "يا لك من شخص قوي الملاحظة!"، هكذا ظلت تستمع باهتمام لا يتناسب مع الموقف. أما السيد كايلي، متأثرًا بتعاطف مستمعه، فقد أبدى إعجابه بالنظام النازي. وأشار إلى أنه كان سيكون من الأفضل تمامًا لو أن انجلترا وألمانيا اتحدتا ضد باقي أوربا.

هذا الحوار الذي استمر ما يقرب من ساعتين بدون أية مقاطعات، توقف بسبب عودة الآنسة مينتون وبيتي بعد شراء الدمية. رفعت توبنس بصرها لترى تعبيرًا فضوليًا على وجه السيدة كايلي، تعبيرًا يصعب وصفه. ربما يكون مجرد غيرة زوجة بسبب استحواذ سيدة أخرى على انتباه زوجها، وربما يكون فزعًا من حقيقة كون السيد كايلي قد تحدث باستفاضة عن آرائه السياسية، لكنه بكل تأكيد كان يعبر عن عدم الرضا.

فيما بعد تم تقديم الشاي والأهم من ذلك أن السيدة سبروت قد عادت من لندن متسائلة:

"أتمنى أن تكون بيتي قد تصرفت بشكل مهذب ولم تسبب أية متاعب؟ هل كنت فتاة مهذبة يا صغيرتي؟"، ردت بيتي بكلمة واحدة:

"اللعنة!".

ومع ذلك لم يعتبر أحد تلك الكلمة تعبيرًا عن استيائها من عودة والدتها، بل مجرد إشارة لرغبتها في مواصلة اللعب.

ابتسمت السيدة أورورك عند سماع هذه الكلمة وقالت موبخة إياها:

"هذا خطأ عزيزتي بيتي".

بعد ذلك جلست السيدة سبروت وتناولت عدة أكواب من الشاي، وانهمكت في الحديث عن مشترياتها في لندن، والحشد الذي كان بالقطار، وما قاله جندي عاد مؤخرًا من فرنسا لركاب عربتها، وما أخبرتها به فتاة ما بخصوص ما سيحدث من عجز في المخزون.

في الواقع كانت المحادثة عادية تمامًا، وقد استكملت فيما بعد بالشرفة بالخارج؛ لأن الشمس كانت ساطعة بهذه اللحظة ولم يعد هناك أي أثر للمطر.

ظلت بيتي تتحرك في سعادة، وكانت تجري نحو الشجيرات وتعود وبيدها أوراق شجر الغار أو مجموعة من الحصى تضعها بحجر أحد الجالسين ثم تبدأ في شرح ما تمثله. لحسن الحظ لم تحتج إلا لقدر قليل من التعاون في لعبتها هذه، لذا اكتفت بتلك العبارة من حين لآخر: "أوه، جميل يا صغيرتي. هل قمت بذلك حقًا؟".

كان يومًا عاديًا جدًا من أيام سان سوسي، بل لم يمر عليهم يوم هادئ مثله؛ مجرد ثرثرة عادية، وتبادل شائعات، وحديث عن توقعات بخصوص الحرب - هل من الممكن أن تتحالف فرنسا؟ هل سيقدر ماكسيم ويجان على الإمساك بزمام الأمور؟ ماذا ستفعل روسيا؟ هل سيقدر هتلر على اجتياح إنجلترا إذا ما حاول؟ هل ستسقط باريس؟ هل صحيح أن ...؟ قيل إن ... هناك شائعة تقول إن ...

هكذا كانوا يقضون الوقت في الحديث عن الشائعات المتعلقة بالفضائح السياسية والعسكرية.

فكرت توبنس قائلة: "هل هذه الثرثرة تمثل خطرًا؟ هذا هراء، إنهم شخصيات عادية جدًا. يستمتع الناس بمثل هذه الشائعات؛ فهي تمنحهم الحافز اللازم للتغلب على مخاوفهم الخاصة". اشتركت في الحديث قائلة: "أخبرني ابني - بالطبع هذا أمر سري، كما تعرفون ـ".

فجأة نظرت السيدة سبروت بساعتها وقالت:

"يا إلهي، الساعة اقتربت من السابعة. كان من المفترض أن أصطحب بيتي لفراشها منذ عدة ساعات. بيتي - بيتي".

لقد مر بعض الوقت على آخر مرة عادت فيها بيتي إلى الشرفة، ومع ذلك لم يلاحظ أحد غيابها.

ظلت السيدة سبروت تنادي عليها بهلع قائلة:

"بيتتتتتي! ترى أين ذهبت الفتاة؟".

قالت السيدة أورورك وهي تضحك ضحكتها المعتادة:

"من المؤكد أنها ترتكب حماقة ما، ما من شك في ذلك؛ فهذا ما يقومون به دائمًا عندما يسود الهدوء".

"بيتي أود أن تأتي إلى هنا فورًا".

ما من رد مما زاد من شعور السيدة سبروت بعدم الصبر والهلع.

"أعتقد أنه يجب أن أذهب وأبحث عنها. ترى أين هي؟".

أشارت السيدة مينتون إلى أنها ربما تكون مختبئة بمكان ما واقترحت توبنس - من واقع ذكرياتها مع أطفالها - أنها ربما تكون بالمطبخ. لكن ما من فائدة لم يتم العثور عليها داخل أو خارج الفندق. ذهبوا إلى الحديقة وظلوا يهتفون باسمها، وبحثوا عنها بكل غرف النوم، لكن لم يكن لها أثر بأي مكان.

بدأت السيدة سبروت تشعر بالغضب.

"هذا تصرف غاية في الحماقة. بل أحمق جدًا في الواقع. هل تعتقدون أنها قد خرجت من الفندق؟".

ذهبت هي وتوبنس إلى البوابة ونظرتا أعلى وأسفل التل، لم يكن هناك أحد على مرمى البصر سوى عامل يقف بدراجته متحدثًا لإحدى الخادمات بالقرب من باب المنزل المقابل لهم.

اقترحت توبنس أن تذهبا إلى هناك، وبناء على اقتراحها عبرتا الطريق وذهبتا لسؤالهما عما إذا كانا شاهدا فتاة صغيرة تمر بالقرب منهما، فأومأ الفتى

والخادمة برأسهما، وفجأة سألت الخادمة بعدما تذكرت أمرًا ما:

"فتاة صغيرة ترتدي فستانًا أخضر مخططًا؟".

قالت السيدة سبروت بحماس:

"نعم، نعم".

"رأيتها منذ حوالي نصف ساعة - كانت تعبر الطريق بصحبة سيدة ما".

قالت السيدة سبروت بدهشة:

"بصحبة سيدة ما؟ كيف تبدو هذه السيدة؟".

شعرت الفتاة بنوع من الحرج ثم قالت:

"حسنًا، إنها سيدة ذات مظهر غريب أظن أنها أجنبية؛ فهي ترتدي ثيابًا غريبة الشكل وشيئًا ما أشبه بالقبعة، ولديها وجه غريب - هل تفهمين قصدي؟ لقد رأيتها مرة أو مرتين مؤخرًا، وفي الحقيقة شعرت بأنها مثيرة للشك".

فجأة تذكرت توبنس الوجه الذي رأته ظهر هذا اليوم يختلس النظر بين الشجيرات والشعور الغريب الذي اجتاحها؛ الخوف من وقوع حدث ما.

لكن لم يخطر ببالها قط أنها تخطط لاختطاف الطفلة، لم تقدر توبنس على استيعاب الأمر حتى الآن.

لم يتح لتوبنس وقت كافٍ للتأمل؛ لأن السيدة سبروت انهارت وسقطت تجاهها قائلة:

"أوه بيتي، طفلتي الصغيرة. لقد خطفت. كيف هو شكل هذه السيدة - هل هي من الغجر؟".

هزت توبنس رأسها بشدة وقالت:

"كلا إنها شقراء، شقراء جدًا، وعظم وجنتيها مرتفع وعينها زرقاء اللون".

رأت السيدة سبروت تحدق إليها فأسرعت لتوضيح الأمر:

"لقد رأيت هذه السيدة ظهر هذا اليوم - كانت تختلس النظر من بين الأشجار بآخر الحديقة. لقد رأيتها تتجول بالمكان. وكارل فون دينيم تحدث إليها يومًا

ما. لابد أنها السيدة نفسها".

قاطعتها الخادمة قائلة:

"أنت محقة؛ فهي شقراء وأجنبية؛ حيث لم تفهم كلمة واحدة مما قيل لها".

ظلت السيدة سبروت تندب قائلة: "يا إلهي! ماذا سأفعل؟".

وضعت توبنس يدها على كتفها ثم قالت:

"علينا أن نعود إلى الفندق، ونتناول كوبًا من العصير ثم نتصل بالشرطة. لا تقلقي ستعود إلينا سالمة".

ذهبت السيدة سبروت معها بهدوء، وظلت تتمتم قائلة:

"لا أستطيع تخيل كيف من الممكن أن تذهب بيتي بصحبة سيدة غريبة".

قالت توبنس: "إنها صغيرة للغاية، لم تصل بعد إلى سن تجعلها تشعر بالخوف".

صاحت السيدة سبروت بوهن قائلة:

"أعتقد أنها سيدة ألمانية شريرة وستقوم بقتل طفلتي".

قالت توبنس بغلظة: "هذا هراء، ستكون الطفلة على ما يرام. أعتقد أنها مجرد سيدة مجنونة". لكنها لم تصدق ما قالت - لم تقتنع ولو لدقيقة واحدة أن السيدة الشقراء الهادئة تعاني اضطرابًا عقليًا.

ماذا عن كارل؟ هل كارل لديه فكرة عن الأمر؟

بعد مضي دقائق قليلة شعرت بأنه لا علاقة له بما حدث؛ حيث إنه اندهش تمامًا ولم يصدق الخبر، مثله مثل الجميع.

بمجرد أن اتضحت كل الحقائق، قام النقيب بليتشلي بتولي زمام الأمر؛ حيث قال:

"إذن سيدة سبروت عليك بالجلوس وشرب القليل من هذا العصير، وسأذهب أنا إلى قسم الشرطة".

تمتمت السيدة سبروت قائلة:

"انتظر دقيقة ـ ربما يكون هناك شيء ما".

هرولت نحو السلم وصعدت إلى غرفتها.

بعد مضي دقيقة أو اثنتين سمعوا صوت خطواتها؛ نزلت السلم بسرعة رهيبة كسيدة مجنونة وأمسكت بيد النقيب بليتشلي وأبعدتها عن سماعة الهاتف؛ حيث كان على وشك رفعها.

ظلت تلهث قائلة: "كلا، كلا. لا تتصل ـ لا تفعل...".

وظلت تتشنج ثم انهارت وسقطت على الكرسي.

التف الجميع حولها. في غضون دقيقة أو اثنتين استعادت وعيها وجلست بمساعدة السيد كايلي، وأعطتهم شيئًا ليروه.

"وجدت هذا على الأرض بغرفتي. لقد كان ملفوفًا حول حجر وتم قذفه من خلال النافذة. انظروا ـ انظروا ما هو مكتوب".

أخذ تومي الورقة منها وفتحها.

إنها ملاحظة مكتوبة بخط غريب وكبير الحجم.

طفلتك معنا. وسنخبرك فيما بعد بما عليك القيام به. إذا ما أبلغت الشرطة، فسنقتلها. لا تنطقي بكلمة واحدة. انتظري التعليمات وإلا ـــ

كانت الملاحظة موقعة بصورة جمجمة وعظمتين متصالبتين تحتها.

أخذت السيدة سبروت تنوح:

"بيتي ـ بيتي".

أخذ الجميع يتحدثون في آن واحد: قالت السيدة أورورك: "تلك الشريرة القاتلة القذرة". قالت شيلا بيرينا: "يا للوحشية!". قال السيد كايلي: "يا للهول! ما هذا؟ ـ لا أصدق كلمة مما يقال. أشعر بأنها مزحة سخيفة". قالت

الآنسـة مينتـون: "أوه تلك الصغيـرة الجميلة". قال كارل فـون دينيم: "لا أفهم. هذا أمر لا يصدق". فضلًا عن الصوت الجهوري للنقيب بليتشلي الذي قال:

"اللعنة ما كل هذا الهراء والترويع، يجب أن نبلغ الشرطة فورًا؛ فهم سيصلون سريعًا للجاني".

مرة ثانية تحرك نحو الهاتف لكن صراخ السيدة سبروت أوقفه.

صاح قائلًا:

"لكـن سيدتـي العزيزة علينـا القيام بهذا. طلبهم منك عـدم إبلاغ الشرطة ما هو إلا وسيلة لمنعك من الإمساك بهم".

"سوف يقتلونها".

"هذا مجرد هراء. لن يجرؤوا على القيام بذلك".

"لن أتصل بالشرطة، أنا والدتها، والقرار قراري".

"أعرف، أعرف وهذا ما يعتمدون عليه ـ شعورك كأم. وهذا شعور طبيعي، ولكن عليك أن تتقبلي نصيحتي، كجندي ورجل ذي خبرة، نحن بحاجة إلى الشرطة".

"لا".

ظل بليتشلي ينظر إلى من حوله بحثًا عمن يدعم رأيه.

"ميدوز هل توافقني الرأي؟".

أومأ تومي برأسه ببطء.

"مـاذا عنك يا كايلي؟ انظري سيـدة سبروت، كل من كايلي وميدوز يوافقانني الرأي".

قالت السيدة سبروت بنشاط مفاجئ:

"أنتم رجال. جميعكم رجال، اسأل السيدات".

بحث تومي عن توبنس بعينيه فإذا بها تقول بصوت خافت ومهتز:

"أنا ـ أنا أوافق السيدة سبروت الرأي".

كانت تفكر في قرارة نفسها: "لو أن هذا حدث لديبورا وشقيقها ، لكنت شعرت مثلهـا. تومـي والآخـرون محقون، ما من شك لديَّ في ذلـك، لكنني لم أكن لأقدر على تنفيذ نصيحتهم. لم أكن لأجازف".

قالت السيدة أورورك:

"ما من أم ستقدر على هذه المجازفة وهذه حقيقة".

تمتم السيد كايلي قائلًا:

"أعتقد أن ـ حسنًا ـ" ثم تحدث بكلام غير مترابط.

قالت الآنسة مينتون وهي ترتجف:

"مثل هذه الأمور المروعة تحدث. لن نسامح أنفسنا أبدًا إذا ما وقع للصغيرة أي مكروه".

قالت توبنس بحدة:

"لم تقل شيئًا سيد فون دينيم".

عينـا كارل ذواتـا اللون الأزرق كانتا لامعتين للغايـة ووجهه بدا عليه الذهول. قال ببطء وعناد:

"أنـا أجنبـي. ولا أعـرف شيئـا عن رجـال الشرطـة الإنجليز؛ مـدى كفاءتهم ـ وسرعتهم".

أتـى شخـص مـا للردهـة. إنهـا السيدة بيرينـا، كانـت محمـرة الوجنتين. من الواضح أنها صعدت التل بسرعة شديدة. قالت:

"مـا كل هـذا؟" تحدثـت بنبـرة مسيطـرة ومستبـدة، ليسـت كصاحبـة فنـدق لطيفة، بل كسيدة ذات نفوذ.

أخبروهـا بما حدث ـ قصة محيرة سردها العديد من الأشخاص، لكنها فهمت ما يحدث سريعًا.

وبعدمـا عرفـت مـا يـدور، أصبـح القـرار، علـى ما يبـدو، بيدهـا؛ فهـي بمثابة المحكمة العليا.

أمسكت بالملحوظة التي تركها الخاطف لمدة دقيقة، ثم تركتها، ثم تحدثت بمنتهى الحدة والتسلط قائلة:

"الشرطة لن تفيدنا. لن نجازف ونتحمل تخبطهم. يجب أن نعتمد على أنفسنا ونتولى مهمة البحث عن الطفلة".

قال بليتشلي وهو يهز كتفيه:

"حسنًا، فإذا كنا لن نبلغ الشرطة، فمن الأفضل أن نبحث عنها".

قال تومي:

"لم يمض وقت طويل على غياب الفتاة".

قالت توبنس: "قالت الخادمة إنها ذهبت منذ نصف ساعة".

قال بليتشلي: "هايدوك، إننا بحاجة إلى مساعدة هذا الرجل؛ فهو لديه سيارة. قلتم إن السيدة التي خطفتها غريبة المظهر أليس كذلك؟ وأجنبية؟ لابد أنها ستترك خيطًا يمكننا تتبعه. هيا، ما من وقت لنضيعه. هل ستأتي معنا سيد ميدوز؟".

نهضت السيدة سبروت.

"سوف أرافقكم".

"كلا سيدتي اتركي لنا هذه المهمة ـ".

"سوف أرافقكم".

"أوه حسنًا ــ" .

استسلم ـ وأخذ يتمتم بكلمات متعلقة بالنساء ومدى إصرارهن مقارنة بالرجال.

٣

في النهاية، قام السيد هايدوك بقيادة السيارة بعدما استوعب الموقف بسرعة، جلس تومي بجواره، وبالخلف كان بليتشلي والسيدة سبروت وتوبنس. لقد ذهبت معهم ليس فقط لأن السيدة سبروت رغبت في ذلك، بل أيضًا لأنها الوحيدة (باستثناء كارل فون دينيم) التي تعرف شكل الخاطفة الغريبة.

كان القائد هايدوك منظمًا وسريع الحركة؛ فبسرعة رهيبة ملأ السيارة بالبنزين وأحضر خريطة للمقاطعة وأخرى لليهامبتون نفسها وأعطاهما لبليتشلي وكان على أتم استعداد للانطلاق.

صعدت السيدة سبروت السلم مرة ثانية، ربما إلى غرفتها لإحضار معطفها، لكن عندما ركبت السيارة وتحركوا نحو أسفل التل كشفت لتوبنس عما بداخل حقيبتها. إنه مسدس صغير.

قالت بهدوء:

"لقد حصلت عليه من غرفة النقيب بليتشلي. لقد تذكرت أنه قال في يوم ما إن لديه واحدًا".

بدا على توبنس الارتياب:

"هل تظنين أن ـ؟".

همست السيدة سبروت قائلة:

"قد نحتاج إليه".

جلست توبنس متعجبة من القوة الغريبة التي يخلقها إحساس الأمومة بداخل سيدة شابة عادية. تخيلت السيدة سبروت، سيدة من النوع الذي يشعر بالذعر من الأسلحة النارية، وهي تطلق النار بكل سهولة على أي شخص سيحاول إيذاء طفلتها.

بناء على اقتراح القائد هايدوك، توجهوا في البداية إلى محطة القطار. هناك قطار غادر ليهامبتون منذ حوالي ٢٠ دقيقة ومن المحتمل أن المجرمين قد استقلوه.

بالمحطة تفرقت المجموعة، ذهب هايدوك إلى جامع التذاكر، وتومي لمكتب الحجز، وبليتشلي إلى حاملي الحقائب. وبالنسبة لتوبنس والسيدة سبروت فقد ذهبتا إلى حمام السيدات على أمل أن السيدة قد ذهبت إلى هناك لتعديل مظهرها قبل ركوب القطار.

لم يصل أي منهم لنتيجة معينة. أصبح الأمر الآن أكثر صعوبة. أشار هايدوك إلى أن الخاطفين كانت لديهم على الأرجح سيارة تنتظرهم، وبمجرد أن تم إقناع بيتي بالذهاب مع السيدة، هربوا باستخدام تلك السيارة. ولهذا السبب، كما أشار النقيب بليتشلي مرة ثانية، هم بحاجة إلى تعاون الشرطة، فهذا الموقف يستلزم تنظيم إجراءات معينة تقتضي إرسال إشارات بجميع أنحاء المدينة، إشارات تغطي كل الطرق.

هزت السيدة سبروت رأسها، وضمت شفتيها وبدا عليها الغضب.

قالت توبنس:

"يجب أن نضع أنفسنا مكانهم. أين كانوا سينتظرون بالسيارة؟ بمكان ما بالقرب من سان سوسي؛ حيث لن تتم ملاحظة السيارة. الآن دعونا نفكر. اتجهت السيدة وبيتي نحو أسفل التل، وهناك يوجد المتنزه. ربما كانت السيارة تنتظر هناك. لا توجد أماكن أخرى سوى موقف السيارات بميدان جيمس؛ فهو مكان قريب أيضًا، أو أحد الشوارع الصغيرة التي تؤدي للمتنزه".

عند هذه اللحظة اتجه نحوهم رجل يرتدي نظارة ذو بنية جسمانية ضئيلة وسلوك غريب وقال:

"معذرة ... أتمنى ألا أكون متطفلًا... لكنني لم أستطع تفادي سماع ما كنتم تسألون عنه حامل الحقائب للتو" (ثم وجه حديثه إلى النقيب بليتشلي) "بالطبع لم أكن أسترق السمع، فقط أتيت للاستعلام عن طرد بريدي - فالكثير من الطرود تتأخر هذه الأيام - يقولون إن ذلك بسبب تحركات القوات - لكن الأمر يكون صعبًا للغاية عندما يكون الشيء الذي تنتظره قابلًا للتلف - أتحدث عن الطرد بكل تأكيد - هكذا سمعتكم تتحدثون - إنها مصادفة غريبة ...".

انقضت السيدة سبروت عليه وأمسكت بذراعه قائلة:

"هل رأيتها؟ هل رأيت ابنتي الصغيرة؟".

"أوه حقًا، هل هي ابنتك؟ الآن أتخيل أن ـ".

صاحت السيدة سبروت: "أخبرني" وأصابعها ممسكة بذراعه بإحكام لدرجة أنه شعر بالفزع.

قالت توبنس بسرعة:

"من فضلك أخبرنا بأي شيء رأيته بأقصى سرعة. سنكون ممتنين لك جدًا إذا ما فعلت".

"أوه، حسنًا، في الواقع ربما لا يمثل ما أقوله شيئًا على الإطلاق، لكن الوصف متطابق للغاية مع ـ".

شعرت توبنس بأن سبروت ترتعش بجوارها، لكنها هي الأخرى بذلت أقصى جهد لتحافظ على هدوئها وتعقلها. لقد عرفت نوع الشخص الذي تتعامل معه ـ صعب الإرضاء، مضطرب، وغير قادر على الدخول مباشرة في صلب الموضوع. قالت:

"من فضلك أخبرنا".

"كل ما هنالك ـ بالمناسبة اسمي روبنز، إدوارد روبنز ـ".

"ماذا لديك سيد روبنز؟".

"أعيش بمستوطنة وايتويز، بالقرب من طريق إرنز كليف، بأحد هذه المنازل الجديدة على الطريق الجديد ـ إنها منازل مناسبة تمامًا وتطل على منظر جميل وبالأسفل ترى مجموعة من الأحجار متناثرة هنا وهناك".

نظرت توبنس للنقيب بليتشلي في محاولة لتهدئته؛ حيث رأت أنه على وشك الانفجار غضبًا، وقالت:

"وهل رأيت الفتاة الصغيرة التي نبحث عنها؟".

"نعم، أعتقد أنها هي. قلت إنها فتاة صغيرة بصحبة سيدة أجنبية، أليس كذلك؟ إنها حقًا السيدة التي شاهدتها. إننا جميعًا هذه الأيام نتوخى الحذر

مـن الطابـور الخامس، أليس كذلـك؟ يقولون إننا يجب أن نكـون حذرين للغاية، وأنـا دائمًـا مـا أحـاول القيـام بذلـك، ولذلـك، لاحظـت هـذه السيدة. لقـد ظننت أنهـا ممرضـة أو خادمـة ـ لقد أتى الكثير مـن الجواسيس إلى هنـا منتحلين هذه الصفـات، وهـذه السيـدة كانت تبدو غريبـة للغاية وكانت بصحبتهـا فتاة صغيرة. بدت الفتاة متعبة وترغب في النوم، الساعة حينها كانت حوالي السابعة والنصف ومعظـم الأطفـال يخلـدون للنوم قبل ذلك؛ لـذا أخذت أحدق إلـى السيدة. أعتقد أن نظراتـي جعلتهـا ترتبك ومن ثـم أسرعت وأخذت تسحب الطفلـة وراءها، وفي النهايـة حملتهـا وسارت نحو الجرف، وهو ما رأيته غريبًا لأنه ما من منازل هناك علـى الإطـلاق، مـا من شـيء، ليس قبـل أن تصل إلـى مدينة وايتهافن ـ على بعد حوالـي ٥ أميـال ـ مسافـة مناسبة لمـن يحبون السيـر على الأقـدام. لكن في هذا الموقـف ظننـت أن تصرف هذه السيدة غريب للغاية. تساءلت ما إذا كانت السيدة ذاهبة لتبليغ إشارة ما؛ فنحن نسمع عن الكثير من أنشطة الأعداء، وهذه السيدة بدت مرتبكة عندما رأتني أحدق إليها".

عاد القائد هايدوك إلى السيارة وأشعل المحرك ثم قال:

"لقـد ذكرت طريـق إرنز كليف. حسنًا، إنه بالجانب الآخـر من المدينة، أليس كذلك؟".

"بلى، عليك أن تمر عبر المتنزه ثم المدينة القديمة ثم تتجه لأعلى ـ"

قفز الجميع إلى السيارة، لم يستمعوا إلى المزيد من حديث السيد روبنز.

صاحت توبنس قائلة:

"شكرًا لك سيد روبنز"، ثم انطلقوا تاركين إياه واقفا محدقا إليهم فاغرا فاه.

قـادوا السيـارة سريعًا، والحظ وحـده، وليس مهارتهم، هـو الذي جنبهم عدة حـوادث. لكـن فيمـا بعد لـم يعد للحظ مـكان. وصلـوا إلى مجموعة مـن المباني ثـم سلكـوا سلسلة من الطرق الصغيـرة إلى أسفل التل، وتوقفـوا على بعد مسافة قصيرة من طريق إرنز كليف.

استـدار القائـد هايـدوك بـذكاء نحو هـذا الطريق وقـاد السيـارة للأعلى. في النهاية وصلوا إلى جانب التل، وهناك وجدوا ممرًا ضيقًا يتجه لأعلى.

قال بليتشلي: "من الأفضل أن ننزل ونقطع الطريق سيرًا على الأقدام".

قال هايدوك بارتياب:

"من الممكن أن نستخدم السيارة فالأرض ثابتة بدرجة كافية، صحيح أنها وعرة لكن أعتقد أنه بإمكاننا اجتيازها".

صاحت السيدة سبروت قائلة: "أوه نعم، من فضلك، من فضلك، ... يجب أن نتحلى بالسرعة".

تمتم هايدوك متحدثًا إلى نفسه قائلًا:

"أتمنى أن نكون نبحث في الطريق الصحيح؛ فهذا الشخص الأحمق ربما يكون قد شاهد أية سيدة ومعها طفلة".

أخذت السيارة تصدر صوتًا غريبًا في أثناء السير على الأرض غير الممهدة. كان الانحدار شديدًا لكن المساحة الخضراء كانت قصيرة ولينة. وصلوا دون وقوع أية حوادث. إنها مساحة كبيرة خالية وعلى بعد مسافة معينة يوجد الشاطئ.

قال بليتشلي:

"فكرة جيدة. من الممكن أن تقضي السيدة الليلة هنا إذا ما اضطرت لذلك، ثم تتجه إلى وايتهافن صباح الغد وتستقل القطار من هناك".

قال هايدوك:

"ما من أثر لهما كما أرى".

كان واقفًا وبيده نظارة مقربة يضعها أمام عينيه. فجأة بدا عليه التوتر عندما ركز النظارة على نقطتين صغيرتين تتحركان.

"يا إلهي، وجدتهما ...".

جلس بمقعد القيادة مرة ثانية وانطلقت السيارة. يبدو أن المطاردة اقتربت من نهايتها. انطلقوا بسرعة رهيبة، وظلت السيارة تتمايل على جانبي الطريق. اقتربوا من الهدف جدًا، أصبح من الممكن تمييزهما الآن - جسم طويل وآخر قصير - وعندما اقتربوا أكثر، سيدة تمسك طفلة من يدها - مزيد من القرب، نعم، طفلة ترتدي فستانًا أخضر. إنها بيتي.

شرعت السيدة سبروت في البكاء.

قال النقيب بليتشلي وهو يربت كتفها بلطف: "حسنًا يا عزيزتي، لقد وجدناها".

استمروا في طريقهم، وفجأة استدارت السيدة ورأت السيارة تقترب منها.

صاحت وحملت الطفلة بين ذراعيها وظلت تجري.

أخذت تجري، ليس للأمام بل إلى الجانب نحو حافة الجرف.

بعد عدة ياردات، لم تستطع السيارة تعقبها؛ فالأرض كانت غير ممهدة ومحاصرة ببعض الصخور. توقفت السيارة ونزل منها الركاب.

خرجت السيدة سبروت أولًا وهرولت بسرعة نحو السيدة الهاربة.

تبعها الآخرون.

عندما أصبحوا على بعد ٢٠ ياردة استدارت السيدة الأخرى، أصبحت الآن تقف عند حافة الجرف. وأخذت تصرخ وتضم الفتاة لها أكثر.

صاح هايدوك:

"يا إلهي، سوف ترمي الطفلة من فوق الجرف ..." .

وقفت السيدة، وضمت بيتي لها وأمسكتها بإحكام. وجهها بدت عليه الكراهية. ظلت تتحدث بصوت مبحوح وتصرخ بعبارات لم يفهموها. حتى الآن ما زالت تمسك بالطفلة وتنظر من وقت لآخر بالأسفل - حوالي ياردة من مكانها.

بدا واضحًا أنها تهدد برمي الفتاة من أعلى الجرف.

وقفوا جميعًا في حالة من الذهول والرعب، غير قادرين على الحركة خوفًا من وقوع كارثة.

وضع هايدوك يده في جيبه وأخرج مسدسًا.

صاح قائلًا: "ضعي الطفلة على الأرض، وإلا فسأطلق النار".

ضحكت السيدة الأجنبية وضمت الطفلة لها أكثر بحيث أصبحا كشخص واحد.

تمتم هايدوك قائلاً: "لا أستطيع إطلاق النار. من الممكن أن أصيب الطفلة".

قال تومي:

"هذه السيدة مجنونة سوف تقفز في أية لحظة ومعها الطفلة".

قال هايدوك ثانية:

"لا أستطيع إطلاق النار ـــ" .

لكن عند هذه اللحظة شخص ما كان قد أطلق الرصاص وسقطت السيدة على الأرض بينما ما زالت الطفلة بين ذراعيها.

هرول الرجال نحو الأمام، بينما وقفت السيدة سبروت مكانها، وبيدها المسدس، وظلت تحدق.

خطت خطوات قليلة نحو الأمام.

جلس تومي على ركبتيه بجوار السيدة والطفلة، ثم أدار السيدة بلطف ورأى وجهها - وعلق على جمالها الغريب. فتحت السيدة عينيها ونظرت إليه، ثم تنهدت وفارقت الحياة إثر الرصاصة التي أصابت رأسها.

نهضت بيتي ولم يصبها أي أذى ثم اتجهت نحو السيدة ووقفت كالتمثال.

فيما بعد، استعادت السيدة سبروت توازنها ورمت المسدس من يدها وضمت الطفلة لحضنها.

بكت قائلة:

"إنها بأمان - إنها بأمان - أوه بيتي - بيتي"، ثم قالت بنبرة خافتة وفي ذعر:

"هل - هل - قتلتها؟".

قالت توبنس بثبات:

"لا تفكري في هذا - لا تفكري في هذا. فكرى في بيتي. فقط بيتي".

ضمت السيدة سبروت الطفلة لها وأخذت تبكي. تقدمت توبنس لتنضم إلى الرجال.

تمتم هايدوك قائلًا:

"يا لها من معجزة دموية! لم أكن لأقدر على إطلاق رصاصة كهذه. كما أنني لا أظن أن السيدة قد استخدمت مسدسًا من قبل - هل استخدمت غريزتها فقط؟ إنها معجزة بكل المقاييس".

قالت توبنس:

"حمدًا لله! لقد كانت مهمة صعبة للغاية"، ونظرت لأسفل نحو البحر وأخذت ترتعش.

الثامن

تـم تأجيـل التحقيـق بخصوص السيدة التي فارقـت الحياة حتى تـم التحقق من شخصيتها؛ حيث ثبت أن اسمها فاندا بولونسكا، لاجئة بولندية.

بعـد المشهـد الدرامـي على المنحـدر، عادت السيـدة سبروت - وهـي في حالة انهيـار تـام - وبيتي إلـى سان سوسـي. وبالفنـدق قدموا لبطلـة الليلـة التي كانت تعاني شبه إغماء أكوابًا من الشاي والعصير كما واجهت أيضًا الكثير من الأسئلة الفضولية.

وعلـى الفور اتصـل القائد هايدوك بالشرطة، وتحت إشرافه ذهبوا إلى مسرح الجريمة عند الجُرف.

لـولا أخبـار الحـرب المزعجـة، لاحتلت تلك القصـة مساحة كبيـرة بالصحف أكبر مما خصص لها. في الواقع احتلت مجرد فقرة واحدة صغيرة.

يتحتـم علـى كل من توبنس وتومي الإدلاء بشهادتهما في التحقيق، وفي حالة مـا إذا فكـر أي صحفـي فـي التقـاط صـور للشهـود الذيـن لا يمثلـون أيـة أهمية، فسيتسبـب حـظ السيد ميدوز العسر في وجـود ألم ما بعينه يستلزم ارتداء نظارة

شمس، وبالنسبة للسيدة بلنكينسوب فمعالم وجهها كانت مختفية بالفعل بسبب القبعة التي ترتديها.

لكن الاهتمام بأكمله قد تركز على السيدة سبروت والقائد هايدوك. وبالنسبة للسيد سبروت فقد أتى على الفور لرؤية زوجته بعدما تم استدعاؤه ببرقية تلغراف، لكنه تحتمت عليه العودة سريعًا في اليوم نفسه. لقد بدا رجلًا لطيفًا لكنه لم يكن شخصية ممتعة للغاية.

فُتح التحقيق بتحديد هوية الجثة عن طريق السيدة كالفونت، سيدة ذات نظرة ثاقبة كانت تعمل منذ عدة أشهر على توفير سبل الراحة للاجئين.

قالت هذه السيدة إن بولونسكا قد أتت إلى إنجلترا بصحبة ابن عمها وزوجته؛ حيث لم يكن لها أقارب غيرهما، على حد علمها. ومن وجهة نظرها كانت بولونسكا تعاني إلى حد ما اضطرابًا نفسيًا ؛ حيث علمت منها أنها قد تعرضت لمشاهد رعب فظيعة في بولندا وأن أفراد أسرتها؛ من بينهم العديد من الأطفال، قد قتلوا جميعًا. بدت بولونسكا غير ممتنة على الإطلاق لأي شيء تم من أجلها، وكانت تشعر بالارتياب وقليلة الكلام. كثيرًا ما كانت تتمتم وتتحدث إلى نفسها، ولم تبد طبيعية. وقد تم العثور لها على وظيفة لكنها تركتها منذ عدة أسابيع بدون سابق إنذار وبدون إبلاغ الشرطة.

سأل المحقق لماذا لم يبلغ أقاربها، وعندئذ أوضح المفتش براسي الأمر.

الزوجان موضوع الحديث تم القبض عليهما بسبب الهجوم على ترسانة بحرية. فقد صرح أن هذين الأجنبيين ادعيا أنهما لاجئان كي يدخلا المدينة، لكنهما حاولا على الفور الحصول على وظيفة بالقرب من قاعدة بحرية. الأسرة بأكملها كانت موضع شك؛ حيث كان لديهم مبلغ كبير من المال أكبر من المعتاد. لم تكن هناك أية معلومات بخصوص بولونسكا - باستثناء كونها معادية لبريطانيا. ربما كانت أيضًا عميلة للعدو، ومن ثم فإن ما تظاهرت به من غباء كان مقصودًا.

عندما تم استدعاء السيدة سبروت انهمرت سريعًا في البكاء. كان المحقق لطيفًا معها وقادها بمهارة للحديث عما حدث.

لهثت السيدة سبروت وقالت: "يا له من تصرف رهيب! رهيب جدًا لقد قتلت إنسانة. لم أقصد القيام بذلك - أعنى أنني لم أفكر قط - لكن بيتي كانت في خطر - ظننت أن هذه السيدة ستلقيها من فوق الجرف وتحتم عليَّ إيقافها - و يا إلهي - لا أدرى كيف فعلت ذلك".

"هل أنت معتادة استخدام الأسلحة النارية؟".

"أوه، كلا. لم أستخدم سوى البنادق بسباقات الزوارق - بالمهرجانات - عندما تطلق النيران على الأكشاك، وحتى عندئذ لم أكن أصيب أي شيء. أوه، يا إلهي - رغم كل ذلك ما زلت أشعر بأنني *قتلت شخصًا* ما".

قام المحقق بتهدئتها وسألها عما إذا كانت قد تواصلت من قبل مع القتيلة.

"أوه، كلا. لم أرها قط من قبل. أعتقد أنها كانت مجنونة؛ لأنها لم تكن حتى على معرفة بي أو ببيتي".

وردًا على مزيد من الأسئلة قالت السيدة سبروت إنها قد حضرت حفل حياكة لتزويد اللاجئين البولنديين ببعض الثياب، وتلك هي حدود معرفتها بالبولنديين بهذه البلدة.

كان هايدوك هو الشاهد التالي، وقد أخذ يصف الخطوات التي اتخذها لاقتفاء أثر الخاطفة وما حدث بالنهاية.

"هل أنت متأكد من أن السيدة كانت تستعد تمامًا للقفز من فوق الجرف؟".

"إما أنها كانت ستلقي نفسها أو الطفلة. لقد بدت معتوهة محملة بالكراهية. كان من المستحيل أن نتعامل معها بتعقل. لقد كانت لحظة حاسمة يجب فيها اتخاذ إجراء فوري. أنا نفسي فكرت في إطلاق النار عليها، لكنها كانت تمسك بالطفلة كواقٍ لها؛ لذا خشيت أن أصيب الطفلة إذا ما أطلقت عليها النار. بيد أن السيدة سبروت جازفت ونجحت في إنقاذ حياة طفلتها الصغيرة".

شرعت السيدة سبروت في البكاء مرة ثانية.

وبالنسبة لشهادة السيدة بلنكينسوب فكانت قصيرة - مجرد تأكيد لشهادة القائد هايدوك.

فيما بعد حان دور السيد ميدوز.

"هل توافق على ما قاله القائد هايدوك والسيدة بلنكينسوب بخصوص ما حدث؟".

"نعم. كانت السيدة منفعلة للغاية لدرجة أنه كان من المستحيل الاقتراب منها. كانت على وشك الإلقاء بنفسها وبالطفلة من فوق الجرف".

لم يكن هناك المزيد من الأدلة. أخبر المحقق هيئة المحلفين بأن فاندا بولونسكا قد لاقت حتفها على يد السيدة سبروت التي أعفاها تمامًا من المسئولية. لم يكن هناك أي دليل ملموس على الحالة العقلية للسيدة قبل موتها. ربما كانت مدفوعة بكرهها لإنجلترا. بعض المعونات البولندية التي توزع على اللاجئين تحمل أسماء السيدات اللاتي يرسلنها، من ثم من المحتمل أن تكون القتيلة قد حصلت على اسم السيدة سبروت وعنوانها بهذه الطريقة، بيد أنه لم يكن من السهل معرفة سبب خطفها للطفلة - ربما يكون سببًا جنونيًا غامضًا لا يستوعبه العقل الطبيعي. عانت بولونسكا، وفقًا لقصتها، من مآس كثيرة ببلدتها، وربما يكون ذلك السبب وراء ما أصابها من جنون. من ناحية أخرى، ربما تكون عميلة للعدو.

هكذا جاء الحكم متفقًا مع الملخص الذي قدمه المحقق.

٢

في اليوم الذي تلا التحقيق التقى كل من السيد ميدوز والسيدة بلنكينسوب لمقارنة ما لديهما من ملاحظات.

قال تومي بحزن: "وصلنا لطريق مسدود كالعادة حتى في قضية بولونسكا".

أومأت توبنس برأسها قائلة:

"نعم؛ فلم تتوصل الشرطة حتى لأية نتيجة. ما من أوراق أو أدلة من أي نوع تشير إلى مصدر الأموال التي كانت لديها هي وابن عمها، وما من سجلات تشير للأشخاص الذين كانوا يتعاملون معهم".

قال تومي: "إنهم بارعون إلى أقصى حد"،

ثم أضاف: "أتعرفين توبنس، إنني لا تعجبني كيفية سير الأمور".

صدقت توبنس على كلامه. في الواقع كانت الأخبار غير مطمئنة على الإطلاق.

الجيش الفرنسي كان ينسحب ولم يكن هناك ما يدل على إمكانية تحسن الوضع. الانسحاب من دنكيرك كان مستمرًا. وكان من الواضح أن سقوط فرنسا لم يتبق عليه سوى أيام قليلة. كان هناك خوف عام من إعلان العجز في المعدات والمواد اللازمة لمقاومة الوحدات الألمانية الميكانيكية العظيمة.

قال تومي:

"هل هذا مجرد ارتباكنا وتباطؤنا المعتاد؟ أم أن هناك مخططًا معينًا وراء كل ذلك؟".

"أعتقد أنه الاحتمال الثاني، لكنهم لن يقدروا أبدًا على إثبات ذلك".

"كلا؛ فأعداؤنا يتحلون بمهارة فائقة في وضع الخطط".

"نحن الآن نتحرى عن الأمر".

"أوه نعم، نحن نحوم حول الشخصيات الواضحة، لكنني لا أظن أننا اكتشفنا العقول المدبرة لكل هذا. العقول والمنظمات التي وضعت تلك الخطة المحكمة - خطة تستغل عادات التباطؤ لدينا وعداوتنا لتحقق أهدافها".

قالت توبنس:

"لهذا السبب نحن هنا - لكننا لم نتوصل لأية نتائج بعد".

ذكرها تومي قائلًا: "لقد وصلنا لنتيجة ما".

"نعم، كارل فون دينيم وفاندا بولونسكا. الشخصيات قليلة الأهمية".

"هل تعتقدين أنهما كانا يعملان معًا؟".

قالت توبنس بعد تفكير متأنٍ: "نعم، أظن ذلك، لقد رأيتهما يتحدثان معًا".

"هل هذا يعني أن كارل فون دينيم هو الذي دبر عملية الخطف؟".

"أظن ذلك".

"لكن لماذا؟".

قالت توبنس: "هذا ما أود معرفته وأفكر فيه كثيرًا. هناك شيء ما لا أفهمه".

"لماذا اختطف تلك الطفلة تحديدًا؟ ما خطب عائلة سبروت؟ فهم ليسوا أثرياء - مما يعني أنهم لم يكونوا يرغبون بالفدية. وما من أحد بهذه العائلة يعمل بأي منصب حكومي".

"أعرف يا تومي؛ فهذا تصرف غير مفهوم على الإطلاق".

"أليس للسيدة سبروت نفسها أدنى فكرة؟".

قالت توبنس بتهكم: "هذه السيدة لا تتحلى بأي قدر من الذكاء؛ فهي لا تفكر على الإطلاق. كل ما تقوله أن هذا هو الشيء المتوقع من الألمان الملعونين".

قال تومي: "يا لها من امرأة سخيفة! فالألمان يتمتعون بالكفاءة، وإذا ما أرسلوا واحدة من عملائهم لاختطاف طفلة، فلابد أن هناك سببا وراء ذلك".

قالت توبنس: "لديَّ شعور بأن السيدة سبروت يمكنها معرفة السبب فقط إذا فكرت قليلًا. لابد أن هناك *شيئًا ما* - معلومة ما لديها، لكنها لا تدرك ذلك".

اقتبس تومي بعض الكلمات التي تضمنتها الملاحظة التي عثرت عليها السيدة سبروت بغرفتها: *"لا تنطقي بكلمة واحدة. انتظري التعليمات*. اللعنة فهذا يعني *شيئًا ما*".

"بالطبع يعني شيئًا ما - يجب أن يكون هناك شيء ما. الشيء الوحيد الذي يمكنني التفكير فيه هو أن السيدة سبروت، أو زوجها، قد أعطاهما شخص ما شيئًا ليحتفظا به - ربما فقط لأنهما شخصيتان عاديتان ومملتان وما من أحد سيتوقع وجود هذا الشيء معهما - أيًا كان هذا "الشيء" الذي نتحدث عنه".

"إنها فكرة".

"أعرف - لكنها رهيبة مثلها مثل قصة التجسس؛ فهي تبدو غير واقعية إلى حد ما".

"هل طلبت من السيدة سبروت أن تمعن التفكير قليلًا؟".

"نعم، لكن المشكلة تكمن في كونها غير مهتمة حقًا؛ فكل ما يشغلها هو استعادة بيتي - والدخول في نوبات هستيرية بسبب إطلاقها الرصاص على شخص ما".

فكر تومي قائلًا: "هؤلاء النساء يا لهن من مخلوقات مضحكة! فهذه السيدة خرجت ذلك اليوم ثائرة للغاية وأطلقت النار على هذه اللاجئة وقتلتها بدم بارد بدون أي تأثر فقط لتستعيد طفلتها، ثم بعد ذلك، بعد أن حالفها الحظ وتمكنت من إصابة الخاطفة، تنهار وتشعر بالسخط حيال ما قامت به".

قالت توبنس: "لقد برأها المحقق من الجريمة".

"هذا أمر طبيعي. يا إلهي! لم أكن لأجازف بإطلاق الرصاص كما فعلت".

قالت توبنس:

"وهي أيضًا لم تكن لتجازف لو كانت تدرك حقًا معنى ما تقوم به. الجهل بمدى صعوبة الأمر هو الذي شجعها على فعلتها هذه".

أومأ تومي برأسه ثم قال:

"هذا تبرير مثالي للغاية".

قالت توبنس: "حقًا؟".

"ما هذا الأسلوب الغريب في التبرير؟".

"لا أدري. عندما قلت ذلك طرأ هذا التبرير بذهني".

قال تومي: "هذا عظيم".

"لا تكن قاسيًا؛ فهذا أمر يحدث أحيانًا".

"هل تقصدين فكرة الإقدام على المخاطر؟".

"كلا أظن - انتظر دقيقة - أعتقد أنه شيء له علاقة بغريزة الأمومة".

"الأمومة، والزوجات، والنساء".

قالت توبنس وهي تضع يدها على أذنيها: "توقف، أنت تزيد الأمور سوءًا".

قال تومي: "أليس هذا ما يدور بذهنك؟".

لكن توبنس هزت رأسها وبعد دقيقة أو اثنتين قالت:

"ليتنى أستطيع تذكر بمن تذكرني هذه المرأة".

"تقصدين فاندا بولونسكا؟".

"نعم، أول مرة رأيتها بدا وجهها مألوفًا للغاية".

"هل تعتقدين أنك التقيت بها بمكان آخر؟".

"كلا، أنا متأكدة أن هذا لم يحدث".

"وبالنسبة للسيدة بيرينا وشيلا فهما نوع مختلف تمامًا".

"أوه، نعم. أتعرف تومي لقد كنت أفكر في هاتين السيدتين".

"بخصوص ماذا؟".

"لست متأكدة. أفكر في الملاحظة التي عثرت عليها السيدة سبروت على الأرض بغرفتها عندما اختطفت بيتي".

"ماذا تقصدين؟".

"كل ما قيل بخصوص طيها حول حجر وقذفها عبر النافذة هو مجرد هراء. لقد وضعت هناك بواسطة شخص ما ـ بقصد أن تعثر عليها السيدة سبروت ـ وأظن أن السيدة بيرينا هي التي وضعتها هناك".

"السيدة بيرينا وكارل وفاندا بولونسكا، جميعهم يعملون معًا".

"نعم، هل لاحظت كيف أتت السيدة بيرينا في اللحظة الحاسمة وحسمت الأمر ـ واتخذت قرارًا بعدم الاتصال بالشرطة؟ لقد تحكمت في الموقف بأكمله".

"من ثم فهي ما زالت من وجهة نظرك العميلة إم؟".

"نعم، ألا تظن ذلك؟".

قال تومي ببطء: "أظن ذلك".

"لماذا يا تومي، هل لديك فكرة أخرى؟".

"ربما كانت فكرة مروعة".

"أخبرني".

"كلا، أفضل عدم إخبارك بها. ليس لديَّ دليل مادي. لكن إذا ما كنت على صواب، فهذا يعني أنه ليس من المفترض أن نسعى للنيل من إم، بل إن".

وظل يفكر ويحدث نفسه:

"بليتشلي، أعتقد أنه موضع شك. لم لا؟ بالطبع هو يبدو شخصًا عاديًا تمامًا، وفي النهاية، هو من أراد الاتصال بالشرطة. نعم، لكنه ربما كان على يقين بأن والدة الطفلة لن تقبل الفكرة. والملحوظة التي تم العثور عليها أكدت على ذلك. ومن ثم تبنى بكل ثقة وجهة النظر المعارضة ـ".

وهذا أعاده مرة ثانية للمشكلة المزعجة التي لم يجد لها حلًا حتى الآن.

لماذا تم خطف بيتي سبروت؟

٣

كانت هناك سيارة تقف خارج سان سوسي مكتوب عليها شرطة.

لكن توبنس لم تلاحظ وجودها لأنها كانت منهمكة في التفكير. دخلت من الباب الأمامي وذهبت مباشرة إلى الطابق العلوي متجهة إلى غرفتها.

توقفت توبنس عند عتبة الغرفة عندما استدار شخص ما طويل القامة يقف بالقرب من النافذة وتقدم نحوها.

قالت توبنس: "يا إلهي، شيلا؟".

اتجهت الفتاة نحوها مباشرة. الآن استطاعت توبنس رؤيتها بوضوح، ورأيت العينين اللامعتين والوجه الأبيض المرسوم عليه تعبير حزين.

قالت شيلا:

"سعيدة لقدومك. كنت أنتظرك".

"ما الخطب؟".

صوت الفتاة كان هادئًا وخاليًا من أية مشاعر حين قالت:

"لقد ألقوا القبض على كارل".

"من الشرطة؟".

"نعم".

قالت توبنس: "أوه، يا إلهي!" شعرت بعدم القدرة على استيعاب الموقف. صوت شيلا الهادئ جعل توبنس غير قادرة على فهم ما يحدث.

سواء كانا متآمرين أم لا، فهذه الفتاة تحب كارل فون دينيم، وقد شعرت توبنس بأن قلب شيلا يتألم حزنًا على هذا الشاب.

سألت شيلا:

"ما الذي يمكنني القيام به؟".

هذا السؤال البائس أفزع توبنس؛ حيث قالت بضعف:

"أوه يا عزيزتي".

قالت شيلا بصوت حزين للغاية:

"لقد أخذوه ومن الممكن ألا أراه ثانية".

صاحت قائلة:

"ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟"، ثم جلست على ركبتيها بالقرب من الفراش وظلت تبكي.

اقتربت منها توبنس ثم قالت بصوت منخفض:

"ربما ـ ربما يكون ذلك غير صحيح. قد يكون كل ما هنالك أنهم سيحبسونه فهو في النهاية غريب من بلد الأعداء كما تعرفين".

"ليس هذا ما قالوه كما أنهم يفتشون غرفته الآن".

قالت توبنس ببطء: "حسنًا، إذا لم يعثروا على شيء ـ".

"بالطبع لن يعثروا على شيء. ما الذي من الممكن أن يعثروا عليه؟".

"لا أدري. ظننت أنك تعرفين".

"أنا!".

دهشتها وسخريتها كانتا حقيقيتين لدرجة يصعب تزييفها. كل شكوك توبنس بخصوص تورط شيلا بيرينا في الأمر قد تلاشت في هذه اللحظة؛ فالفتاة لا تعرف شيئًا، ولم تكن على علم قط بأي شيء.

قالت توبنس:

"إذا كان بريئًا ـ".

قاطعتها شيلا قائلة:

"بماذا ستفيد براءته؟ سوف تدينه الشرطة على أية حال".

قالت توبنس بحدة:

"هذا هراء يا عزيزتي، ما تقولينه غير صحيح بالمرة".

"الشرطة الإنجليزية سوف تفعل أي شيء، هذا ما أخبرتني به أمي".

"ربما تكون والدتك قد أخبرتك بذلك، لكنها مخطئة. أؤكد لك أن هذا غير صحيح".

نظرت لها شيلا بارتياب لدقيقة أو اثنتين ثم قالت:

"حسنًا، بما أن هذا رأيك فأنا أثق بك".

شعرت توبنس بعدم ارتياح ثم قالت بحدة:

"أنت تبالغين في ثقتك بالآخرين يا شيلا. ربما كنت غير حكيمة في ثقتك بكارل".

"هل أنت أيضًا ضده؟ ظننت أنك تحبينه. هو أيضًا يظن ذلك".

يا لرقة الشباب! فهم يصدقون حب الآخرين وإعجابهم. وفي الواقع كلام شيلا كان صحيحًا؛ توبنس أحبت كارل وتعاطفت معه.

قالت توبنس بضجر:

"اسمعي يا شيلا، حبي إياه من عدمه ليست له علاقة بالحقائق. هناك حرب بين هذه البلدة وبين ألمانيا. وهناك عدة طرق يخدم بها الفرد وطنه. إحدى هذه الطرق تتمثل في الحصول على المعلومات ــ والعمل من وراء الكواليس.

وتعد هذه مهمة تتطلب شجاعة كبيرة؛ لأنه عندما يتم القبض عليك"، انخفض صوتها إلى حد ما ثم قالت "تكون هذه النهاية".

قالت شيلا:

"تظنين أن كارل ـ".

"ربما يكون يعمل بهذه الطريقة من أجل بلده، هذا احتمال قائم، أليس كذلك؟".

قالت شيلا: "كلا".

"ربما تكون مهمته تتمثل في القدوم إلى هنا كلاجئ والتظاهر بعداوته للنازية وجمع المعلومات".

قالت شيلا بهدوء:

"هذا غير صحيح. أعرف كارل، أعرف ما بقلبه وعقله. إنه لا يهتم بشيء سوى العلم ـ عمله ـ والحقيقة والمعرفة. كما أنه يشعر بالامتنان تجاه إنجلترا لأنها سمحت له بالعمل هنا. أحيانًا، عندما يصرح الناس ببعض العبارات القاسية تجاه ألمانيا يشعر بالحزن، لكنه يكره النازية ومبادئها ـ إنكارها للحرية".

قالت توبنس: "بالطبع سيقول ذلك".

نظرت لها شيلا نظرة توبيخ ثم قالت:

"إذن أنت تعتقدين أنه جاسوس؟".

"ترددت توبنس ثم قالت: "أظن أن هذا ـ احتمال".

تحركت شيلا نحو الباب وقالت:

"فهمت. آسفة لأنني جئت لأطلب منك مساعدتنا".

"لكن ماذا تظنين أنه بمقدوري القيام به يا عزيزتي؟".

"أنت تعرفين العديد من الشخصيات. وأبناؤك بالجيش والبحرية، وقد سمعتك تقولين أكثر من مرة إنهم يعرفون شخصيات مهمة. ظننت أنه بإمكانك أن تطلبي منهم القيام بشيء ما".

فكرت توبنس في تلك الشخصيات غير الحقيقية، دوجلاس وريموند وسيريل ثم قالت:

"أخشى أنه ليس بإمكانهم القيام بشيء".

رفعت شيلا رأسها لأعلى وقالت بحماس:

"إذن ما من أمل لدينا. سوف يأخذونه ويحبسونه وفي يوم ما، بالصباح الباكر، سوف يطلقون عليه الرصاص - وهذه ستكون النهاية".

ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها.

فكرت توبنس في قرارة نفسها وهي تشعر بسخط شديد: "أوه اللعنة، اللعنة، اللعنة على هؤلاء الأيرلنديين لماذا يتمتعون بتلك القدرة على تحريف الأمور لدرجة تسبب لك التشويش؟ لو أن كارل فون دينيم جاسوس، فهو يستحق الموت. يجب أن أتشبث بتلك الحقيقة ولا أسمح لتلك الفتاة بصوتها الأيرلندي أن تسحرني وتدفعني للاعتقاد بأنه بطل وشهيد".

تذكرت صوت ممثلة مشهورة وهي تنطق ببعض كلمات من مسرحية *Riders to the Sea:*

"إنه أفضل الأوقات التي سينعمون بها وأكثرها هدوءًا".

يا لها من كلمات عاطفية ... تأخذك بعيدًا نحو موجة من المشاعر.

فكرت قائلة: "لو لم يكن شكنا في محله. أوه، لو لم يكن صحيحًا ...".

لكنها تعرف ما تقوم به، فكيف من الممكن أن ترتاب؟

٤

ألقى الصياد الجالس على طرف الجسر الصنارة ثم سحبها بهدوء وقال:

"بالطبع أشعر بشيء من الخوف".

قال تومي: "أتدري، أشعر بالحزن من أجله. إنه - حسنًا، إنه شاب لطيف".

"إنهـم كذلـك صديقي العزيز، عـادة ما يكونون كذلك. ليـس الجبناء والرعاع هـم مـن يتطوعون للذهـاب لبلد الأعداء، بل أشجع الرجـال هم من يقدمون على ذلك. نحن نعر.ف ذلك جيدًا. لكن لا مفر لقد ثبتت عليه التهمة".

"هل أنت متأكد من إدانته؟".

"متأكد تمامًا، لقد عثرنا بين معادلاته الكيميائية على قائمة بأسماء أشخاص معينين عليه الاقتراب منهم، على اعتبار أنهم متعاطفون محتملون مع الفاشية. كانت هناك أيضًا خطة تدمير محكمة للغاية وعملية كيميائية، إذا ما طبقت على الأسمدة، فسوف تدمر مناطق كبيرة تعتبر بمثابة مخزون غذائي".

على مضض، قال تومي، وهو يلعن توبنس التي جعلته يعدها بقول الآتي:

"أعتقد أنه ليس من المحتمل أن يكون هناك شخص ما دسها بين أغراضه؟".

ابتسم السيد جرانت، ابتسامة ماكرة ثم قال:

"أوه، بالطبع هذه فكرة زوجتك".

"حسنًا - إم - نعم، في الواقع إنها فكرتها".

قال السيد جرانت برفق: "إنه شاب جذاب".

ثم واصل حديثه قائلًا:

"كلا، فـي الواقـع أظـن أننـا لا يمكننـا وضع هـذا الاقتـراح في اعتبارنـا. لقد وجدنـا لديـه بعض الحبـر السري. وكما تعـرف يعتبر ذلك دليـلًا قويًا. ولم يكن واضحًـا مـا إذا كان مدسوسًـا لـه أم لا. لـم يكـن الحبـر عبـارة عـن مزيـج موجود بالقـرب مـن الحوض يمكن استخدامه عنـد الحاجة. في الحقيقـة، كان يحتفظ بـه بشـكل مبتكر. لم أشاهد مثل هـذه الطريقة إلا مرة واحدة، في تلك المرة كان العميـل يخفـي الحبر بأزرار المعطف ويضعها بيـن أغراضه. وعندما يريد الفتى استخدامـه ينقـع زرًا فـي المـاء، لكـن كارل لم يكن يستخـدم الأزرار بـل كان يلجأ لأربطة الأحذية. طريقة مرتبة للغاية".

"أوه"، طرأ شيء ما بذهن تومي - شيء غريب - وغامض...

أمـا توبنـس فكانت سريعـة البديهة. بمجرد أن سرد لهـا المحادثة، استطاعت أن تلاحظ أهم نقطة.

"أربطة الأحذية! تومي هذا هو حل اللغز".

"ماذا؟".

"بيتـي أيهـا الأحمـق. ألا تتذكر هذا العمل المضحك الـذي قامت به بغرفتي، حينما أخذت أربطة أحذيتي ووضعتها بالماء. حينها ظننت أن هذا عمل مضحك. لكـن مـن المؤكـد أنهـا رأت كارل يقوم بذلك وكانـت تقلده، وبالنسبـة له فلم يكن ليجازف بتركها تتحدث عن هذا؛ لذا رتب مع هذه السيدة مسألة اختطافها".

قال تومي: "إذن اتضح الأمر".

"نعـم، مـا أروع أن تنكشـف الحقائـق. هكذا يستطيـع الفرد الانتقـال للخطوة التالية".

"علينا أن نواصل عملنا".

أومأت توبنس برأسها.

هـذه الفتـرة كانـت كئيبـة للغايـة؛ استسلمـت فرنسـا فجـأة وعلـى نحـو مثير للدهشة ـ وهو ما أثار عجب شعبها وفزعه.

لم يكن أحد يعلم وجهة البحرية الفرنسية.

حينئـذ كانـت سواحـل فرنسـا بالكامـل تحـت سيطـرة ألمانيـا، والحديث عن الاجتياح لم يعد احتمالاً بعيدًا.

قال تومي:

"كارل فون دينيم مجرد حلقة في السلسلة. السيدة بيرينا هي المصدر".

"نعم؛ لذا علينا أن نحصل على دليل يدينها، لكن هذا لن يكون سهلا".

"بالطبـع، فـي النهايـة، إذا كانـت هي العقـل المدبر فعلينـا ألا نتوقـع سهولة الإيقاع بها".

"إذن هل السيدة بيرينا هي إم؟".

افترض تومي كذلك ثم قال ببطء:

"هل تظنين حقًا أن الفتاة ليست متورطة في الأمر على الإطلاق؟".

"أنا متأكدة من ذلك".

تنهد تومي قائلًا:

"حسنًا، لكن إذا ما كان الأمر كذلك، فسيكون حظها سيئًا للغاية؛ أولًا الرجل الذي أحبته - ثم والدتها. لن يتبقى لها الكثير، أليس كذلك؟".

"ما من حيلة لدينا".

"نعم، لكن على فرض أننا مخطئون - و إم أو إن هما شخصان آخران؟".

قالت توبنس ببرود:

"إذن مازلت تكرر الكلام نفسه؟ أواثق بأنها ليست مجرد أمنية؟".

"ماذا تقصدين؟".

"شيلا بيرينا - هذا ما أقصده".

"ألا ترين أنك أصبحت سخيفة إلى حد ما توبنس؟".

"كلا، لست كذلك. لقد أثرت فيك يا تومي، فقط كأي رجل آخر —".

رد تومي بغضب:

"كلا، كل ما هنالك أنني لديَّ أفكاري الخاصة".

"وما هذه الأفكار؟".

"أعتقد أنني سأحتفظ بها لنفسي لفترة. وسنرى من منا على صواب".

"حسنًا، أعتقد أنه يجب علينا أن نراقب السيدة بيرينا. نعرف أين تذهب، وبمن تلتقي - كل شيء عنها. لابد أن هناك حلقة وصل بمكان ما. من الأفضل أن تطلب من ألبرت مراقبتها هذا المساء".

"يمكنك القيام بذلك أنا مشغول".

"لماذا، ماذا لديك؟".

قال تومي:

"لديَّ مباراة جولف".

التاسع

قال ألبرت: "تبدو هذه الفترة مثل الأيام الخوالي، أليس كذلك يا سيدتي؟" وبدا عليه الإشراق والسعادة. ورغم أنه الآن في منتصف العمر وأصبح بدينًا إلى حد ما، لكنه ما زال يتمتع بقلب شاب، هذا القلب الذي مكنه فيما مضى من الانضمام إلى توبنس وتومي في مغامراتهما في فترة الشباب.

سأل ألبرت: "هل تذكرين كيف التقيت بي أول مرة؟" كنت مشغولًا بتلميع اللوحات النحاسية التذكارية بالشقق العلوية الفخمة. يا إلهي، ألم يكن حمّال الحقائب بالردهة شخصًا كريهاً؟ دائمًا ما كان يراقبني في كل مكان. وفي ذلك اليوم توجهت نحوي وقصصت عليّ حكاية ما ... عبارة عن مجموعة من الأكاذيب عن محتال يدعى ريدي ريتا. ومنذ ذلك الحين، لم أنظر إلى الوراء يومًا ما بندم. لقد خضنا مغامرات كثيرة قبل أن يستقر كل منا في حياته".

تنهد ألبرت، وتداعت الأفكار بذهن توبنس ثم سألته عن صحة السيدة ألبرت.

"أوه، إنها بخير - لكنها تقول إنها لا تقدر على استيعاب اللغة الويلزية وتظن أنهم (أهل البلدة) يجب أن يتعلموا الإنجليزية، وبالنسبة للهجمات - فهي دائمًا ما تتحدث عنها باستياء وتسأل أين الأمان؟ لذا ربما تظل لفترة طويلة بمقاطعة

كينينجتون فهناك لن ترى كل الأشجار السوداء ويمكنها أن تحصل على لبن نظيف معبأ بزجاجات".

قالت توبنس شاعرة فجأة بنوع من الذعر: "لست متأكدة ما إذا كان من الصواب أن نورطك في ذلك يا ألبرت".

قال ألبرت: "هذا الكلام لا معنى له سيدتي. إذا حاولت وانضممت لكم وكنا نتعامل مع عدو متكبر للغاية فلن ينتبه إليَّ. فمن في مثل فئتي العمرية لن يثير الشك. أنا على أتم استعداد وأشعر بحماس شديد للنيل من هؤلاء الألمان، فقط أخبريني كيف يمكنني عرقلة كل خططهم - وسأنفذ ما تطلبينه. نحن بصدد مواجهة الطابور الخامس، هكذا تقول الصحف - رغم أنهم لم يذكروا الكثير من التفاصيل. أنا على استعداد لمساعدتك أنت والكابتن بيرسفورد بأية طريقة تريدون".

"حسنًا، الآن سوف أخبرك بما نريد منك القيام به".

٢

قال تومي بعدما ضرب الكرة وظل يشاهدها وهي تتحرك بالممر وتتجه نحو الحفرة: "منذ متى وأنت تعرف بليتشلي؟".

ارتسم على وجه القائد هايدوك، الذي سدد ضربة موفقة هو الآخر، تعبير يدل على الرضا ورد قائلًا:

"النقيب بليتشلي؟ دعني أفكر. أوه، منذ حوالي تسعة أشهر أو ما إلى ذلك. لقد أتى إلى هنا الخريف الماضي".

اقترح تومي كاذبًا: "أعتقد أنك قلت إنه صديق لأحد أصدقائك".

بدا القائد مندهشًا إلى حد ما وقال: "هل قلت ذلك؟ كلا، لا أظن. أعتقد أنني التقيت به هنا في النادي".

"أظن أنه رجل غامض إلى حد ما".

اندهش القائد جدًا هذه المرة.

بدا مرتابًا للغاية ثم قال: "هل تقصد أن بليتشلي رجل غامض؟".

تنهد تومي وافترض أنه كان يتخيل ذلك.

ثم سدد ضربته التالية، بعدها سدد هايدوك ضربة عنيفة ثم انضم إلى تومي وقال:

"ما الذي دفعك لتظن أن بليتشلي رجل غامض؟ أعتقد أنه شخصية غير واضحة - نموذج لرجل الجيش. كما أنه محدود التفكير بسبب قلة معارفه وحياة الجيش - لكن غامض!".

قال تومي بغموض:

"أوه حسنًا، لقد انتابتني هذه الفكرة بسبب شيء ما سمعته من أحد الأشخاص".

ثم واصلا اللعب وتمكن القائد من إسقاط كرته بالحفرة.

أشار القائد برضا شديد: "أنا متقدم عليك".

بعد ذلك، كما تمنى تومي، أصبح عقله غير منشغل بالمباراة، وعاد ثانية لما قاله تومي حيث سأل قائلًا:

"أي غموض تقصد؟".

رفع تومي كتفيه ثم قال:

"كل ما هنالك أنه ما من أحد يعرف الكثير من المعلومات عنه".

"لقد كان بمقاطعة راجبيشاير".

"هل أنت متأكد من ذلك؟".

"حسنًا، أنا - حسنًا، كلا، لست متأكدًا. أعتقد - ما الخطب سيد ميدوز؟ هل من مشكلة بخصوص بليتشلي؟".

أسرع تومي بالنفي قائلًا: "لا، لا، بالطبع ما من مشكلة". إنكار تومي جاء سريعًا للغاية لكنه قد أثار شكوك هايدوك. وهو الآن يمكنه مراقبة القائد وهو يحاول فهم قصده.

قال هايدوك: "إنه دائمًا ما يفزعني بسبب شخصيته النمطية للغاية".

"بالضبط، بالضبط".

"أوه نعم، فهمت قصدك. أنت تريد أن تقول إنه شخصية نمطية، ربما تكون على صواب".

فكر تومي قائلًا: "أشعر بأنني أوجه الشاهد نحو ما أريد. ربما أستطيع الخروج بمعلومة ما من هذا الشخص".

واصل القائد حديثه قائلًا: "نعم، أفهم ما تقصده. والآن بدأت أفكر فيما تقول؛ فأنا لم ألتق قط شخصًا يعرف بليتشلي قبل قدومه إلى هنا؛ فهو ليس لديه أي أصدقاء قدامى - ما من شيء من هذا القبيل".

قال تومي: "أوه. هل سنكمل اللعب؟ يمكننا أيضًا التدريب قليلًا، إنه مساء جميل".

ثم ذهبا ليسدد كل واحد منهما ضربته وبعد التسديد قال هايدوك فجأة:

"أخبرني بما سمعته عنه".

"لا شيء - لا شيء على الإطلاق".

"ما من داع لتوخي الحذر معي سيد ميدوز. هل تفهم قصدي؟ الجميع يثقون بي، وأنا معروف باهتمامي الشديد بمثل هذه الموضوعات. ما المشكلة - هل تظن أن بليتشلي ليس بالشخصية التي يبدو عليها؟".

"لقد كان ذلك مجرد اقتراح".

"ما ظنهم فيه؟ جندي ألماني؟ بالطبع هذا غير معقول؛ فالرجل يبدو إنجليزيًا مثلك ومثلي".

"أوه نعم، أنا متأكد أنه شخص عادي".

"لمـاذا يشعـرون بالشك نحـوه، إنه يطالـب دائمًا بحبس مزيد مـن الأجانب. انظـر كيـف كان عنيفًـا للغاية مع هذا الشـاب الألماني ـ لكن هذا يبـدو صوابًا إلى حـد مـا. لقد سمعـت بشكل غير رسمـي من رئيـس الشرطة أنهم عثـروا على أدلة كافية لإعدام كارل فون دينيم ١٢ مرة. لقد كانت لديه خطة لتسميم مخزون مياه البلدة بأكملها كما كان في الواقع يعمل على اختراع غاز جديد ـ كان يقوم بتجاربه فـي أحد مصانعنا. أتعجب من مـدى قصر نظر شعبنا وتصديقهم أي شيء! شاب صغيـر يأتـي لهـذه البلـدة قبـل انـدلاع الحرب بفتـرة قصيـرة ويظـل يشتكي من الاضطهـاد، وإذا بهـم يغضـون الطرف عنه ويطلعونه علـى كل أسرارنا. لقد كانوا يتحلون بالغباء نفسه فيما يتعلق بهذا المدعو هان ـ".

لـم يـرد تومـي السمـاح لهايـدوك بتجـاوزه بمسافـة بعيـدة؛ لـذا تعمـد عـدم التسديد.

صاح هايدوك: "يا لسوء الحظ!"، ثم سدد الكرة بحذر فوقعت بالحفرة.

"حظك سيئ للغاية اليوم. عن ماذا كنت نتحدث؟".

قال تومي بحزم:

"كنا نتحدث عن بليتشلي وعن أنه شخصية عادية".

"بالطبـع. بالطبـع. أتسـاءل الآن ـ لقـد سمعت قصة مضحكة عنـه ـ ولم أشك بأي شيء على الإطلاق وقتها ـ ".

عندئـذ، وهـو مـا أزعج تومي، أقـدم رجلان لتحيتهمـا. وعاد الأربعـة معًا إلى النادي وتناولوا بعض المشروبات. بعد ذلك، نظر القائد في ساعته وذكر أنه عليه الانصراف هو والسيد ميدوز؛ حيث إن تومي قد قبل دعوته على العشاء.

كانـت استراحـة سماجلرز مرتبة جدًا كالعـادة. وكان هناك خادم طويل القامة بمنتصـف العمـر ينتظرهـم ويبـدو عليـه أنـه محترف بعملـه. مثل هـذه الخدمة الممتازة كانت نادرة إلى حد ما خارج مطاعم لندن.

عندما غادر الرجل الغرفة، علق تومي على هذه الحقيقة.

"نعم، لقد كنت محظوظًا بالحصول عليه".

"كيف وجدته؟".

"لقد تقدم للعمل بناء على إعلان نشرته، كانت لديه إحالات ممتازة، وكان أفضل بكثير من كل المتقدمين، بالإضافة إلى أنه طلب راتبًا ضئيلاً من ثم عينته على الفور".

قال تومي ضاحكًا:

"لقد سلبتنا الحرب معظم خدماتنا الفندقية العظيمة. من الناحية العملية أصبح كل النُدل الأكفاء من الأجانب. وليس من الطبيعي أبدًا مشاهدة نادل إنجليزي".

"ربما لأنه عمل ينطوي على قدر من التذلل. الانحناء للآخرين ليس بالأمر السهل على المواطن الإنجليزي".

وعندما جلسوا بالخارج لتناول القهوة سأل تومي بلطف:

"ماذا كنت ستقول بملعب الجولف؟ شيئًا له علاقة بقصة مضحكة - قصة بخصوص بليتشلي".

"ما هذا؟ يا إلهي، هل رأيت ذلك؟ هذا الضوء الذي ظهر بالقرب من البحر؟ أين منظاري؟".

تنهد تومي، بدا أن الحظ يعانده. وسريعًا ما دخل القائد المنزل وخرج منه وبيده المنظار وظل ينظر إلى الأفق، لمح مجموعة من الإشارات يرسلها العدو إلى أماكن محتملة على الشاطئ واستمر في وصف صورة كئيبة للاجتياح في المستقبل القريب.

"ما من تنظيم، أو تنسيق ملائم. أنت نفسك كنت متطوعًا بالجيش سيد ميدوز - وتعرف معنى حدوث هجوم. للأسف في ظل وجود رجل مثل أندروز العجوز في موضع المسئولية -".

تلك هي المشكلة، والنقطة التي يشتكي منها دائمًا؛ كان من المفترض أن يكون هو في موضع السلطة؛ لذا كان ينوي إزاحة الكولونيل أندروز من منصبه متى أمكنه ذلك.

أحضـر الخـادم العصيـر والمشروبات بينمـا كان هايدوك لا يـزال منهمكًا في إبداء رأيه.

" ومـا زلنـا نواجـه مشكلـة الجواسيس ـ ونعانـى بسببهـم. الأمـر ذاته حدث بالحرب الماضية ـ مصففين الشعر، النُّدل ـ".

مـال تومـي إلى الوراء وظـل ينظر إلى أبلـدور في أثناء تجوله بالمكان وفكر قائـلاً: "النُّـدل؟ مـن الأسهل أن نطلق علـى هذا الشخص اسمًـا إنجليزيًا فريتز مثلًا وليس أبلدور...".

حسنًـا، لِـمَ لا؟ فالشـاب يتحـدث الإنجليزية بطلاقـة، هذا صحيـح لكن بهذه الفتـرة كان العديـد مـن الألمان يقدرون على ذلـك. لقد أتقنوا اللغـة الإنجليزية مـن خـلال العمل لسنـوات بالمطاعـم الإنجليزية. وحتـى العنصريـون منهم لم تختلف الحال معهم. وبالنسبة لمظهرهم فكانوا ذا شعر أشقر وعيون زرقاء ـ لكن بالنسبـة لشـكل الرأس ـ نعم الرأس ـ متى كانت آخر مرة انتبه فيها تومي لمسألة شكل الرأس هذه؟ ...

تحـدث تومـي باندفـاع وجـاءت كلماتـه ملائمـة تمامًـا للموضـوع الـذي كان يتحدث عنه القائد هايدوك.

"كل هـذه الاستمـارات يجـب ملؤها. مـا من فائدة على الإطـلاق سيد ميدوز. إنها سلسلة من الأسئلة الحمقاء ـ".

قال تومي:

"أعرف. مثل: "ما اسمك؟" والإجابة تكون إن أو إم ".

فجـأة سُمـع صـوت ارتطـام ـ إنه أبلـدور، الخـادم المثالـي، قد تعثـر، وانسكب العصير على يد تومي وثيابه.

تلعثم الرجل وقال: "آسف يا سيدي".

تحرك هايدوك غاضبًا ثم قال:

"أنت أيها الأحمق اللعين! ماذا تظن أنك فاعل؟".

وجهه ذو اللون الأحمر تحول إلى اللون الأرجواني بسبب الغضب. فكر تومي قائلًا: "تتحدث عن غضب الجيش ـ يبدو أن غضب البحرية يفوقه عدة مرات" استمر هايدوك في توبيخ خادمه الذي كان منهمكًا في الاعتذار.

شعر تومي بالأسف من أجل هذا الخادم، لكن فجأة، وكنوع من السحر، اختفى غضب القائد وعاد إلى طبيعته الودية مرة ثانية.

"هلم لتغسل يدك وتنظف ثيابك".

تبعه تومي للداخل وسريعًا ما تواجد داخل دورة المياه الفاخرة ذات الأدوات التي لا حصر لها ولا عدد. وبحذر غسل يده. تحدث القائد هايدوك من غرفة النوم المجاورة. وبدا خجولًا إلى حد ما.

"أخشى أنني بالغت في رد فعلي. أبلدور العجوز المسكين ـ إنه يعرف أنني دائمًا ما لا أقدر على التحكم في رد فعلي".

استدار تومي وابتعد عن الحوض متجهًا للمنشفة لتجفيف يده. لم يلاحظ أن هناك قطعة من الصابون قد انزلقت على الأرض، فوضع قدمه عليها، وظل يتحرك على مشمع الأرضية.

بعد دقيقة كان تومي يتحرك بخطوات أشبه برقص الباليه؛ اندفع نحو دورة المياه، باسطًا ذراعيه، فاصطدم أحدهما بصنبور المياه الموجود بالجانب الأيمن، واندفع الثاني نحو خزانة الأدوية، كانت حركة غير عادية لم يكن من الممكن قط القيام بها إلا بسبب كارثة كتلك التي حدثت للتو.

قدمه تزحلقت وانزلق بشدة نحو حوض الاستحمام.

وقع هذا الحدث كأنه واحدة من ألعاب خفة اليد؛ لقد انزلق حوض الاستحمام وابتعد عن الحائط، كاشفًا الستار عن شيء خطير. وجد تومي نفسه ينظر إلى تجويف مظلم. لم يساوره أي شك حيال الشيء الموجود داخل هذا التجويف. إنه يحتوي على جهاز إرسال لا سلكي.

توقف القائد عن الحديث وظهر فجأة عند الباب. وعلى الفور طرأ بذهن تومي عدة أفكار.

هل كان أعمى طوال هذه الفترة؟ هذا الوجه المرح المتورد - وجه رجل إنجليزي ودود" - كان مجرد قناع. لماذا لم يره طوال هذه الفترة على حقيقته - وجه ضابط بروسي سريع الغضب ومتكبر. بالطبع هذا الحادث الذي وقع للتو قد ساعد تومي كثيرًا. لأنه قد ذكره بواقعة أخرى؛ قيام أحد المستأسدين البروسيين بنهر أحد تابعيه ونعته بأبشع الصفات. إذن هل القائد هايدوك قد هاجم مرءوسه هذا المساء عندما لم يتوخ الحذر؟

هكذا اتضح الأمر - انكشفت الحقيقة كالسحر. إنها الخدعة المزدوجة. العميل هان، قد أرسل أولًا، لإعداد المكان، مستعينًا بعمال أجانب، كي يلفت الأنظار لنفسه، بعد ذلك تم الانتقال إلى المرحلة التالية من الخطة، اكتشاف حقيقته على يد البحار البريطاني العظيم القائد هايدوك. بعد ذلك سيكون من الطبيعي أن يشتري الرجل الإنجليزي المكان ويسرد القصة على الجميع، لدرجة تدفعهم للشعور بالملل من كثرة التكرار. وبهذه الطريقة يكون "إن" قد استقر بمكانه المخصص له - ومعه وسائل الاتصال عبر البحر وجهازه اللاسلكي السري وطاقم ضباطه بسان سوسي. مستعدًا لتنفيذ خطة ألمانيا.

لم يقدر تومي على مقاومة الشعور بالإعجاب الشديد بهذه الخطة. لقد تم التخطيط للأمر برمته بدقة عالية. هو نفسه لم يشك قط بـ هايدوك لكن مجرد حادث غير متوقع قد كشف كل شيء.

كل هذه الأفكار مرت بذهن تومي في ثوان قليلة. لقد عرف جيدًا، أنه بكل تأكيد معرض لخطر شديد. إلا إذا تمكن من تمثيل دور الرجل الإنجليزي الساذج الأحمق.

استدار نحو هايدوك مبتسمًا ابتسامة تمنى أن تبدو طبيعية.

"يا إلهي! المفاجآت تظل تلاحق الفرد منا في منزلك هذا. هل هذا هو جهاز آخر من أجهزة هان؟ أنت لم تُرني إياه في ذلك اليوم".

كان هايدوك يقف ثابتًا بمكانه. ساد نوع من التوتر بسبب جسده الضخم الذي كان يغلق الباب.

فكر تومي قائلًا: "لم يكن الأمر مجرد مباراة بالنسبة لي. وهناك هذا الخادم المذهول هو الآخر".

للحظة وقف هايدوك ثابتًا بمكانه كالحجر، ثم استرخي وقال ضاحكًا:

"يا له من شيء مضحك سيد ميدوز. لقد أخذت تتزلج على الأرض كراقصة الباليه. ألا ترى أن شيئًا كهذا يحدث مرة واحدة في الألف. جفف يديك وهلم إلى الغرفة الأخرى".

تبعه تومي وخرج من دورة المياه. كان منتبهًا للغاية. بطريقة أو بأخرى عليه أن يخرج آمنًا من هذا المنزل ومعه تلك المعلومة. هل سينجح في خداع هايدوك؟ لقد بدت نبرة صوت هايدوك طبيعية للغاية.

قاده هايدوك إلى غرفة الجلوس واضعًا ذراعه حول كتفيه، قد يكون ذلك تصرفًا طبيعيًا (أو لا). ثم دخلا وأغلق هايدوك الباب خلفهما.

"انتبه إليَّ يا صديقي لديَّ شيء ما أود إخبارك به".

نبرة صوته كانت ودودة وطبيعية - لا يشوبها سوى القليل من الإحراج. أشار لتومي ليجلس.

قال: "إنه أمر محرج إلى حد ما، محرج حقًا. لكنني أثق بك؛ لذا عليك أن تحفظ السر يا سيد ميدوز. هل تفهمني؟".

حاول تومي أن يرسم على وجهه تعبيرًا ينم عن الحماس.

جلس هايدوك وجذب كرسيه وقربه منه للغاية ثم قال:

"فهمتني يا ميدوز الأمر سري، لا ينبغي لأحد أن يعرف شيئًا عنه؛ أنا أعمل بالمخابرات بقسم MI42 BX هل سمعت عنه من قبل؟".

هز تومي رأسه وحاول أن يبدي المزيد من الحماس.

"حسنًا، إنه أمر سري للغاية. نوع من التخابر الداخلي إذا كنت تفهم قصدي. نحن ننقل معلومات معينة من هنا ــ لكن إذا ما تسربت هذه المعلومات سيمثل ذلك خطورة كبيرة علينا، هل تفهم قصدي؟".

قـال السيد ميدوز: "بالطبع، بالطبع. هـذا أمر مثير للغاية، يمكنك الاعتماد عليَّ فلن أنطق بكلمة واحدة".

"حسنًا؛ فهذه مسألة مهمة للغاية. الأمر برمته سري للغاية".

"أفهـم قصـدك. لابد أن عملك مشوق للغاية، مشوق فعـلًا. أود جدًّا أن أعرف المزيد عنه، لكن أظن أنه ينبغي عليَّ ألا أطلب ذلك".

"نعم، أخشى أنه يجب ألا تسأل. إنه أمر سرى كما تفهم".

"أوه، نعم فهمت. أعتذر لك ـ ياله من حادث غريب ـ".

فكر في قرارة نفسه قائلًا: "بالطبع لا يمكن خداعه؟ لا يمكنه تخيل تصديقي لهذا الكلام؟".

بدا الأمر لا يصدق بالنسبة له، ثم فكر وقال لنفسه إن الغرور هو عيب موجود بالعديد من الرجال. يعتبر القائد هايدوك رجلًا ذكيًا، شخصًا لا يُستهان به ـ أما السيد ميدوز البائس هذا فكان بريطانيًا غبيًا ـ رجلًا من النوع الذي من الممكن أن يصدق أي شيء! فقط إذا ما ظل هايدوك يفكر بهذه الطريقة.

واصـل تومـي حديثه. وأبدى حماسًا شديدًا وفضـولًا. كان يعرف أنه يجب ألا يطرح أية أسئلة لكن ذلك لم يمنعه ـ قال لـ هايدوك إنه يظن أن عمله هذا ينطوي على خطر كبير، وسأله عما إذا كان قد سافر من قبل إلى ألمانيا للعمل هناك.

رد عليـه هايـدوك بأسلـوب لطيـف. فـي هـذه اللحظـة كان يتصـرف كبحـار بريطانـي ـ الضابط البروسي قـد اختفى. لكن تومي، الذي أصبح ينظر إليه الآن نظرة مختلفة، تساءل كيف تم خداعه. فشكل رأسه ـ وخط عظمة الفك ـ لا يمتان للسمات البريطانية بصلة.

الآن نهضـ السيـد ميـدوز. كانـت هـذه لحظـة الاختبـار المهمة؛ هـل ستسير الأمور على ما يرام؟

"يجـب أن أنصـرف الآن ـ لقـد تأخـر الوقت إلى حد مـا ـ آسف علـى ما حدث لكنني أؤكد لك أنني لن أنطق بكلمة واحدة مع أي شخص".

("إما أن أفعلها الآن أو ينتهي أمري للأبد. هل سيسمح لي بالانصراف أم لا؟ يجب أن أكون مستعدًا ـ يجب أن ألاحظ تعبيرات وجهه ـ").

تحدث السيد ميدوز بلطف وإثارة ممتعة، ثم توجه نحو الباب.

وصل إلى الردهة ... فتح الباب الأمامي ...

عبر الباب من ناحية اليمين لمح ميدوز أبلدور وهو يعد ما يلزم لإفطار الغد. (هذين الأحمقين سيسمحان له بالفرار بتلك المعلومة!)

وقف الرجلان في الرواق، يتحدثان ـ يحددان موعد مباراة أخرى يوم السبت التالي.

فكر تومي في قرارة نفسه قائلًا: "لن يكون هناك سبت آخر يا صديقي العزيز".

أتت بعض الأصوات من الطريق بالخارج. هناك رجلان عائدان من نزهة على الشاطئ. تومي والقائد هايدوك يعرفان هذين الرجلين. ألقى تومي عليهما التحية، فتوقفا، وتبادل معهما كل من هايدوك وتومي بعض الكلمات في أثناء وقوفهم عند البوابة، فيما بعد ودع تومي مضيفه وانصرف بصحبة هذين الرجلين.

هكذا فر بما لديه من معلومات.

أما هايدوك، فقد انخدع هذا الأحمق.

سمع تومي هايدوك وهو يعود إلى منزله، ويدخل ويغلق الباب خلفه. سار تومي بحذر واتجه نحو أسفل التل بصحبة صديقيه الجديدين.

بدا الجو مائلًا للتغير.

يبدو أنه سيواجه سوء الحظ مرة ثانية بمدينة أولد مونرو هذه.

في أثناء سيره معهما، علم من صديقه آشبي أنه رفض التطوع بالجيش حيث قال إن هذا أمر سيئ للغاية. وبالنسبة لـ مارش مساعد لاعبي الجولف فقد اعترض على هذا الكلام لأنه ذو ضمير يقظ. كان هناك هجوم شديد على ساوثهامبتون الليلة قبل الماضية ـ حدث الكثير من الدمار. ماذا كان رأي ميدوز

في إسبانيا؟ هل تحول الإسبان إلى شخصيات عدائية؟ بالطبع، وذلك منذ الانهيار الفرنسي -

أراد تومي أن يصيح بصوت مرتفع بسبب ما سمعه من حديثهما، لكن العناية الإلهية أنقذته؛ حيث انصرفا في هذه اللحظة.

ودعهما تومي عند بوابة سان سوسي واتجه نحو الداخل.

سار في طريقه وأخذ يصفر بصوت خافت.

بمجرد أن استدار وتجاوز الركن المظلم بالقرب من بعض الأزهار سقط شيء ثقيل على رأسه، فسقط على الأرض، واختفى وسط الظلام.

العاشر

"هل قلت إنك لديك ورقة لعب تحمل رقم ٣، سيدة بلنكينسوب؟".

نعم، قالت السيدة بلنكينسوب ذلك. عادت السيدة سبروت وهي تلهث بعد إجراء مكالمة تليفونية وقالت: "لقد غيروا موعد اختبار فن الهندسة المعمارية مرة أخرى، هذا أمر سيئ *للغاية*"، ثم طلبت المشاركة في اللعب ثانية.

كالعادة، أخرت الآنسة مينتون سير الأمور بسبب التكرار المستمر.

"هل قلت لديَّ ورقة رقم ٢؟ هل أنت متأكدة؟ أعتقد أنني قلت إن لديَّ الجوكر ـ أوه نعم بالطبع تذكرت الآن. قالت السيدة كايلي إن لديها ورقة رقم ١، أليس كذلك؟ كنت سأقول إنني لديَّ الجوكر رغم أنه لا يجب إخباركم بذلك، لكنني أعتقد أن الفرد ينبغي أن يتحلى بالشجاعة في اللعب ـ بعد ذلك قالت السيدة كايلي إنها ستلعب رقم ١ وقلت إنني سألعب رقم ٢. دائمًا ما أظن أنه من الصعب جدًا أن يواجه الفرد طريقين مختصرين ـ".

فكرت توبنس في قرارة نفسها قائلة: "أظن أننا سنوفر الكثير من الوقت إذا ما قامت الآنسة مينتون بوضع كل أوراقها على المائدة وعرضها عليهم؛ حيث كانت غير قادرة على عدم التصريح بالضبط بأرقام الأوراق التي معها".

قالت الآنسة مينتون منتصرة: "إذن الآن اتضح الأمر، لدينا ورقة تحمل رقم ١ وأخرى رقم ٢".

قالت توبنس: "سألعب ورقة رقم ٢".

قالت السيدة سبروت: "لقد لعبت دوري أليس كذلك؟".

نظروا إلى السيدة كايلي التي كانت تنحني للأمام وتنصت إليهم، ثم تولت الآنسة مينتون المهمة قائلة:

"إذن أظن أن السيدة كايلي قالت إنها ستلعب ورقة رقم ٢ وأنا سألعب رقم ٣".

قالت توبنس: "وأنا قلت إنني لدي ورقة رقم ٣".

قالت السيدة سبروت: "حسنًا".

جلست السيدة كايلي صامتة. وأخيرًا أدركت أن الجميع ينظرون إليها.

احمر وجهها وقالت: "يا إلهي، أنا غاية في الأسف. فكرت أنه ربما يكون السيد كايلي بحاجة لي، أتمنى أن يكون بخير بالخارج بالشرفة".

ظلت تنظر إلى واحدة منهن.

"ربما، إذا لم تمانعوا، يكون من الأفضل أن أذهب وألقي نظرة عليه. لقد سمعت صوتًا ما. ربما يكون أسقط كتابه".

نظرت من النافذة. وتنهدت توبنس غاضبة ثم قالت:

"ينبغي أن تربط حبلًا حول رسغها ليقوم بشده عندما يحتاج إليها".

قالت الآنسة مينتون: "يا لها من زوجة مخلصة! من الجميل أن أرى شيئًا كهذا، أليس كذلك؟".

قالت توبنس التي كانت تشعر بغضب شديد: "هل هي كذلك حقًا؟".

جلست السيدات الثلاث في صمت لمدة دقيقة أو اثنتين.

سألت الآنسة مينتون: "أين شيلا الليلة؟".

قالت السيدة سبروت: "ذهبت إلى السينما".

سألت توبنس: "أين السيدة بيرينا؟".

قالت الآنسة مينتون: "قالت إنها ستقوم ببعض الحسابات بغرفتها. تلك المسكينة، مراجعة الحسابات هذه مسألة مرهقة للغاية".

قالت السيدة سبروت: "لم تكن تراجع الحسابات طوال فترة المساء؛ لأنها قد أتت للتو عندما كنت أجري اتصالًا هاتفيًا بالردهة".

قالت الآنسة مينتون، التي دائمًا ما تشغل نفسها بالتعجب من تصرفات الآخرين: "أتساءل أين كانت، بالطبع لم تكن بالسينما، فلم ينته موعد الفيلم بعد".

قالت السيدة سبروت: "لم تكن ترتدي قبعتها، ولا معطفها. شعرها كان أشعث وأعتقد أنها كانت تجري أو شيء ما من هذا القبيل. كانت غير قادرة على التقاط أنفاسها وأسرعت بالصعود للطابق العلوي بدون أن تنطق بكلمة واحدة وأخذت تحدق إليَّ - أخذت تحدق إليَّ كثيرًا - وأنا متأكدة *أنني* لم أفعل شيئًا".

ظهرت السيدة كايلي مرة ثانية عند النافذة.

قالت: "يا للروعة! لقد تجول السيد كايلي بالحديقة بأكملها. قال إنه يستمتع بذلك. مثل هذه الليلة الجميلة".

جلست ثانية.

"دعوني أرَ - هل تعتقدون أنه بإمكاننا مواصلة اللعب مرة ثانية؟".

قمعت توبنس تنهيدة غاضبة. واصلوا اللعب مرة ثانية وقامت بلعب الورقة رقم ٣.

أتت السيدة بيرينا في أثناء استعدادهم لاستئناف اللعب.

سألت الآنسة مينتون: "هل استمتعت بجولتك بالخارج؟".

حدقت إليها السيدة بيرينا بشكل قوي، وغريب، ثم قالت:

"لم أكن بالخارج".

"أوه، أعتقد أن السيدة سبروت قالت إنك أتيت للتو من الخارج".

قالت السيدة بيرينا:

"فقط خرجت لأتفقد حالة الجو".

نبـرة صوتهـا كانت غير مريحة. رمقت السيـدة سبروت بنظرة عدائية تسببت في شعورها بالخوف فضلًا عن احمرار وجهها.

قالـت السيـدة كايلـي مشاركـة في الحديـث: "هذا أمـر مشوق للغايـة. السيد كايلي يتجول بالحديقة كلها".

قالت السيدة بيرينا بحدة:

"ولماذا يقوم بذلك؟".

قالت السيدة كايلي:

"إنها ليلة جميلة. إنه لم يضع حتى وشاحه الثاني حول رقبته وما زال لا يريد الدخول.أتمنى ألا يصاب بالبـرد".

قالت السيدة بيرينا:

"هنـاك مـا هـو أسـوأ من البـرد؛ من الممكـن أن تسقـط قنبلة فـي أية لحظة وتقضي علينا جميعًا".

"أوه عزيزتي، أتمنى ألا يحدث ذلك".

"حقًا؟ لكنني أتمنى حدوث ذلك".

خرجت السيدة بيرينا بينما ظلت لاعبات الورق الأربعة يحدقن إليها.

قالت السيدة سبروت: "تبدو غريبة جدًا الليلة".

انحنت الآنسة مينتون للأمام ثم قالت:

"ألا تعتقدون أنها ـ " أخذت تنظر حولها وانحنوا جميعًا واقتربوا من بعضهم ثم قالت الآنسة مينتون بصوت منخفض:

"ألا تشكُون أنها تشرب؟".

قالت السيدة كايلي: "أوه، عزيزتي، أفكر في ذلك الآن؛ فهذا من شأنه تفسير ما تقوم به؛ فهي أحيانًا تتصرف بشكل غير مسئول. ما رأيك سيدة بلنكينسوب؟".

"يا إلهي، لا أظن ذلك. أعتقد أنها تشعر بالقلق حيال شيء ما. أوه - إنه دورك سيدة سبروت".

سألت السيدة سبروت وهي تنظر إلى يدها: "أوه، يا إلهي! أي ورقة ألعب؟".

لم يتطوع أحد ليخبرها، رغم أن الآنسة مينتون التي كانت تحدق إلى يدها باهتمام شديد كانت قادرة على تقديم النصيحة.

سألت السيدة سبروت رافعة رأسها: "هذه ليست بيتي أليس كذلك؟".

قالت توبنس بكل حسم: "كلا ليست هي".

شعرت بأنها على وشك الصراخ ما لم يستأنفوا اللعب.

نظرت السيدة سبروت إلى يدها باستغراب ما زال عقلها على ما يبدو يفكر بابنتها ثم قالت:

"أوه ورقة رقم ١ على ما أعتقد".

استمر اللعب. وحان دور السيدة كايلي.

همست قائلة: "يقال عندما تشك حاول التركيز على الورقة الرابحة"، ثم وضعت الورقة رقم ٩.

صوت لطيف قال:

"إنها لعنة إسكتلندا أنك قدمت للعب هنا!".

وقفت السيدة أوورورك عند النافذة، كانت تتنفس بعمق - وعينها كانت تلمع. بدت خبيثة وماكرة. تقدمت نحو الغرفة.

"لعبة الورق هذه جميلة للغاية، أليس كذلك؟".

سألت السيدة سبروت باهتمام: "ما هذا الذي بيدك؟".

قالت السيدة أوورورك بهدوء: "إنه مدق وجدته بالخارج. بالتأكيد تركه أحد ما هناك".

قالت السيدة سبروت بارتياب: "من العجيب أن يترك أحد ما مدقًا هنا".

وافقتها السيدة أوورورك الرأي قائلة: "معك حق".

بـدت فـي حالة مزاجيـة جيدة، أمسكـت بالمدق وأخـذت تهزه ثـم خرجت إلى الردهة.

قالت الآنسة مينتون: "دعيني أَرَ ماذا لعبت؟".

استمرت اللعبة لمدة خمس دقائق بدون مزيد من المقاطعات، ثم جاء النقيب بليتشلـي. كان فـي السينما وأخذ يسرد عليهم بالتفصيل أحداث الفيلم التي كانت تـدور فـي عهد ريتشـارد الأول. النقيب، كرجل عسكري، انتقـد إلى حد ما مشاهد المعارك.

لـم يستكمـل اللعـب لأن السيـدة كايلـي نظـرت بساعـة يدهـا واكتشفـت تأخر الوقـت، فصاحـت مذعورة وذهبت بسرعة للسيد كايلي الذي كان، كشخص مهمل، يحـاول الاستمتـاع تمامًـا بوقتـه، ويسعل بشـكل كئيـب ويرتعش من البـرد ويردد كثيرًا ما يلي:

"حسنًـا، كل شـيء على ما يرام عزيزتي. أتمنى أن تكوني قد استمتعت باللعب. وبالنسبـة لـي فمـا مـن مشكلـة علـى الإطـلاق. حتـى إن أصبـت ببرد شديـد، فما المشكلة؟ هذا ليس أصعب من الحرب التي نواجهها!".

٢

عنـد تنـاول الإفطـار في الصبـاح التالي، أدركـت توبنس على الفـور وجود نوع من التوتر بالمكان.

كانـت السيـدة بيرينـا حادة للغايـة في ملاحظاتهـا القليلة التـي تحدثت بها. غادرت الغرفة بطريقة أقل ما يقال عنها إنها متخبطة.

وضـع النقيـب بليتشلـي قـدرًا كبيرًا من المربـى على قطعة الخبـز، ثم ابتسم ابتسامة عريضة.

أشـار قائـلاً: "أشعـر بقدر من البرودة فـي الجو، حسنًا، حسنًـا! أعتقد أن هذا أمر متوقع".

سألت السيدة مينتون وهي تنحني للأمام بحماس، بينما كانت رقبتها البدينة تنثني: "لماذا، ما الذي حدث؟".

رد النقيب بغضب: "لم أكن أعلم أنني سيتحتم عليَّ سرد القصص حتى بعد ترك المدرسة".

"أوه، أيها النقيب".

قالت توبنس: "أخبرنا ما الأمر".

نظر النقيب بليتشلي بتمعن إلى مستمعيه: الآنسة مينتون والسيدة بلنكينسوب والسيدة كايلي والسيدة أورورك. وبالنسبة للسيدة سبروت وبيتي فقد ذهبتا للتو. قرر أن يتحدث فقال:

"الأمر بخصوص السيد ميدوز. لقد قضى الليلة بأكملها بالخارج ولم يأت حتى الآن".

تعجبت توبنس قائلة: "*ماذا؟*".

رمقها النقيب بليتشلي بنظرة ماكرة واستمتع بما بدا على هذه الأرملة الخبيثة من عدم ارتياح.

ضحك ضحكة خافتة ثم قال: "هذا الماكر ميدوز. السيدة بيرينا تشعر بغضب شديد بسببه".

قالت الآنسة مينتون منزعجة: "أوه يا عزيزي". بدت السيدة كايلي مصدومة. أما السيدة أورورك فضحكت ضحكة خافتة ثم قالت:

"لقد أخبرتني السيدة بيرينا بالفعل. حسنًا الرجال هم الرجال".

قالت الآنسة مينتون بحماس:

"أوه، لكن بالتأكيد - ربما يكون السيد ميدوز قد تعرض لحادث؛ فكما تعرفون الليلة الماضية كانت مظلمة للغاية".

قال النقيب بليتشلي: "أرى أن الظلام أصبح مسئولًا عن الكثير من الأحداث. يمكنني القول إنه شخص قوي الملاحظة بحكم عمله في نوبات الحراسة بالجيش؛ حيث كان يقوم بإيقاف السيارات وما إلى هذا. كان يراقب عددًا كبيرًا

مـن الزوجـات يرون أزواجهن عائدين للتو. ويتفحص الكثير من بطاقات الهوية. ويشاهـد الـزوج أو الزوجـة وهو عائد أدراجـه مرة أخرى بعد مضـي ساعات قليلة علـى وصولـه، ها ها" وابتسـم ابتسامة صغيرة ثم توقف عندمـا لاحظ أن السيدة بلنكينسوب تحدق إليه بغضب.

قال بهدوء: "أعتقد أن الطبيعة البشرية تميل إلى المزاح، أليس كذلك؟".

قالـت الآنسـة مينتـون: "أوه، لكـن السيـد ميدوز، ربمـا يكون قـد تعرض حقًا لحادث. ربما تكون صدمته سيارة".

قـال النقيـب: "أعتقـد أن هـذا مـا سيقولـه؛ سيارة مـا صدمته فسقـط فاقدًا الوعي ثم استعاد وعيه في الصباح"

"ربما يكون تم نقله إلى المستشفى".

"كانوا سيخبروننا؛ فهو في النهاية يحمل معه بطاقته، أليس كذلك؟".

قالت السيدة كايلي: "أوه يا عزيزي، ترى ماذا سيكون رد فعل السيد كايلي؟".

ظـل هـذا السؤال بدون إجابة. نهضت توبنس متظاهـرة بالشعور بالإهانة، ثم تركت الغرفة.

ابتسم النقيب بليتشلي عندما أُغلِق الباب خلفها وقال:

"يـا لـك مـن مسكين يا ميدوز! هـذه الأرملة تشعر بالغضب مـن أجلك؛ فهي تظن أنها قد أثرت فيك".

قالت الآنسة مينتون: "أوه، أيها النقيب بليتشلي".

غمز النقيب بعينيه ثم قال:

"ألا تذكرين ما قاله ديكنز؟ *لقد حذرنا من الأرامل"* .

٣

شعرت توبنس بقليل من الغضب إزاء عدم الإعلان عن غياب تومي، لكنها حاولت طمأنة نفسها. ربما يكون لاحظ شيئًا ما وانشغل في التحري والحصول على المعلومات. توقع كل منهما صعوبة الاتصال بينهما في ظل مثل هذه الظروف، واتفقا ألا يبدي الطرف الآخر قلقًا مبالغًا فيه بسبب الغياب غير المبرر. لقد رتبا حيلًا معينة فيما بينهما للتعامل مع مثل هذه الظروف الطارئة.

وفقًا لما قالته السيدة سبروت خرجت السيدة بيرينا بالأمس؛ بيد أن حدتها في إنكار هذه الحقيقة جعلت غيابها هذا أمرًا مثيرًا للاهتمام ويجب التفكير فيه.

ربما يكون تومي قد راقبها في أثناء مهمتها السرية واكتشف شيئًا ما يستحق المتابعة.

لو كان الأمر كذلك لحاول بدون شك التواصل مع توبنس بطريقته الخاصة، أو العودة بسرعة.

رغم ذلك، لم تقدر توبنس على تجنب الشعور بالاضطراب. قررت أنه وفقًا لدور السيدة بلنكينسوب الذي تلعبه سيكون من الطبيعي جدًا أن تبدي بعض الفضول بل والقلق أيضًا. ذهبت بهدوء بحثًا عن السيدة بيرينا.

حاولت السيدة بيرينا التحدث معها في هذا الشأن باختصار، وأوضحت أنه لن يتم التغاضي عن مثل هذا السلوك من جانب أحد نزلائها. صاحت توبنس قائلة:

"أوه، ربما يكون تعرض لحادث. أنا متأكدة من ذلك. إنه ليس هذا النوع من الرجال ـ ليس متحررًا على الإطلاق في أفكاره، أو أي شيء من هذا القبيل. لابد أنه تعرض لحادث سيارة أو ما شابه".

قالت السيدة بيرينا: "من المؤكد أننا سنسمع بعض الأخبار عما قريب".

بيد أن اليوم بأكمله قد مر دون ورود أي خبر عن السيد ميدوز.

في المساء، وافقت السيدة بيرينا وهي تشعر بنوع من التردد على الاتصال بالشرطة، مدفوعة بتوسلات نزلائها.

أتـى ضابـط شرطـة للمنـزل وبحوزتـه دفتـر التحقيقـات وأخـذ منهـم بعض التفاصيـل. تـم التوصـل إلـى بعض الحقائق؛ غـادر السيـد ميدوز منـزل القائد هايـدوك فـي حوالي الساعـة العاشـرة والنصف. ومن هنـاك سار بصحبـة السيد والتـرزود. كيرتـز حتـى اقتربوا من بوابـة سان سوسي؛ حيـث ودعهما ومضى في طريقه.

يبدو أن السيد ميدوز قد اختفى منذ هذه اللحظة.

بناء على هذه المعلومات طرأ بذهن تويئس احتمالان.

فـي أثنـاء سيـره ربمـا يكـون رأى السيـدة بيرينـا تقتـرب منـه، فاختبـأ وسط الشجيـرات ثـم تبعهـا. وعندمـا شاهدها وهي تلتقـي شخصًا مجهـولًا، ربما يكون قـرر مراقبـة هـذا الشخص بينمـا عادت السيـدة بيرينا إلى سـان سوسي. في هذه الحالـة، هنـاك احتمـال كبير أن يكون مـا زال على قيد الحيـاة، وكل ما هنالك أنه مشغـول فـي ملاحقة هـذا الشخص. وهذا يعنـي أن محاولات الشرطـة المضنية للعثور عليه قد تنتهي بموقف محرج للغاية.

الاحتمـال الثانـي لـم يكـن سارًا علـى الإطـلاق. وهو ينحصـر فـي صورتين - إحداهما صورة السيدة بيرينا عندما عادت من الخارج "وكان شعرها أشعث، وغير قـادرة علـى التقـاط أنفاسها "، والصورة الثانية التي لا يمكـن تجاهلها هي صورة السيدة أورورك وهي تقف عند النافذة مبتسمة ممسكة بيدها مدقًا.

هناك احتمالات عديدة ورهيبة بخصوص هذا المدق.

ما سبب وجود مدق بالخارج؟

تحديـد الشخص الـذي دبر كل هـذا يعتبر أمـرًا غاية في الصعوبـة. ويعتمد بدرجـة كبيـرة على معرفة الوقت المحدد الذي دخلت فيه السيدة بيرينا الفندق. مـن المؤكـد أنها كانت في مكان قريب في حوالي الساعـة العاشرة والنصف، لكن مـا مـن أحد من المجموعة التي انشغلت بلعـب الورق قد لاحظ الوقت بالضبط. أعلنـت السيـدة بيرينا بحدة أنهـا لم تخرج إلا لتفقد حالة الجـو. لكن تفقد حالة الجـو لـن يسبب اللهاث. من المؤكد أنها شعرت بغضب شديد بسبب رؤية السيدة

سبروت لها. والحظ وحده جنب السيدات الأربع أية شبهات نظرًا لاستغراقهن في لعب الورق.

متى كان الوقت تحديدًا؟

وجدت توبنس أن الجميع ملتبس عليهم الأمر.

إذا ما تم تحديد الوقت، فستصبح السيدة بيرينا من أكثر الشخصيات المشتبه فيها. لكن هناك احتمالات أخرى. من بين جميع المقيمين بسان سوسي، كان هناك ثلاثة بالخارج في نفس وقت عودة تومي. النقيب بليتشلي كان بالسينما - لكنه ذهب إليها وحده، والطريقة التي أصر بها على سرد الفيلم بأكمله بدقة قد تكون إشارة إلى عقل مريب يحاول عن عمد إيجاد مبرر لغيابه.

ثم هناك السيد كايلي المريض الذي خرج ليتجول بالحديقة بأكملها، لكن بالنسبة لموقف السيدة كايلي وقلقها بشأن زوجها، ما من أحد سمع عن هذه الجولة وتخيل أن السيد كايلي قد ظل جالسًا على كرسيه واضعًا البطانية على قدميه كالمومياء طوال هذه الفترة.

(في الواقع هذا تصرف غريب عليه؛ فهو لا يجازف ويعرض نفسه لاحتمال الإصابة بالبرد هكذا).

وكانت هناك السيدة أورورك نفسها، التي ظلت تهز المدق وتبتسم ...

٤

"ما الخطب ديبورا؟ تبدين قلقة يا عزيزتي".

بدأت ديبورا بيرسفورد الحديث، ثم ضحكت، ونظرت إلى عيني توني مارسدون البنيتين. كانت معجبة بتوني؛ فهو شخص ذكي - أحد أكثر الشخصيات اللامعة في قسم التشفير - ويظن الجميع أنه سيكون له مستقبل واعد.

كانت ديبورا تستمتع بعملها، رغم أنها وجدته يحتاج إلى قدر كبير جدًا من التركيز. كان عملًا مرهقًا، بيد أنه كان ذا شأن ومنحها شعورًا جميلًا بالأهمية. كان عملًا حقيقيًا - ليس مجرد التجول بمستشفى في انتظار فرصة للتمريض.

قالت:

"أوه، لا شيء. بعض المشاكل العائلية".

"هذه إجابة عامة. ما الذي يثير قلقك تحديدًا؟".

"والدتي، في الحقيقة أشعر ببعض القلق حيالها".

"لماذا؟ ماذا حدث؟".

"حسنًا، لقد ذهبت إلى مقاطعة كورنوال للإقامة مع عمتي العجوز البالغة من العمر ٧٨ عامًا وتعاني الخرف".

علق الشاب بتعاطف قائلًا: "يا له من أمر صعب للغاية!".

"نعم، إنه تصرف نبيل من والدتي، لكنها قد أقدمت عليه نظرًا لأنه ما من أحد أراد مساعدتها في هذه الحرب. بالطبع، عملت كممرضة وقامت بالعديد من المهام خلال الحرب الماضية - لكن الأمور كلها قد اختلفت الآن، وهم لا يريدون هؤلاء الأشخاص الذين بلغوا منتصف العمر. يريدون الشباب المستعدين للعمل تحت ضغط. حسنًا، كما أظن، كانت والدتي تشعر بالملل ولذلك ذهبت إلى كورنوال للإقامة مع العمة جراسي؛ حيث تعمل بالحديقة، وتشغل نفسها بزراعة مزيد من الخضراوات وما إلى ذلك".

علق توني قائلًا: "يبدو حلًا مناسبًا".

قالت ديبورا بعطف: "نعم، هذا أفضل شيء استطاعت القيام به؛ فهي ما زالت تتمتع بالنشاط والحيوية".

"حسنًا، تصرف صائب".

"أوه نعم، إنه كذلك. شعرت بسعادة غامرة بشأنها - لقد وصلني خطاب منها منذ يومين وشعرت منه بأنها سعيدة للغاية".

"ما المشكلة إذن؟".

"تكمن المشكلة في أنني طلبت من تشارلز الذي كان ذاهبًا لزيارة أقاربه بهذه المقاطعة أن يذهب ويبحث عنها، وبالفعل ذهب لكنه لم يجدها هناك".

"حقًا لم تكن *هناك*؟".

"نعم، وعلى ما يبدو أنها لم تذهب إلى هناك من الأساس!".

بدا توني محرجًا إلى حد ما.

تمتم قائلًا: "يا له من شيء غريب، أين - أقصد - أين والدك؟".

"والدي، أوه إنه بمكان ما في إسكتلندا؛ حيث يعمل بإحدى الوزارات كموظف إداري يقوم بحفظ الأوراق بالملفات طوال اليوم".

"ربما تكون والدتك ذهبت للانضمام إليه؟".

"لا يمكنها ذلك. إنه بمنطقة لا يمكن للزوجات التواجد بها".

"أوه، حسنًا، أعتقد أنها ربما تكون ذهبت للاستجمام بمكان ما".

شعر توني بإحراج شديد الآن - خاصة عندما شاهد القلق واضحًا بعيني ديبورا وهي تنظر إليه.

"نعم، لكن لماذا لم تخبرني؟ إنه أمر مريب للغاية. في كل خطاباتها كانت تتحدث عن العمة جراسي والحديقة وكل شيء".

قال توني سريعًا: "أعرف، أعرف، ربما تكون أرادت أن تجعلك تظنين - أقصد - هذه الأيام - حسنًا، بعض الأشخاص يذهبون للاستجمام أحيانًا إذا كنت تفهمين قصدي -".

تغيرت نظرة ديبورا فجأة، بعد أن كانت حزينة أصبحت في شدة الغضب.

"إذا كنت تظن أن والدتي قد ذهبت لتستجم بصحبة شخص ما فاعلم أنك مخطئ تمامًا. والدتي ووالدي مخلصان لبعضهما - مخلصان جدًا. الإخلاص سمة من سمات عائلتنا. إنها لم -".

قال توني بسرعة:

"بالطبع لم أقصد ذلك، آسف. لم أقصد -" .

بعدما قلت حدة غضبها، عقدت جبينها وقالت:

"الغريب أن هناك شخصًا ما أخبرني منذ بضعة أيام أنه قد رآها في ليهامبتون فقلت لنفسي من المؤكد أنها ليست هي لأنني كنت متأكدة من وجودها في كورنوال، لكن الآن أتساءل ـ".

كان توني على وشك إشعال سيجارة، عود الثقاب كان بالقرب من السيجارة عندما توقف فجأة وقال بحدة:

"هل قلت ليهامبتون؟".

"نعم، آخر مكان يمكن أن أتخيل ذهابها إليه. ما من شيء لتقوم به بهذا المكان الممتلئ بكبار السن من رجال الجيش والسيدات اللاتي لم يتزوجن".

قال توني: "بالطبع ليس بالمكان المحتمل تواجدها به".

أشعل سيجارته ثم سأل بشكل عادي:

"ماذا كانت وظيفة والدتك بالحرب الماضية؟".

أجابت ديبورا على الفور:

"عملت لفترة كممرضة ثم كقائدة لسيارة قادة الجيش وليس حافلة عادية. وأشياء من هذا القبيل".

"أوه، ظننت أنها كانت مثلك ـ تعمل بالمخابرات".

"يا إلهي! والدتي لم تكن قط لتقدر على أداء مثل هذا النوع من المهام. رغم ذلك أعتقد أنها هي ووالدي كانا يعملان محققين سريين يتعاملان مع الأوراق السرية والجواسيس ـ شيء من هذا القبيل. بالطبع كانا يبالغان قليلًا في وصفهما لوظيفتهما ومدى أهميتها. لم نشجعهما على الحديث عن عملهما هذا كثيرًا لأننا كنا نرغب في التحدث عن شئوننا الخاصة ـ القصة المعتادة في كل بيت كما تعرف".

قال توني مارسدون بحماس: "أوه، حقًا، أوافقك الرأي".

في اليوم التالي عندما عادت ديبورا إلى غرفتها، شعرت بوجود شيء غريب بها.

استغرق الأمر دقائق قليلة حتى اكتشفته. قامت على الفور باستدعاء صاحبة العقار وسألتها عما حدث للصورة الكبيرة التي كانت موجودة على خزانة الأدراج.

شعرت السيدة رولي بالظلم والحزن.

قالت إنها لا تعرف عنها شيئًا، كانت متأكدة؛ فهي لم تلمسها، ربما يكون جلاديز.

لكن جلاديز أيضا أنكر أخذها. أكدت لها صاحبة العقار أنه كان منشغلًا مع عمال الغاز.

لكن ديبورا رفضت تصديق أن موظفًا من شركة الغاز قد أعجب بصورة سيدة في منتصف العمر وقرر أخذها.

من وجهة نظر ديبورا، على الأرجح قام جلاديز بتحطيم إطار الصورة وعلى الفور أزال كل آثار الجريمة ووضعها بسلة القمامة.

لم تحدث ديبورا ضجة كبيرة حيال الأمر؛ ففي وقت لاحق سوف تطلب من والدتها أن ترسل لها صورة أخرى.

قالت لنفسها باستياء شديد:

"ترى أين أنت عزيزتي؟ من الممكن أن تخبرني لاحقًا. بالطبع كل ما قاله توني عن ذهابها للاستجمام بصحبة شخص ما يعتبر مجرد هراء، لكن في الوقت ذاته اختفاؤها هذا غريب جدًا ...".

الحادي عشر

حان دور توبنس لتتحدث إلى الصياد عند الجسر.

رغم الموقف العصيب كان لديها أمل أن تجد لدى السيد جرانت بعض الأخبار المطمئنة، لكن آمالها كلها قد انهارت سريعًا؛ حيث صرح مؤكدًا أنه لم تصله أية أخبار من تومي.

قالت توبنس، وهي تبذل قصارى جهدها لتتحدث بنبرة واثقة وعملية:

"ما من سبب لافتراض أن هناك أي مكروه قد وقع له، أليس كذلك؟".

"بالطبع، لكن دعينا نفترض عكس ذلك".

"ماذا؟".

"أقول - لنفترض أن هناك مكروهًا حدث له. ماذا عنك أنت؟".

"أوه فهمت - بالطبع سأواصل عملي".

"قرار صائب. *ما زال لدينا وقت لكسب المعركة*. نحن في خضم المعركة الآن. والوقت قصير. لقد ثبتت صحة معلومة أخبرتنا بها. لقد سمعت أحدهم

يتحـدث فـي الهاتف ويذكـر كلمة *الرابع*. تلك الكلمة تشير إلـى الرابع من الشهر القادم. إنه التاريخ المحدد للهجوم على هذه المدينة".

"هل أنت متأكد؟".

"متأكـد تمامًـا. أعداؤنا منظمـون للغاية، كل خططهم يتـم وضعها وتنفيذها بمنتهى الدقة. ليتنا كنا مثلهم؛ فالتخطيط يعتبر نقطة ضعفنا. نعم، الرابع، هو اليـوم الموعـود. كل هذه الغارات ليست الخطر الحقيقي - إنها على الأرجح مجرد استكشـاف ـ اختبـار لدفاعاتنـا وردود أفعالنا تجـاه الهجمات الجويـة. في الرابع سيأتي الهجوم الحقيقي".

"لكن بما أنك على علم بهذه الحقيقة ـ".

"نعم، نحن نعرف اليوم المحدد. ونعرف، أو نظن أننا نعرف، المكان ... (لكننا ربما نكون مخطئين بخصوصه). نحن على أتم استعداد، لكن الوضع أشبه بقصة حـرب طـروادة؛ كانـوا يعرفـون، كما نعـرف نحن، كل شـيء عن القـوات الموجودة بالخـارج، لكننـا نريـد بعض المعلومـات عن القـوات الموجودة بالداخـل، الرجال الموجوديـن داخـل الحصـان الخشبـي! لأنهـم هـم القادرون علـى إرسـال مفاتيح الحصـن. وجود عشرات الرجال بأماكن مهمـة وبموضع سلطة، وإصدارهم أوامر متضاربة، من الممكن أن يدخل البلد في حالة من الفوضى اللازمة لنجاح الخطة الألمانية. علينا أن نحصل على معلومات من الداخل في الوقت المناسب".

قالت توبنس يائسة:

"أشعر بأنني عديمة الجدوى ـ وعديمة الخبـرة".

"أوه، لا داعـي لشعـورك بالقلق إزاء هذا. لدينا رجـال ذوو خبرة يعملون معنا، لدينا كل ما نحتاج إليه من خبرة وموهبة ـ لكن عندما تكون هناك خيانة بالداخل لا يمكننـا تحديـد الشخصيات موضع الثقة. أنت والسيد بيرسفورد تمثلان القوة غيـر العاديـة. مـا من أحـد يعرفكمـا؛ لهذا السبـب لديكمـا فرصة للنجـاح ـ لهذا السبب نجحتما إلى حد ما".

"ألا يمكنـك تكليـف بعض رجالـك بمراقبـة السيـدة بيرينـا؟ لابـد أن هنـاك شخصيات معينة محل ثقتك؟".

"لقـد قمـت بذلـك. وحصلـت على "معلومـات تفيد بـأن السيـدة بيرينا عضو بالجيش الأيرلنـدي ومعاديـة لبريطانيـا" وهـذا أمـر مؤكد ـ لكننـا لا نستطيع الحصـول علـى مزيد من المعلومات أو الأدلة. الحقائق المهمة التي نريدها؛ لذا عليك أن تواصلي عملك سيدة بيرسفورد. استمري وابذلي قصارى جهدك".

قالت توبنس: "الرابع، أهذا يعني أنه لم يتبق أمامنا سوى أسبوع؟".

"أسبوع واحد فقط".

قبضت توبنس يديها.

"يجـب *أن نتوصـل إلـى شـيء مـا* ! أقـول نتوصـل لأننـي متأكـدة أن تومي في طريقـه لاكتشـاف سـر ما، ولهـذا السبب لـم يعد. إنه يقتفـي أثر دليل مـا. ليتنى أستطيع أنا أيضًا الوصول إلى شيء ما. أتساءل كيف. لو أنني ـ".

قطبت جبينها، وفكرت في شكل جديد للهجوم.

٢

"هل فهمت يا ألبرت، يمكننا القيام بذلك".

"بالطبع فهمت قصدك سيدتي، لكنني لست معجبًا بالفكرة".

"أعتقد أنها ستجدي نفعًا".

"نعـم سيدتـي، لكنـك ستعرضيـن نفسـك للخطر ـ وهـذا ما لا يعجبنـي ـ وأنا متأكد أن السيد بيرسفورد لم يكن ليعجب بهذه الفكرة".

"لقـد جربنـا كل الطـرق المعتادة، بمعنـى أننا بذلنا أقصى جهـد لدينا ونحن متخفيـان، ويبـدو لـي أن فرصتنـا الوحيـدة للنجـاح الآن تتمثـل فـي الكشـف عن حقيقتنا".

"هل أنت مدركة ما تقولينه يا سيدتي؟ أنت بهذه الطريقة تضربين عرض الحائط بميزة مهمة جدًا".

قالت توبنس وهي غاضبة: "حديثك اليوم أشبه بحديث مذيعي الأخبار يا ألبرت".

بدا ألبرت مندهشًا إلى حد ما وعاد للحديث بطريقة طبيعية.

فسر الأمر قائلًا: "كنت أستمع ليلة أمس إلى حديث ممتع للغاية عن حياة العملاء السريين".

قالت توبنس: "ليس لدينا وقت للتفكير في حياة العملاء السريين الآن".

"أين كابتن بيرسفورد، هذا ما أود معرفته؟".

قالت توبنس بحزن: "وأنا أيضًا أود ذلك".

"اختفاؤه هذا بدون مقدمات لا يبدو طبيعيًا. كان من المفترض أن يكون على اتصال بك الآن. ولهذا السبب ــ".

"نعم ألبرت، ماذا تريد؟".

"ما أقصده هو أنه إذا كان انكشف *أمره*، فربما يكون من الأفضل ألا ينكشف *أمرك* أنت أيضًا".

توقف ليعيد ترتيب أفكاره ثم أكمل حديثه قائلًا:

"أقصد أنهم قد عرفوا *حقيقته، لكن ربما لا يكون لديهم علم بأمرك* - ومن ثم فالأمر متروك لك وبإمكانك الاحتفاظ بشخصيتك الوهمية".

تنهدت توبنس قائلة: "ليتني أستطيع التوصل لقرار حاسم".

"كيف ستدبرين الأمر يا سيدتي؟".

تمتمت توبنس بتمعن وقالت:

"سوف أتظاهر بأنني فقدت خطابًا كتبته - وأحدث الكثير من الجلبة حيال ذلك، وأبدي غضبًا شديدًا، فيما بعد سيتم العثور عليه في الردهة وستضعه الخادمة على طاولة الردهة، وسيأتي الشخص المناسب ليلقي نظرة عليه".

"ماذا سيكون بالخطاب؟".

"أوه علـى الأرجـح سأكتب أننـي نجحت في اكتشاف هويـة *الشخص المطلوب* وأنني سأعد تقريرًا كاملًا غدًا. بعد ذلك يا ألبرت سيفصح إن أو إم عن شخصيته وسيحاول التخلص مني سريعًا".

"نعم، وربما سيتمكن من ذلك أيضًا".

"ليس إذا كنـت متوخية الحـذر تمامًا. أعتقـد أنه سيتحتم عليهـم استدراجي إلـى مـكان بعيـد ـ مكان مهجور. وسيتحتم عليك أنت القـدوم إلى هناك ـ لأنهم لا يعرفون شيئًا عنك".

"سوف أتبعهم وألقي القبض عليهم متلبسين، أهذا ما تقصدينه؟".

أومأت توبنس برأسها ثم قالت:

"نعم، هذا ما أفكر فيه. يجب أن أخطط للأمر بمنتهى الحذر ـ سأقابلك غدًا".

٣

فـي أثنـاء خـروج توبنـس مـن المكتبة ومعهـا "كتاب لطيـف"، كما تـم وصفه لها، تضعه تحت ذراعها اندهشت عندما سمعت صوت شخص ما يقول:

"سيدة بيرسفورد".

استدارت فجأة لترى شابًا طويلًا ذا ابتسامة جميلة وخجولة إلى حد ما.

قال:

"يا إلهي ـ أخشى أنك لا تتذكرينني؟".

كانت توبنس معتادة مثل هذه الأسئلة، واستطاعت توقع كل الكلمات التالية:

"لقد أتيت لزيارتكم بصحبة ديبورا في يوم ما".

أصدقاء ديبورا! إنهم كثيرون، وبالنسبة لتوبنس، فهم يشبهون بعضهم بعضهم بشكل غريـب. بعضهـم ذوو شعـر أسـود كهـذا الشـاب، وبعضهـم ذوو شعر أشقـر، وهناك

آخـرون ذوو شعـر يميـل للحمرة ـ لكنهم جميعًا لديهـم الشكل نفسه ـ ويتمتعون بمظهـر جميـل وبحسن الخلق، بيد أن شعرهـم من وجهة نظر توبنس كان طويلًا جدًا. (عندما كانت توبنس تشير إلى ذلك، كانت ديبورا ترد قائلة: "أوه يا أمي، لا تتمسكي بالطراز القديم لهذه الدرجة؛ فأنا لا *أطيق* الشعر القصير".)

شعـرت توبنـس بالضيق لمقابلتهـا هذا الشاب وتعرفه عليهـا الآن، ورغم ذلك ستقوم على الأرجح بمصافحته حالًا.

قال الشاب: "أنا أنتوني مارسدون".

تمتمت توبنس كاذبة: "أوه، نعم أعرفك"، وصافحته.

أكمل توني مارسدون حديثه قائلًا:

"أنـا فـي غايـة السعـادة لعثوري عليك سيـدة بيرسفـورد. أنا أعمل مـع ديبورا بالوظيفة نفسها، وفي الحقيقة حدث شيء غريب معها".

قالت توبنس: "نعم، ماذا يكون؟".

"حسنًا، لقد اكتشفت ديبورا أنك لست بمقاطعة كورنوال كما كانت تظن، وهذا أمر غريب، أليس كذلك؟".

قالت توبنس باهتمام: "يا لها من مشكلة، كيف عرفت ذلك!".

وضح توني الأمر وواصل حديثه وهو يشعر بنوع من الخجل قائلًا:

"بالطبع ديبورا ليست لديها أدنى فكرة عما تقومين به بالفعل".

توقف قليلًا ثم واصل حديثه قائلًا:

"وأعتقـد أنـه مـن المهم ألا تعرف شيئـًا. في الواقع، وظيفتـي تشبه مهمتك؛ مـن المفترض أن أكون مبتدئًا فـي قسم التشفير، وفي الواقع لـديَّ تعليمات بأن أبـدي آراء فاشيـة ـ أوضح مدى إعجابي بالنظـام الألماني، واقتناعي بأن التحالف مـع هتلـر لـن يكون فكـرة سيئة ـ وألاحظ رد الفعـل تجاه ذلك. هنـاك الكثير من الفساد، كما تعرفين، ونحن نود معرفة المسئول عن ذلك".

فكرت توبنس قائلة: "الفساد في كل مكان".

أكمل الشاب حديثه قائلًا: "لكن بمجرد أن أخبرتني ديبورا عنك، رأيت أنه من الأفضل أن آتي إلى هنا وأحذرك كي تختلقي قصة مناسبة وتخبريها بها. أعرف ما تقومين به وأعلم أنها مهمة ذات أهمية قصوى. وإذا ما عرف أحد شيئًا عن شخصيتك الحقيقية فسيمثل ذلك خطورة كبيرة عليك. فكرت أنه بإمكانك إخبارها بأنك ذهبت للانضمام للكابتن بيرسفورد في إسكتلندا أو أينما يوجد. يمكنك القول إنهم سمحوا لك بالعمل معه".

قالت توبنس بتمعن: "بالتأكيد يمكنني القيام بذلك".

قال توني مارسدون بقلق:

"ألا تعتقدين أنني أتطفل بعض الشيء؟".

"كلا، كلا، أنا ممتنة جدًا لك".

قال توني بطريقة غير منطقية:

"أنا - حسنًا - أتعرفين - أنا معجب بـ ديبورا".

رمقته توبنس بنظرة سريعة تنم عن الاهتمام.

يا لغرابة الموقف! إن شدة ديبورا وحدتها مع هؤلاء الشباب المهذبين لم تصداهم ولم تدفعاهم لتجنب الإعجاب بها. هذا الشاب، من وجهة نظر توبنس، بدا جذابًا إلى حد ما.

طرحت جانبًا ما أطلقت عليه مسمى "أفكار وقت السلم" وركزت على الموقف الحالي.

بعد دقيقة أو اثنتين قالت ببطء:

"زوجي ليس بإسكتلندا".

"حقًا؟".

"كلا، إنه هنا معي. أو كان معي! أما الآن فهو مختف".

"أرى أن هذا خبر سيئ - أليس كذلك؟ هل كان يحاول الوصول إلى شيء ما؟".

أومأت توبنس برأسها.

ابتسمت وقالت: "أعتقد ذلك؛ لهذا السبب لا أظن أن اختفاءه بهذا الشكل له دلالة سيئة. أعتقد أنه عاجلًا أو آجلًا سيتصل بي - بطريقته الخاصة".

قال توني، وهو يشعر بقليل من الحرج:

"بالطبع أنت تعرفين قواعد اللعبة جيدًا، لكن عليك أن تكوني حذرة".

أومأت توبنس برأسها:

"أفهم قصدك، البطلات الجميلات في الكتب غالبًا ما يتم خداعهن، لكن أنا وتومي لدينا *طريقتنا الخاصة. ولدينا شعارنا"، ثم ابتسمت قائلة: "متى تأزمت الأمور ستجد توبنس الحل"*.

حدق إليها الشاب كما لو كان أصابها نوع من الجنون ثم قال: "ماذا، من توبنس؟".

"يجب أن أوضح أن كنيتي هي توبنس".

بدا على الشاب الارتياح: "أوه فهمت. يا لك من سيدة عبقرية!".

"أتمنى ذلك".

"لا أريد التطفل - لكن هل من الممكن أن أساعد بأية طريقة؟".

قالت توبنس بتمعن: "نعم، أعتقد أنك تستطيع المساعدة".

الثاني عشر

بعدما ظل فاقدًا الوعي فترة طويلة، بدأ تومي يستعيد وعيه وشعر كأن هناك كرة من اللهب تحوم بالمكان وبمنتصفها ألم شديد، تضاءل العالم من حوله، وبدأت الكرة تتأرجح بمزيد من البطء - وفجأة اكتشف أن مركز هذه الكرة هو رأسه الذي يؤلمه.

وبالتدريج بدأ يدرك أشياء أخرى - أطرافه الباردة المتشنجة، شعوره بالجوع، وبعدم القدرة على تحريك شفتيه.

ببطء تحركت كرة اللهب ... إنه رأس توماس بيرسفورد الذي يستند إلى أرض صلبة. صلبة جدًا. في الحقيقة إنه يتكئ على شيء أشبه بالحجر.

نعم لقد كان مستلقيًا على حجر صلب، شاعرًا بألم شديد، وبعدم القدرة على الحركة، فضلًا عن شعوره بالجوع والبرد وعدم الراحة.

رغم أن فُرش السيدة بيرينا لم تكن قط ملساء للغاية، لكن من المؤكد أن هذا المكان لا علاقة له بها -.

نعم، إنه ليس فندق بيرينا، بل هو منزل هايدوك. جهاز اللاسلكي! النادل الألماني! واستدارته عند بوابات سان سوسي...

هنـاك شخصـ ما تسلل من خلفه، وطرحـه أرضًا، وهذا هو سبـب شعوره بألم في رأسه.

كان يظن أنه فر بما لديه من معلومات! إذن في النهاية، اتضح أن هايدوك لم يكن بهذه الحماقة؟

لكـن هـل هايـدوك هو من قام بذلك؟ لقـد عاد إلى استراحـة سماجلرز وأغلق الباب خلفه. كيف نجح في اجتياز التل وانتظار تومي بسان سوسي؟

لم يكن ليقدر على ذلك. ليس بدون أن يراه تومي. إذن هل الخادم هو من قام بذلك؟ هل تم إرساله مسبقًا ليكون بانتظاره؟ لكن تومي في أثناء عبوره الردهة، رأى أبلـدور فـي المطبخ حيث كان بابه مفتوحًا جزئيًـا؟ أم أنه تخيل رؤيته؟ ربما، فذلك هو التفسير الوحيد.

على أية حال هذا لا يهم. أهم شيء عليه القيام به الآن هو معرفة مكانه الحالي.

عينـه التـي اعتادت الظلام استطاعت أن تلمح بصيصًـا من الضوء. ربما تكون نافـذة أو حاجـزًا مشبكًا صغيرًا. رائحة الهواء كانت بـاردة وكريهة. تخيل أنه ربما يكـون مستلقيًـا بقبـو. كان مقيـد اليديـن والقدميـن فضلًا عـن وجـود أداة لفتح الفكين بفمه مثبتة بضمادة.

فكر تومي: "يبدو أنني انتهيت".

حاول بحذر أن يحرك أطرافه أو جسده لكنه لم ينجح.

عنـد هـذه اللحظـة، سمع صوتًا ضعيفًـا وإذا بباب من خلفـه يفتح ويدخل منه رجـل وبيـده شمعة ثم وضـع الشمعة على الأرضـ. عرفه تومـي، إنه أبلدور. اختفى أبلدور مرة ثانية ثم عاد حاملًا طبق تقديم عليه إبريق مياه، وكوب، وبعض الخبز والجبن.

انحنـى وقـام أولًا باختبـار الحبال التـي تقيد أطراف تومي، ثـم أمسك بالأداة الموجودة بفمه.

قال بصوت هادئ:

"أنا على وشك نزع هذه من فمك. عندئذ ستقدر على تناول الطعام والشراب. لكن إذا ما أصدرت ولو صوتًا ضئيلًا، فسأضعها بفمك على الفور".

حاول تومي أن يومئ برأسه لكن ذلك بدا مستحيلًا؛ لذا بدلًا من ذلك أغمض عينيه وفتحهما عدة مرات.

اعتبر أبلدور ذلك نوعًا من الموافقة؛ لذا قام بحذر بإزالة الضمادة.

أصبح فمه حرًّا الآن، قضى تومي عدة دقائق في إراحة فكه، أمسك أبلدور كوب الماء وقربه من فمه، في البداية واجه صعوبة في البلع، لكن هذه الصعوبة تلاشت فيما بعد. منحته المياه شعورًا بالراحة.

تمتم بمشقة قائلًا:

"هذا أفضل. لم أعد شابًّا كما كنت بالماضي. الآن ماذا عن الطعام فريتز - أم كان اسمك فرانز؟".

قال الرجل بهدوء:

"اسمي هنا أبلدور".

أمسك بشريحة الخبز والجبن وأخذ تومي يقضم منها بنهم.

انتهت الوجبة بتناول الماء ثم سأل:

"ماذا عن الجزء التالي من البرنامج؟".

جاء رد أبلدور متمثلًا في الإمساك بالأداة التي تفتح الفك مرة ثانية.

قال تومي سريعًا:

"أريد رؤية القائد هايدوك".

هز أبلدور رأسه ثم وضع الأداة بفمه وانصرف.

ظل تومي وحده يتأمل الظلام، ثم استيقظ من نومه على صوت الباب وهو يفتح ثانية. هذه المرة أتى كل من هايدوك وأبلدور. تمت إزالة فاتح الفك بالإضافة إلى تحريره من قيوده كي يتمكن من الجلوس ومد ذراعيه.

دخل هايدوك وبحوزته مسدس.

بدأ تومي تمثيل دوره، لكنه لم يكن يشعر بأية ثقة.

قال بغير رضا:

"هايدوك ما معنى كل هذا؟ لقد تمت مهاجمتي - واختطافي -".

هز القائد رأسه بلطف.

ثم قال:

"لا تضيع وقتك فيما لا يفيد".

"لمجرد أنك فرد من جهاز المخابرات لدينا تظن أنه بإمكانك -".

هز هايدوك رأسه مرة ثانية.

"كلا يا ميدوز، أنت لم تنخدع بهذه القصة. لا داعي للاستمرار في التظاهر بتصديقها".

لكن تومي لم يبد عليه أي ارتباك. قال لنفسه إن هايدوك ربما يكون غير متأكد. وإذا ما استمر في تمثيل دوره -

قال: "من تظن نفسك؟ أيًا كان نفوذك فأنت ليس لديك حق لتتصرف بهذه الطريقة. أنا قادر تمامًا على حفظ أي سر من أسرارنا المهمة".

قال الآخر ببرود:

"إنك تقوم بدورك جيدًا، لكن دعني أخبرك بأنه لا يهم ما إذا كنت عضوًا بالمخابرات البريطانية أم مجرد هاو".

"ما كل هذا الهراء -".

"اخرس يا ميدوز".

"أود أن أقول -".

أبدى هايدوك غضبًا شديدًا ثم قال:

"اهدأ أيها اللعين. فيما مضى كان من المهم معرفة حقيقتك ومن أرسلك، أما الآن فهذا لا يهم على الإطلاق؛ فالوقت ضيق كما ترى. كما أنك لم تحظ بالوقت الكافي لإخبار أحد بما عرفته".

"ستبحث الشرطة عني بمجرد غيابي".

ابتسم هايدوك فجأة قائلًا:

"أتت الشرطة هنا هذا المساء. ضابطا الشرطة رائعان للغاية، إنهما من أصدقائي. لقد سألاني عن السيد ميدوز، وكانا مهتمين جدًّا بمسألة اختفائه. سألا كيف كان يبدو هذا المساء - وماذا قال. ولم يتوقعا قط، وأنَّى لهم ذلك، أن الرجل الذي يتحدثان عنه يرقد أسفل قدميهما حيث يجلسان. هكذا صار من الواضح تمامًا أنك غادرت هذا المنزل في حالة جيدة وعلى قيد الحياة، من ثم لن يحاولا أبدًا البحث عنك هنا".

قال تومي بحماس: "لا يمكنك حبسي هنا للأبد".

قال هايدوك مستعيدًا سلوكه البريطاني:

"هذه ليست مشكلة يا عزيزي. ستظل هنا حتى ليلة غد فقط. هناك قارب سيصل إلى كهفي الصغير الموجود أسفل المنزل - ونحن نفكر في إرسالك في رحلة من أجل صحتك - رغم أنني لا أظن أنك ستكون على قيد الحياة، أو حتى على متن القارب، عندما يصلون إلى وجهتهم".

"أتساءل لماذا لم توجه لي ضربة قاتلة وتتخلص مني على الفور".

"الجو هنا حار للغاية يا عزيزي. وفي بعض الأحيان تنقطع اتصالاتنا عبر البحر، وإذا ما انقطعت الاتصالات بعد قتلك - حسنًا، فسيعرف الجميع بوجود جثة بالمنزل؛ لأن رائحتها ستفضحنا".

قال تومي: "فهمت".

هكذا فهم كل شيء، وأصبح الأمر واضحًا بالنسبة إليه؛ سيتم الاحتفاظ به حتى وصول القارب، عندئذ سيقتل أو يخدر ويتم وضعه على القارب لإلقائه بالبحر. هكذا ما من أحد سيربط بين هذه الجثة، عندما يعثر عليها، وبين استراحة سماجلرز.

واصل هايدوك حديثه متحدثًا بطريقة عادية جدًّا: "لقد أتيت إلى هنا فقط لأسأل ما إذا كان هناك أي شيء يمكننا القيام به من أجلك - بعد ذلك؟".

فكر تومي ثم قال:

"شكرًا ـ بالطبع لن أطلب منك أن تأخذ خصلة من شعري للسيدة المقيمة بمنزل سانت جونز وود، أو أي شيء من هذا القبيل. سوف تفتقدني يوم دفع الرواتب ـ لكن يمكنني القول إنها سريعًا ما ستعثر على صديق بمكان آخر".

شعر بأنه يجب أن يخلق انطباعًا بأنه يعمل وحده، مهما كلفه الأمر؛ وذلك كي يبعد الشبهات عن توبنس، وبهذا تظل هناك فرصة للفوز بهذه الجولة، رغم عدم وجوده ليلعبها بنفسه.

قال هايدوك: "كما تريد، إذا كنت ترغب في إرسال رسالة إلى أحد أصدقائك، فسنعمل على التأكد من توصيلها له".

هذا يعني أنه رغم كل شيء كان هايدوك حريصًا على الحصول على بعض المعلومات عن السيد ميدوز، هذا الشخص مجهول الهوية؟ حسنًا، إذن من الممكن أن يتركه تومي ليخمن ما يريد.

هز رأسه وقال: "كلا لا أريد ذلك".

قال هايدوك: "حسنًا"، وبدت عليه اللامبالاة ثم أومأ لـ أبلدور الذي أعاد تقييد تومي ووضع الضمادة على فمه. خرج الرجلان وأغلقا الباب خلفهما.

هكذا ترك تومي وحيدًا ليمضي وقته في التفكير، انتابته الكثير من المشاعر باستثناء السعادة؛ ليس فقط لمجرد أنه كان على وشك الموت، بل أيضا لأنه ليست أمامه أية طريقة لترك أي دليل وراءه يشير إلى المعلومات التي اكتشفها.

جسده كان متعبًا للغاية، وعقله كان في حالة عدم نشاط. تساءل هل يمكنه استغلال اقتراح هايدوك بخصوص الرسالة؟ ربما، إذا كان عقله يعمل بشكل أفضل ... لكنه لم يستطع التفكير في شيء مفيد.

بالطبع ما زالت توبنس موجودة. لكن ما الذي يمكنها القيام به؟ فكما أشار هايدوك للتو، ما من سبب يربط بين اختفاء تومي وبين هايدوك؛ وذلك لأن تومي قد غادر استراحة سماجلرز في حالة جيدة وعلى قيد الحياة. وهناك شاهدان على ذلك. وتوبنس قد تشك في أي شخص إلا هايدوك. ومن المحتمل

ألا تشك على الإطلاق، قد تعتقد أنه كان مشغولًا في اقتفاء أثر شخص ما.

يا له من حظ سيئ! لو أنه قد توخى مزيدًا من الحذر.

كان هناك بصيص من الضوء في القبو، قادمًا من الحاجز المشبك الموجود بالأعلى بأحد الأركان. لو أنه يقدر على إزالة تلك الضمادة من فوق فمه، لصاح وطلب المساعدة. وربما سمعه أحد ما، رغم أن هذا احتمال بعيد.

على مدار نصف الساعة التالية، شغل نفسه في التحديق إلى الحبال التي تقيده ومحاولة قضم تلك الأداة المستخدمة في فتح فمه لكن ذلك كله كان بدون جدوى؛ فصناع هذه الأدوات يتقنون عملهم تمامًا.

ظن أن هذه هي فترة بعد الظهيرة، وتخيل أن هايدوك قد خرج؛ فهو لا يسمع أي صوت من فوق.

اللعنة، ربما يكون الآن منشغلًا بلعب الجولف، والتظاهر برغبته في معرفة ما حدث للسيد ميدوز!

"لقد تناول العشاء معي الليلة قبل الماضية ـ وبدا طبيعيًا، ثم رحل واختفى منذ ذلك الحين".

شعر تومي بغضب شديد، هذا السلوك الإنجليزي الناجم عن الحماس الشديد! هل كان الجميع مكفوفين ولم يتمكنوا من اكتشاف حقيقة هذا الشخص صاحب الجمجمة البروسية؟ هو نفسه لم يلاحظ ذلك. يا لقدرة هؤلاء الممثلين على الفرار بجريمتهم بدون عقاب!

ها هو ذا تومي الآن، مجرد فاشل، شخص حقير، مكبل اليدين والقدمين كالمجرم، وما من أحد يقدر على تخمين مكانه.

ليت توبنس تقدر على توقع كل ذلك! قد تشك؛ فهي أحيانًا تتمتع ببصيرة غريبة.

ما هذا؟

ركز قليلًا لينصت إلى صوت قادم من بعيد.

إنه رجل يدندن بعض النغمات.

بينما هو ملقى بمكانه لا يستطيع إصدار أي صوت ليجذب انتباه أحد.

أصبح الصوت أقرب. إنه صوت غير موسيقي على الإطلاق.

لكن النغمة نفسها، رغم تشوهها، كانت معروفة؛ فهي تعود إلى فترة الحرب الماضية ـ وقد أصبحت سائدة مرة ثانية بسبب الحرب الحالية.

" *لو كنت الفتاة الوحيدة بالعالم وكنت أنا الشاب الوحيد*" .

كم مرة دندن بهذه الأغنية عام ١٩١٧.

اللعنة على هذا الرجل، لماذا لا يستطيع الغناء بتناغم؟

فجأة تيبس جسد تومي وشعر بتوتر. هذه الأخطاء تحديدًا كانت مألوفة للغاية، بالطبع هناك شخص واحد فقط دائمًا ما يخطئ بهذه الطريقة وبهذا الجزء من الأغنية!

فكر تومي في قرارة نفسه: "يا إلهي إنه ألبرت".

ألبرت يحوم حول استراحة سماجلرز، إنه قريب منه، لكنه ملقى بهذا المكان غير قادر على تحريك يده أو قدمه، أو إصدار أي صوت..

انتظر دقيقة. هل حقًا لا يمكنه إصدار أي صوت؟

هناك صوت واحد يمكن القيام به ـ بالطبع ليس من السهل القيام به والفم مغلق كما هي الحال والفم مفتوح ـ لكنه يقدر على إصداره.

يائسًا بدا تومي يصدر صوت شخير. أغمض عينيه، مستعدًا للتظاهر بأنه ذهب في نوم عميق إذا ما أتى أبلدور، وظل يصدر هذا الصوت ...

ظل يصدره بصوت منخفض، منخفض، منخفض ـ ثم توقف ـ ثم بصوت مرتفع، مرتفع، مرتفع ـ ثم توقف ـ ثم عاد ليصدره بصوت منخفض، منخفض ...

٢

شعر ألبرت بحيرة شديدة بعدما تركته تويَنس.

نظرًا لتقدمه في السن أصبح ألبرت يقوم بالعمليات العقلية ببطء، لكن بدقة.

الموقف بشكل عام بدا له كخطأ كبير.

كان من الخطأ أن تبدأ الحرب من الأساس.

فكر ألبرت بكآبة وغالبًا بدون أي حقد وقال: "يا لهؤلاء الألمان!". إنهم يتبعون هتلر، ويجتاحون العالم ويفجرون المدن ويطلقون الرصاص، وبشكل عام يؤذون أنفسهم. يجب أن يتم إيقافهم، ما من حل آخر - وحتى الآن يبدو أنه ما من أحد يقدر على ذلك.

والآن عليه أن يفكر في موقفه مع السيدة بيرسفورد، إنها سيدة لطيفة ورطت نفسها في بعض المتاعب وتسعى لمواجهة المزيد منها، فكيف سيقدر على إيقافها؟ يبدو أنه لن يقدر على ذلك. إنه يسعى للتصدي للطابور الخامس، الذين هم شخصيات عدائية للغاية. وللأسف بعضهم من مواليد إنجلترا. يا له من أمر مخز!

أما السيد، الذي كان يمنع زوجته دائمًا من التصرف بتهور، فهو مفقود الآن.

الموقف بأكمله لم يعجب ألبرت على الإطلاق. بدا له أن "الألمان" قد يكونون مسئولين عن ذلك.

نعم، الموقف يبدو سيئًا للغاية، يبدو كأنه تم اختطافه.

لم يكن ألبرت معتادًا ممارسة التفكير العميق. مثل معظم الإنجليز، انتابه شعور قوي، واستمر في البحث حتى توصل بطريقة أو بأخرى لحل مناسب. ونظرًا لأنه اتخذ قرارًا بوجوب العثور على القائد، فقد بدأ الاستعداد لرحلة البحث.

لم يعمل وفقًا لخطة معينة، بل بدأ بحثه بالطريقة نفسها التي يتبعها عادة للعثور على حقيبة زوجته المفقودة أو نظارته عندما يتم فقد أي منهما؛ أي الذهاب للمكان الذي رأى فيه الشيء المفقود آخر مرة والبدء من هناك.

في هذه الحالة، آخر شيء عُرف عن تومي هو أنه تناول العشاء مع القائد هايدوك باستراحة سماجلرز، وأخيرًا عاد إلى سان سوسي واستدار نحو البوابة.

وبناء عليه، تسلق ألبرت التل حتى وصل إلى بوابة سان سوسي، وقضى حوالي ٥ دقائق في التحديق إليها. لم يلاحظ أي شيء، تنهد وأخذ يسير ببطء متجها نحو استراحة سماجلرز.

قام ألبرت أيضًا بالذهاب إلى السينما هذا الأسبوع، وتأثر جدًا بالفكرة الرئيسية بـ *Wandering Minstrel*. كانت قصة رومانسية! اندهش تمامًا من مدى الشبه بين هذه القصة وبين المأزق الذي يواجهه؛ فهو، مثله مثل بطل الفيلم، رجل مخلص يبحث عن سيده المخطوف. ومثله مثل هذا البطل قد وقف بجانب سيده وحارب معه في الأيام الخوالي. والآن يواجه سيده الغدر والخيانة، ولا يوجد من يبحث عنه ويعيده إلى الملكة سواه.

تنهد ألبرت عندما تذكر لحظة عثور البطل على سيده وكيف تلاشت كل متاعبه حينها، إنها لحظة حركت مشاعر كل الشعراء ودفعتهم إلى وصفها بالكثير والكثير من الأبيات الجميلة.

أما ألبرت فللأسف لا يستطيع حتى الدندنة دون تشويه النغمة.

لقد مضى الكثير من الوقت ليضبط النغمة.

شفتاه أخذتا شكل من يريد إصدار صوت صفير، ثم دندن:

"إذا كنت الفتاة الوحيدة بالعالم وكنت أنا الشاب الوحيد-".

توقف ألبرت ليفحص بوابة استراحة سماجلرز ذات اللون الأبيض. هذه هي البوابة التي مر بها القائد في أثناء ذهابه لتناول العشاء.

سار قليلًا نحو أعلى التل ثم عاد مرة أخرى.

ما من شيء هنا، ما من شيء سوى العشب وبعض الأغنام.

فُتحت بوابة استراحة سماجلرز وخرجت منها سيارة بداخلها رجل ضخم البنية ومعه مضارب جولف، وقاد السيارة نحو أسفل التل.

قال ألبرت: "ربما يكون هذا القائد هايدوك".

اتجـه إلى أسفل ثانية وحدق إلـى استراحة سماجلرز. إنه مكان صغير مرتب. ملحق به حديقة صغيرة جميلة. إنه منظر جميل بشكل عام.

نظـر إلـى المـكان نظرة غيـر ماكرة ثم دنـدن قائلًا: "سوف أخبـرك بكل هذه الأمور الرائعة".

خـرج رجـل مـن باب جانبي بالمنزل ومعـه فأس ثم غاب عـن النظر عبر بوابة صغيرة.

ألبرت، الذي زرع كثيرًا من الخضراوات في حديقته الخلفية، شعر باهتمام.

اقتـرب مـن استراحـة سماجلرز ودخل مـن البوابـة المفتوحة. نعـم إنه مكان صغير مرتب.

أخـذ يـدور حـول المكان. بمـكان ما بالأسفـل، على بعد خطـوات، توجد قطعة أرض منبسطة مزروعة كحديقة خضـراوات. وهذا الرجل الذي خرج من المنزل كان مشغولًا هناك.

ظل ألبرت ينظر إليه باهتمام لعدة دقائق، ثم عاد لتأمل المنزل.

إنـه مـكان صغير مرتب، هكـذا قال لنفسه للمـرة الثالثة. إنه مـكان من النوع الذي قد يفضل رجل البحرية المتقاعد الإقامة به. هنا تناول القائد عشاءه هذه الليلة.

ببـطء ظـل ألبرت يتجول حـول المنزل. ظل ينظر إليـه بالطريقة نفسها التي كان ينظـر بهـا لبوابـة سان سوسي ـ بأمل، كما لو كان يطلـب منها أن تخبره بشيء ما.

وفـي أثنـاء تجوله ظل يدنـدن بصوت منخفض؛ فهو البطـل الذي يبحث عن سيده.

دنـدن ألبرت قائلًا: "ربما يكـون هناك الكثير من الأشياء الرائعة التي سأقوم بها، وبالطبع سأخبرك بكل ذلك. ربما يكون هناك الكثير من الأشياء الرائعة التي سأقوم بها ـ" لقد أخطأ أليس كذلك؟ لقد دندن بهذا الجزء من قبل.

سمع شيئًا ما، يا له من أمر مضحك، هل القائد يربي خنازير؟ لقد سمع صوت نخير. يا له من أمر مضحك - هكذا بدا الأمر رغم أن الصوت قادم من تحت الأرض. مكان غريب لتربية الخنازير.

لا يمكن أن تكون خنازير. كلا، إنه شخص ما ينخر في أثناء نومه. شخص ينام بالقبو، إذن يبدو ...

إنه يوم مناسب للنوم، لكن المكان نفسه غريب. ظل ألبرت يدندن واقترب أكثر من المكان.

من هنا يصدر الصوت، عبر حاجز المشبك الصغير هذا. صوت نخير، نعم نخير وشخير. صوت مرتفع أحيانًا ومنخفض أحيانًا - ذكره بشيء ما ...

قال ألبرت: "رائع! لقد فهمت؛ إنها رسالة كأنه يقول أنقذوني".

نظر حوله نظرة سريعة.

ثم جلس على ركبتيه وأخذ ينقر على السلك الحديدي للنافذة الصغيرة بالقبو؛ فهو بهذا يبعث برسالة ما.

الثالث عشر

رغم أن توبنس ذهبت للنوم وهي تشعر بتفاؤل، فإنها عندما استيقظت في الساعات الأولى من بزوغ الفجر عانت رد فعل عنيفًا، هذا التوقيت الذي تكون الروح المعنوية منخفضة فيه للغاية.

ومع ذلك عند النزول لتناول الإفطار ارتفعت روحها المعنوية بسبب رؤية خطاب على طبقها مُعنون بخط يد غير متناسق.

إنه ليس من دوجلاس أو ريموند أو سيريل أو أي من المراسلين الذين يستخدمون للتمويه، وقد اشتمل هذا الصباح على بطاقة بريدية تحمل صورة الكلب بونزو وقد كتب عليها "عذرًا لأنني لم أكتب من قبل. كل شيء على ما يرام، مودي".

وضعت توبنس البطاقة جانبًا وفتحت الخطاب. (وبداخله كان الآتي)

" عزيزتي باتريشيا،

أخشى أن العمة جراسي حالتها سيئة جدًا اليوم. لم يصرح الأطباء حقيقة أن حالتها تتدهور، لكنني أخشى أنه ليس هناك أمل كبير في

الشفاء. إذا كنت ترغبين في رؤيتها قبل أن تفارق الحياة، أعتقد أنه عليك القدوم اليوم. إذا كنت ستستقلين قطار الـ ١٠:٢٠ إلى يارو، فستجدين صديقًا بانتظارك بسيارته.

أتمنى رؤيتك مرة أخرى يا عزيزتي، رغم أن الحدث غير سعيد.

المخلصة لك دائمًا،

بينيلوب بلين" .

بذلت توبنس أقصى جهد من أجل قمع سعادتها.

لقد كانت على صواب!

بصعوبة حاولت التظاهر بالحزن - وتنهدت بضيق وهي تضع الخطاب جانبًا.

أخبرت مستمعتيها؛ السيدة أورورك والآنسة مينتون بما يحتويه الخطاب، وأسهبت بحرية في الحديث عن شخصية العمة جراسي، روحها التي لا تقهر، ولا مبالاتها بالغارات الجوية والخطر، وهزيمة المرض لها. اتسمت الآنسة مينتون بالفضول والرغبة في معرفة طبيعة مرض العمة جراسي، ومقارنته بمرض ابنة عمها سيلينا. أخذت توبنس تتأرجح بين مرض الاستسقاء والسكر، وجدت نفسها في حيرة، ثم استقرت في النهاية على وجود مضاعفات في الكليتين. أبدت السيدة أورورك اهتمامًا شديدًا بمسألة ما إذا كانت توبنس ستستفيد ماديًا من وفاة هذه السيدة العجوز وعلمت أن سيريل كان دائمًا أفضل حفيد أخ لديها فضلًا عن كونها تعتبره بمثابة ابنها.

بعد تناول الإفطار، اتصلت توبنس بالخياط وقامت بإلغاء موعد بروفة المعطف والتنورة هذا المساء، ثم بحثت عن السيدة بيرينا وأوضحت لها أنها ستغيب عن المكان لمدة ليلة أو ليلتين.

أعربت السيدة بيرينا عن قلقها المعتاد. بدت متعبة هذا الصباح، وارتسم على وجهها الضيق.

قالت: "ما من أخبار حتى الآن عن السيد ميدوز؟ هذا أمر غريب جدًا، أليس كذلك؟".

تنهدت السيدة بلنكينسوب قائلة: "أنا متأكدة أنه تعرض لحادث ما. هذا رأيي منذ البداية".

"أوه، لو كان الأمر كذلك سيدة بلنكينسوب لكنا تلقينا خبرًا منذ وقت طويل".

سألت توبنس: "حسنًا، ماذا تظنين؟".

هزت السيدة بيرينا رأسها ثم قالت:

"في الواقع لا أدري ماذا أقول، أوافقك الرأي أنه من المستحيل أن يكون قد اختفى بمحض إرادته. لو كان الأمر كذلك لبعث لنا برسالة لتوضيح موقفه".

قالت السيدة بلنكينسوب بحرارة: "إنه اقتراح غير مبرر على الإطلاق. النقيب بليتشلي هو من اقترحه منذ البداية. أعتقد إذا لم يكن اختفاؤه بسبب حادث سيكون بسبب فقدان الذاكرة؛ فهذه مسألة شائعة أكثر مما هو معروف، خاصة في أوقات التوتر مثل هذه التي نعيشها اليوم".

هزت السيدة بيرينا رأسها ثم ضمت شفتيها في تعبير عن الشك ثم نظرت سريعًا لـ توبنس وقالت:

"أتدرين سيدة بلنكينسوب نحن لا نعرف الكثير عن السيد ميدوز، أليس كذلك؟".

قالت توبنس بحدة: "ماذا تقصدين؟".

"أوه من فضلك لا تنفعلي. أنا لا أصدق ما يقال ـ لم أصدقه ولو لدقيقة".

"لا تصدقي ماذا؟".

"القصة المتداولة".

"أية قصة؟ لم أسمع شيئًا عنها".

"حقًا ـ حسنًا ـ ربما لم يخبرك أحد. لا أدري حقًا كيف بدأت. أظن أن السيد كايلي هو من ذكرها أولًا. بالطبع فهو يميل بطبعه إلى الشك، إذا كنت تفهمين قصدي؟".

حاولت توبنس السيطرة على نفسها والصبر قدر المستطاع.

قالت: "من فضلك أخبريني".

"حسنًا، لقد كان مجرد اقتراح بأن السيد ميدوز ربما يكون عميلًا للعدو ـ أحد أفراد الطابور الخامس".

شعرت توبنس بغضب شديد، وأضافت إليه ما ستشعر به السيدة بلنكينسوب من استياء ثم قالت:

"لم أسمع قط عن هذه الفكرة السخيفة".

"كلا، لا أظن أنها سخيفة؛ فلقد شاهدنا جميعًا السيد ميدوز يتحاور كثيرًا مع هذا الشاب الألماني ـ وأعتقد أنه وجه الكثير من الأسئلة عن العمليات الكيميائية بالمصنع ـ وبناء عليه يظن بعض الأشخاص أن كلًّا منهما كانا يعملان معًا".

قالت توبنس:

"من المؤكد أنك لا تشكين في كارل سيدة بيرينا، أليس كذلك؟".

شاهدت وجه السيدة بيرينا وهو يتشنج سريعًا حينما قالت:

"كنت أتمنى ألا يكون محل شك".

قالت توبنس بلطف: "شيلا المسكينة ...".

لمعت عين السيدة بيرينا ثم قالت:

"لقد تحطم قلبها، تلك الفتاة المسكينة. لماذا سارت الأمور على هذا النحو؟ لماذا لم تعجب بأحد غيره؟".

هزت توبنس رأسها قائلة:

"لا تسير الأمور بهذه الطريقة".

تحدثت بيرينا بنبرة حزينة قائلة: "معك حق. لابد أن نواجه الحزن والألم والأزمات والمشاكل. يجب أن تسير الأمور بشكل يسبب لك ألمًا يعصرك ... أشعر بالاشمئزاز من قسوة هذا العالم وظلمه. أود تحطيمه وتدميره ـ لنبدأ من جديد بدون هذه القواعد والقوانين والاستبداد الذي تتعرض له دولة ما على يد دولة أخرى. أود ـ".

قاطعها صوت سعال شديد، إنها السيدة أورورك تقف عند مدخل الباب، جسدها الضخم كان يغلق المدخل تمامًا.

سألت: "هل أقاطعكما؟".

بسرعة رهيبة، اختفت كل معالم الغضب من وجه السيدة بيرينا - ولم يبق سوى التعبير الدال على ما تشعر به صاحبة الفندق من قلق إزاء المتاعب التي يسببها النزلاء.

قالت: "كلا، في الواقع سيدة أورورك كنا نتحدث للتو عما حدث للسيد ميدوز. الغريب أن الشرطة لا تستطيع العثور على أي أثر له".

قالت السيدة أورورك بنبرة ازدراء: "أوه الشرطة! ما فائدة الشرطة من الأساس؟ إنهم لا فائدة لهم على الإطلاق! فهم لا يستطيعون القيام بشيء سوى العثور على السيارات ومضايقة التعساء الذين لا حيلة لهم في أي شيء".

سألت توبنس: "ما وجهة نظرك سيدة أورورك؟".

"هل سمعت القصة المتداولة عن ميدوز؟".

قالت توبنس ببرود: "بخصوص أنه فاشي وعميل للعدو - نعم".

قالت السيدة أورورك بتمعن: "أظن أنها ربما تكون صحيحة؛ لأنه كان هناك شيء ما بخصوص هذا الشخص أثار ارتيابي منذ البداية. لقد شاهدته"، نظرت لتوبنس مباشرة وابتسمت ابتسامة مشابهة لكل ابتساماتها؛ غريبة ومروعة، ابتسامة شريرة ثم واصلت حديثها: "مظهره لم يكن مظهر رجل تقاعد عن العمل ولم يعد هناك ما يقوم به. من وجهة نظري، أرى أنه أتى هنا لغرض معين".

سألت توبنس: "وعندما اعترضت الشرطة طريقه اختفى، هل هذا هو رأيك؟".

قالت السيدة أورورك: "ربما تكون هذه هي الحقيقة، ما رأيك سيدة بيرينا؟".

تنهدت السيدة بيرينا قائلة: "لا أدري، من المزعج جدًّا حدوث شيء كهذا؛ لقد أثار الكثير من الجدل".

"أوه، الجدل لن يؤذيك. إنهم سعداء الآن بالخارج في الشرفة ويتعجبون ويخمنون. وفي النهاية سيتوصلون إلى النتيجة متمثلة في أن هذا الرجل الهادئ المسالم كان سيفجرنا جميعًا في أثناء نومنا".

قالت توبنس: "لم تخبرينا عن رأيك؟".

ابتسمت السيدة أورورك هذه الابتسامة الشريرة المعتادة.

"أعتقد أن الرجل بأمان بمكان ما ـ مكان آمن إلى حد ما ...".

فكرت توبنس قائلة:

"قد تقول ذلك إذا كانت تظن أنه ... لكنه لا يوجد حيثما تعتقد!".

صعدت لغرفتها لتستعد. خرجت بيتي سبروت من غرفة السيد كايلي وهي تجري وتبتسم ابتسامة عابثة وعلى وجهها تعبير ينم عن السعادة.

سألت توبنس: "ماذا كنت تفعلين أيتها المشاغبة الصغيرة؟".

دندنت بيتي قائلة:

"أيتها البطة الحلوة ...".

أخذت توبنس تغني معها قائلة:

"إلى أين ستذهبين؟ للأعلى!"، ثم رفعت بيتي لأعلى "أم للأسفل!" ثم وضعتها على الأرض.

عند هذه اللحظة، ظهرت السيدة سبروت واصطحبت بيتي لترتدي ثيابها من أجل الخروج في جولة.

قالت بيتي بسعادة: "سأختبئ. هل سأختبئ؟".

قالت السيدة سبروت: "لا يمكنك لعب الغميضة الآن".

ذهبت توبنس إلى غرفتها، وألقت نظرة على قبعاتها (إنه لمن المزعج ارتداء القبعات ـ لم تقم توبنس بيرسفورد بهذا قط ـ لكن من المؤكد أن باتريشيا بلنكينسوب سترتدي واحدة، هكذا شعرت توبنس).

لاحظت أن شخصًا ما قد غير مكان القبعات بالخزانة. هل قام أحد ما بتفتيش الغرفة؟ حسنًا، فليفعلوا ما يريدون، لن يعثروا على أي شيء يدفعهم إلى الشك في السيدة بلنكينسوب الصالحة.

تركت خطاب بينيلوب بلين على المزينة وذهبت إلى الطابق السفلي وخرجت من المكان.

عندما مرت من البوابة كانت الساعة حوالي العاشرة. ما زال لديها الكثير من الوقت. نظرت إلى السماء، وفي أثناء قيامها قامت بالسير وسط بركة صغيرة من المياه عند البوابة، لكنها لم تول ذلك اهتمامًا ومضت في طريقها.

قلبها كان يرقص فرحًا؛ حيث كانت تفكر في النجاح ـ النجاح ـ سوف ينجحون في مهمتهم.

٢

يارو هي بلدة صغيرة توجد على بعد مسافة من السكة الحديد.

خارج المحطة، كانت هناك سيارة بانتظارها يقودها شاب حسن المظهر. خلع قبعته كتحية لتوبنس، لكن التحية بدت غير طبيعية على الإطلاق.

ركلت توبنس إطار العجلة الخلفية بارتياب.

"أليس مستويًا إلى حد ما؟".

"لن نسير مسافة بعيدة سيدتي".

أومأت برأسها وركبت السيارة.

انطلاقًا في طريقهما، ليس نحو القرية، بل نحو شيء آخر. بعد الوصول إلى أحد التلال، سلكا طريقًا فرعيًا مؤديًا إلى شق عميق. ومن بين ظلال الأشجار خرج شخص ما لمقابلتهما.

توقفت السيارة وخرجت توبنس لمقابلة أنتوني مارسدون.

قال بسرعة: "السيد بيرسفورد على ما يرام. لقد عرفنا مكانه بالأمس. إنه أسير ـ لقد وقع في يد الأعداء ـ ولسبب ما سيظل على قيد الحياة لمدة ١٢ ساعة قادمة؛ فهناك قارب صغير من المتوقع أن يصل إلى مكان معين ـ ونحن نود معرفة هذا المكان. ولهذا السبب سنترك السيد ميدوز في قبضتهم لفترة ـ لا نريد الاستسلام حتى آخر لحظة".

نظر إليها بقلق.

"أنت تفهمين، أليس كذلك؟".

ظلت توبنس تحدق إلى ثيابه البالية المختبئ نصفها خلف الأشجار ثم قالت: "بالطبع أفهم".

قال الشاب بجدية: "سوف يكون على ما يرام".

قالت توبنس بفارغ الصبر: "بالطبع سيكون تومي بخير، وأنت لست بحاجة إلى التحدث إليَّ كما لو كنت طفلة في الثانية من عمري. كل منا على استعداد لمواجهة المخاطر. ما هذا الشيء الموجود هناك؟".

تردد الشاب: "حسنًا ـ هذا هو أهم شيء. لقد أمرت أن أعرض عليك اقتراحًا ما. لكن ـ لكن، حسنًا، بصراحة، لا أود القيام بذلك. فأنت ـ".

حدقت إليه توبنس ببرود.

"لماذا لا تود القيام بذلك؟".

"حسنًا ـ لأنك ـ لأنك والدة ديبورا. أقصد ـ ماذا ستشعر ديبورا تجاهي إذا ـ إذا ـ".

سألت توبنس: "إذا ما تعرضت لمشكلة ما؟ عن نفسي، لو كنت مكانك، لم أكن لأخبرها بشيء. فمن قال إنه من الخطأ توضيح الأمور كان على صواب".

ثم ابتسمت له بلطف قائلة:

"عزيزي، أعرف تمامًا شعورك؛ فأنت تظن أنه من العادي أن تواجه أنت وديبورا والشباب بشكل عام كل أنواع المخاطر؛ بيد أن كبار السن يجب أن يبقوا بأمان. كل هذا مجرد هراء؛ لأنه إذا ما كان هناك أحد ستتم تصفيته فمن الأفضل

أن يكون من كبار السن، هؤلاء الذين عاشوا أفضل سنوات حياتهم. على أية حال، عليك أن تتوقف عن النظر إليَّ على أنني أمانة؛ والدة ديبورا، وفقط أخبرني ما نوع المهمة الخطيرة والمريبة التي تنتظرني".

قال الشاب بحماس: "تعرفين، أعتقد أنك إنسانة رائعة، رائعة جدًا".

قالت توبنس: "توقف عن مجاملتي؛ فأنا معجبة بنفسي تمامًا؛ لذا ما من داعٍ للحديث عن ذلك. ما المهمة تحديدًا؟".

أشار توني إلى شيء متكدس أمامه وقال:

""هذا هو ما تبقى من مظلة الهبوط (الباراشوت)".

قالت توبنس وعينها تلمع: "نعم".

واصل توني حديثه قائلًا: " لم يكن بداخله سوى شخص واحد. لحسن الحظ يتسم الجنود المتطوعون بهذه المنطقة بالذكاء؛ حيث تمكنوا من تحديد موقع الهبوط والقبض عليها؟".

"عليها؟".

"نعم، عليها، إنها سيدة ترتدي زي ممرضة".

قالت توبنس: "يؤسفني أنها لم تكن عابدة زاهدة ، هناك العديد من القصص المتداولة عن عابدات زاهدات يركبن الحافلات وبنيتهم الجسمانية أشبه بالذكور".

"حسنًا، لم تكن عابدة راهبة ولم تكن رجلا متخفيًا. كانت سيدة متوسطة الطول وفي منتصف العمر، ذات شعر أسود وبنية متوسطة".

قالت توبنس: "أي أنها في الحقيقة ليست مختلفة عني؟".

قال توني: "لقد فهمت قصدي تمامًا".

قالت توبنس: "حسنًا".

قال مارسدون ببطء:

"الجزء التالي متروك لك".

ابتسمت توبنس قائلة:

"أنا على أتم استعداد. إلى أين سأذهب وماذا سأفعل؟".

"أرى سيدة بيرسفورد أنك شخصية رياضية وعصبية تمامًا".

كررت توبنس بنفاد صبر: "إلى أين سأذهب وماذا سأفعل؟".

"التعليمات ضئيلة للغاية لسوء الحظ. بجيب السيدة كانت هناك ورقة صغيرة مكتوب عليها هذه الكلمات باللغة الألمانية. "قومي بالسير إلى ليزربارو - وهي تقع شرق السهم الحجري. شارع ١٤، طريق أسالف. د. بينيون".

نظرت توبنس إلى أعلى فوجدت أنه بالقرب من قمة التل يوجد السهم الحجري.

قال توني: "هناك، بالطبع تمت إزالة معالم الطريق، لكن ليزربارو مكان كبير وبمجرد أن تتجهي شرقًا ستصلين إليه".

"كم يبعد؟".

"خمسة أميال على الأقل".

تجهمت توبنس قليلًا ثم علقت قائلة:

"يا له من تمرين مشي صحي سأقوم به قبل تناول الغداء! أتمنى أن يقدم لي د. بينيون وجبة غداء فور وصولي".

"هل تتحدثين الألمانية سيدة بيرسفورد؟".

"مجرد كلمات بسيطة. سأصر على التحدث بالإنجليزية - سأقول إن لديَّ تعليمات بذلك".

قال مارسدون: "إنها مجازفة كبيرة".

"هذا هراء. من ذا الذي سيتخيل أنه كان هناك بديل؟ أم أن كل الناس على بعد أميال يعرفون أن هناك مظلة هبوط قد تم إسقاطها؟".

"الجنديان المتطوعان اللذان أبلغا الخبر قام رئيس الشرطة بالتحفظ عليهما خوفًا من إخبار أصدقائهما بالأمر لإظهار مدى براعتهما".

"ربما يكون هناك شخص آخر قد رأى ذلك - أو سمع عنه؟".

ابتسم توني:

"عزيزتي السيدة بيرسفورد نحن نراقب كل كلمة تصدر في اليوم عن هذه المظلات".

وافقت توبنس قائلة: "هذا صحيح إلى حد ما. حسنًا لنبدأ مهمتنا".

قال توني:

"لدينا هنا كل الأدوات اللازمة ـ والشرطية الخبيرة بفن التجميل. تعال معي".

وسط الأشجار كانت هناك حظيرة متهدمة. عند بابها وقفت سيدة في منتصف العمر تبدو عليها الكفاءة.

نظرت إلى توبنس وأومأت.

داخل الحظيرة، جلست توبنس على صندوق تعبئة مقلوب، وسلمت نفسها للخبيرة. أخيرًا وقفت الخبيرة وأومأت وأشارت قائلة:

"ها قد انتهينا، أعتقد أننا قمنا بعمل رائع. ما رأيك يا سيدي؟".

قال توني: "عمل رائع في الواقع".

مدت توبنس يدها وأخذت المرآة التي تمسك بها السيدة الأخرى. نظرت إلى وجهها بجدية وبالكاد قمعت صيحة تدل على الاندهاش.

حاجباها قد رسما بشكل مختلف تمامًا؛ مما غير من ملامح وجهها. تم وضع قطعة صغيرة ملصقة على أذنيها مما غير معالم وجهها. كما تم استخدام قدر ضئيل من المعجون الذي يوضع حول الأنف مما غير شكل أنفها، وجعلها طويلة لحد ما. هذا الماكياج الرائع قد أضاف إلى عمرها عدة سنين، بالإضافة إلى التجاعيد الشديدة التي رسمت أسفل جانبي فمها. وجهها بأكمله بدا مقنعًا جدًا وليس أحمق.

قالت توبنس بإعجاب: "هذا عمل رائع للغاية"، ثم لمست أنفها بحذر شديد.

حذرتها السيدة الأخرى قائلة: "يجب أن تكوني حذرة"، ثم أحضرت شريحتين من المطاط وقالت لها: "هل تعتقدين أنك ستتحملين وضعهما على خديك؟".

قالت توبنس عابسة: "أعتقد أنني مضطرة إلى ذلك".

وضعتهما على خديها وأخذت تحرك فكيها بحذر.

قالت: "في الواقع الوضع ليس سيئًا للغاية".

بعد ذلك غادر توني المكان وبدلت توبنس ثيابها وارتدت ثياب الممرضة التي كانت ملائمة لها، رغم أنها كانت متدلية قليلًا من عند الكتف. ثم وضعت القبعة الزرقاء التي أضافت اللمسة الأخيرة لشخصيتها الجديدة، لكنها رفضت ارتداء الحذاء لأنه كان ضيقًا.

قالت: "إذا كنت سأسير مسافة خمسة أميال، فمن الأفضل أن أكون مرتدية حذائي الخاص".

اتفقا على أن هذا أفضل - خاصة أن حذاءها كان ذا لون أزرق داكن ومناسب تمامًا لزيها.

نظرت باهتمام إلى حقيبة اليد زرقاء اللون - مسحوق تجميل؛ ما من أحمر شفاه؛ بعض النقود الإنجليزية؛ منديل وبطاقة هوية تحمل اسم فريدا إيلتون، ٤ طريق مانشستر، شيفيلد.

تخلصت توبنس من بودرة التجميل الخاصة بها ومن أحمر الشفاه ووقفت وأصبحت على استعداد للانطلاق.

أدار توني مارسدون رأسه وقال بصوت غليظ:

"أشعر بالحقارة لتركي إياك تقومين بذلك".

"أعرف شعورك تمامًا".

"لكن كما ترين الأمر غاية في الأهمية - يجب أن نحصل على معلومات بخصوص مكان الهجوم وكيفيته".

ربتت توبنس ذراعه قائلة: "لا تقلق يا عزيزي، صدق أو لا تصدق، أنا أستمتع بعملي".

قال توني مارسدون ثانية:

"أعتقد أنك إنسانة رائعة".

٣

متعبة إلى حد ما، وقفت توبنس خارج شارع ١٤، طريق أسلاف ولاحظت أن د. بينيون هو جراح أسنان وليس طبيبًا.

بطرف عينها رأت توني مارسدون. كان يجلس بسيارة بالقرب من أحد المنازل بآخر الشارع.

كان من الضروري أن تسير توبنس إلى ليزربارو كما جاءت التعليمات؛ لأنه إذا ما تم توصيلها بالسيارة فستنكشف حقيقتها.

بالطبع كانت هناك طائرتان للعدو قد مرا فوق التل وكان من الضروري أن يلاحظا الممرضة وهي تسير وحيدة نحو البلدة.

قاد توني هو والشرطية خبيرة التجميل السيارة في الاتجاه المقابل واستدارا قبل الاقتراب من ليزربارو. الأمور كلها الآن أصبحت جاهزة.

تمتمت توبنس قائلة: "سيفتح باب الساحة وستدخل الضحية. أوه حسنًا ما من أحد يتخيل أنني من الممكن ألا أعود ثانية".

عبرت الطريق ودقت الجرس وأخذت تتساءل بينما كانت تقوم بذلك، عن مدى إعجاب ديبورا بهذا الشاب. فتحت سيدة عجوز ذات وجه متبلد الحس الباب - وجهها ليس وجهًا إنجليزيًا.

قالت توبنس: "د. بينيون موجود؟".

نظرت إليها السيدة ببطء من أعلى إلى أسفل.

"أعتقد أنك الممرضة إيلتون".

"نعم".

"إذن سوف تصعدين غرفة الجراحة".

ابتعدت قليلاً، ثم أغلقت الباب خلف توبنس، التي وجدت نفسها تقف بردهة ضيقة.

سبقتها الخادمة إلى أعلى وفتحت بابًا بالطابق الأول قائلة:

"من فضلك انتظري هنا سيأتي لك الطبيب".

خرجت وأغلقت الباب خلفها.

إنها غرفة جراح أسنان عادية ـ الأدوات تبدو قديمة إلى حد ما.

نظرت توبنس إلى كرسي جراح الأسنان وابتسمت عند التفكير في أن من يجلس عليه هو شخص ليس عاديًا. أخذت تهدئ نفسها ـ لأسباب مختلفة إلى حد ما.

حاليًا من الممكن أن يفتح الباب ويدخل د. بينيون. ترى من د. بينيون ؟ شخص غريب؟ أم شخص رأته من قبل؟ إذا كان هو الشخص الذي تتوقع رؤيته ـ فُتح الباب.

الرجل الذي دخل لم يكن على الإطلاق الشخص الذي توقعته! إنه شخص لم تشك فيه مطلقًا.

إنه القائد هايدوك.

الرابع عشر

غمـر عقل توبنس طوفان من الأفكار المتعلقة بالدور الذي لعبه القائد هايدوك فـي أثنـاء غيـاب تومي، لكنهـا نحت كل هـذه الأفكار جانبًـا. إنها لحظـة تستدعي اليقظة والانتباه.

هل سيتعرف عليها القائد أم لا؟ هذا سؤال مهم.

لقد استعدت مسبقًا لعدم إبداء أي رد فعل أو دهشة، بغض النظر عمن ستراه، لدرجة أنها كانت على يقين أنها لم تبد أية إشارة غير ملائمة للموقف.

نهضـت الآن ووقفـت باحتـرام بشـكل يتناسب مـع شخصية السيـدة الألمانية وهي تقف أمام قائدها.

قال القائد: "ها قد وصلت".

تحدث بالإنجليزية وسلوكه كان كالمعتاد.

قالـت توبنس: "نعـم"، وأضافـت كأنهـا تقـدم أوراق اعتمادهـا: "الممرضـة إيلتون".

ابتسم هايدوك كأنه استمع إلى مزحة.

"الممرضة إيلتون! ممتاز!".

نظر إليها برضا.

قال بلطف: "تبدين مناسبة تمامًا".

أومأت توينس برأسها بدون أن تتفوه بكلمة واحدة حيث تركت له المبادرة.

واصل هايدوك حديثه قائلًا: "أعتقد أنك تعرفين مهمتك؟ اجلسي من فضلك".

جلست توينس وقالت:

"قيل لي إنني سأحصل منك على تعليمات مفصلة".

قال هايدوك: "جميل جدًا"، نبرة صوته كانت تحمل نوعًا من السخرية.

قال:

"هل تعرفين اليوم المحدد؟".

"الرابع".

بدا هايدوك مندهشًا وقطب جبينه.

تمتم قائلًا: "إذن تعرفين هذه المعلومة، أليس كذلك؟".

توقفا للحظة ثم قالت توينس:

"هل ستخبرني بما يجب عليَّ القيام به؟".

قال هايدوك:

"سأخبرك في الوقت المناسب عزيزتي".

توقف لدقيقة ثم سأل:

"بالطبع سمعت عن سان سوسي؟".

قالت توينس: "كلا".

"ألم تسمعي عنه؟".

قالت توينس بحدة: "نعم".

فكرت في قرارة نفسها قائلة: "لنر كيف ستتعامل مع هذا!".

ارتسمت على وجه القائد ابتسامة غريبة. ثم قال:

"إذن لم تسمعي عن سان سوسي؟ هذه مفاجأة كبيرة بالنسبة إليَّ - لأنني أعرف *أنك تقيمين هناك منذ الشهر الماضي ...*".

سادت لحظات من الصمت وقال القائد:

"وماذا عن السيدة بلنكينسوب؟".

"لا أفهم قصدك د. بينيون، لقد هبطت بالمظلة هذا الصباح".

ابتسم هايدوك مرة ثانية - ابتسامة غير سارة بالطبع.

قال:

"قطعة القماش التي ألقيناها وسط الشجيرات خلقت وهمًا كبيرًا، وأنا لست د. بينيون سيدتي، الـ د. هو طبيب الأسنان الخاص بي - وهو شخص لطيف يقبل استعارتي غرفة الجراحة الخاصة به من وقت لآخر".

قالت توبنس: "حقًّا؟".

"نعم سيدة بلنكينسوب أم أنك تفضلين أن أناديك باسمك الحقيقي سيدة بيرسفورد؟".

مرة ثانية ساد صمت مطبق. أخذت توبنس نفسًا عميقًا.

أومأ هايدوك:

"انتهت اللعبة كما ترين. قال الصياد للفريسة: *"لقد دخلت المصيدة*"".

وإذا بصوت طقطقة خفيف وبريق أداة من الفولاذ يمسكها بيده. قال بنبرة عنيفة:

"لست بحاجة إلى نصحك بعدم إحداث أية ضوضاء أو محاولة الاستغاثة بالجيران. ستموتين قبل التمكن من إصدار أي صوت ولو صوتًا بسيطًا، وحتى لو تمكنت من الصراخ؛ فهذا لن يلفت انتباه أحد، فكما تعرفين غالبًا ما يصرخ المرضى من شدة الألم".

قالت توبنس بشجاعة:

"يبدو أنك فكرت في كل شيء. هل طرأ بذهنك أن هناك أصدقاء لي يعرفون مكاني؟".

"آه، أرى أنك ما زلت تتحدثين عن الشاب ذي العينين الزرقاوين - وهما في الحقيقة بنيتان! الشاب أنتوني مارسدون. آسف سيدة بيرسفورد، لكن عليَّ أن أخبرك بأن هذا الشاب هو أحد أهم مؤيدينا بهذه البلدة؛ فكما قلت للتو قطعة القماش التي ألقيناها وسط الشجيرات خلقت وهمًا كبيرًا؛ لقد بلعت طعم مظلة الهبوط بسهولة".

"لا أفهم المغزى من كل هذا".

"ألا تفهمين؟ نحن لا نريد أن يتمكن أصدقاؤك من اقتفاء أثرك بسهولة. ومسألة أن هناك ممرضة ذات ملامح مختلفة عن ملامحك إلى حد ما قد توجهت نحو ليزربارو ما بين الساعة الواحدة والثانية، لا يمكن ربطها باختفائك".

قالت توبنس: "حيلة متقنة جدًا".

قال هايدوك:

"تعجبني شجاعتك، بل أنا معجب بها جدًا في الواقع. اعذريني لأنني سأستعمل معك الشدة - لكن هذا ضروري؛ حيث لابد أن نعرف بالضبط حجم ما توصلت إليه من معلومات طوال فترة تواجدك بسان سوسي".

لم ترد توبنس.

قال هايدوك بهدوء:

"أنصحك بأن تخبريني بكل ما تعرفينه؛ فهناك كما تعرفين أدوات معينة بحجرة الجراحة الخاصة بطبيب الأسنان يمكن الاستعانة بها".

اكتفت توبنس بالنظر إليه باستهزاء.

اتكأ هايدوك في كرسيه وقال ببطء:

"حسنًا - يمكنني القول إنك لديك قدرة كبيرة على التحمل؛ فأنت من النوعية التي تتحلى بهذه الميزة. لكن ماذا عن النصف الآخر من الصورة؟".

"ماذا تقصد؟".

"أتحدث عن توماس بيرسفورد، زوجك، الذي كان يقيم مؤخرًا بسان سوسي منتحلًا شخصية سيد ميدوز، والذي يرقد حاليًا بقبو منزلي".

قالت توبنس بحدة:

"لا أصدقك".

"هل هذا بسبب الخطاب الذي تسلمته من بينيلوب بلين وظننت أنه منه؟ ألم تدركي بعد أن هذا الخطاب كان مجرد حيلة قام بها الشاب أنتوني. لقد بالغت في ثقتك بهذا الشاب عندما أخبرته عن الشفرة؛ استخدام اسم بينيلوب بلين كوسيلة تواصل بينك وبين تومي".

ارتعش صوت توبنس وهي تقول:

"إذن تومي - تومي –".

قال القائد هايدوك: "تومي ما زال بالمكان المختطف به – تحت قبضتي. الأمر متروك لك الآن. إذا ما أجبت عن أسئلتي بشكل يرضيني، فستصير أمامه فرصة للنجاة. وإذا لم تجيبي، فسننفذ الخطة الأصلية؛ سيتم ضربه على رأسه، ثم ينقل على ظهر المركب ويلقى بالبحر".

ظلت توبنس صامتة لدقيقة أو اثنتين - ثم قالت:

"ماذا تريد أن تعرف؟".

"أود أن أعرف من جندك، وما هي وسيلة اتصالك بهذا الشخص أو هؤلاء الأشخاص، وقدر المعلومات التي أبلغتهم بها حتى الآن، وكل ما توصلت إليه من معلومات على وجه الدقة؟".

رفعت توبنس كتفيها ثم قالت:

"يمكنني أن أقص عليك ما أود من أكاذيب".

حرك كرسيه وقربه منها، في هذه اللحظة اتسم سلوكه بالغرابة، ثم قال: "كلا؛ لأنني سأختبر كل ما ستقولينه. سيدتي العزيزة – أعلم جيدًا شعورك إزاء هذا الأمر برمته، لكن صدقيني عندما أقول لك إنني معجب بك وبزوجك للغاية.

فأنتما تتحليان بالصلابة والقوة. وفي الدولة الجديدة سنحتاج إلى شخصيات مثلكما ـ تلك الدولة التي ستنشأ بهذه البلدة عندما تُهزم حكومتك الحالية. ونحن نود أن نحول بعض أعدائنا إلى أصدقاء ـ فقط من يستحقون ذلك. إذا ما اضطررت إلى إعطاء الأوامر بقتل زوجك، سأفعل ـ فهذا واجبي ـ لكنني سأشعر حقًا باستياء شديد جراء القيام بذلك؛ فهو صديق جيد ـ هادئ، ومتواضع، وذكي. دعيني أوضح لك ما يفهمه القليل جدًا من الأشخاص بهذه البلدة. قائدنا لا ينوي الاستيلاء على البلدة بالمعنى الذي تظنونه جميعًا. إنه يهدف لخلق بريطانيا جديدة ـ ذات سلطة قوية ـ بريطانيا يحكمها الإنجليز وليس الألمان. وأفضل من في الإنجليز هم هؤلاء الذين يتحلون بالذكاء والشجاعة. سيكون *عالمًا جديدًا شجاعًا* مثلما قال شكسبير".

مال إلى الأمام قائلًا:

"نود القضاء على التوتر وعدم الكفاءة والرشوة والفساد والأنانية والاستحواذ على الأموال ـ *وبهذه الدولة الجديدة نود وجود أشخاص مثلك أنت وزوجك* ـ أشخاص يتميزون بالشجاعة وسعة الحيلة ـ أعداء الماضي وأصدقاء المستقبل. ستندهشين إذا ما عرفت عدد الأشخاص المتعاطفين مع أهدافنا والمؤمنين بها بهذه البلدة وبغيرها من البلدان أيضًا. فيما بيننا جميعًا سنخلق أوربا جديدة ـ أوربا السلام والتقدم. جربي وانظري إلى الأمر من هذه الناحية ـ لأنني أؤكد لك أن هذه هي الحقيقة ...".

نبرة صوته كانت جذابة وساحرة. عندما مال إلى الأمام، بدا كأنه يجسد شخصية البحار البريطاني العادل.

نظرت إليه توبنس وظلت تفكر وتبحث بذهنها عن عبارة لتخبره بها. لم تعثر إلا على عبارة طفولية وفظة في الوقت ذاته.

قالت توبنس: "*أيتها البطة الحلوة!*".

٢

جاءت النتيجة غريبة جدًا لدرجة أدهشتها تمامًا.

قفز هايدوك ووقف بمكانه، احمر وجهه للغاية وبدا عليه الغضب، وفي ثانية اختفى كل الإعجاب الذي أبداه البحار البريطاني المخلص. لقد رأت الوجه الذي رآه تومي من قبل - وجه شخصى بروسي يشعر بغضب شديد.

ظل يعنفها بالألمانية ثم عاد ليتحدث الإنجليزية حيث صاح قائلًا:

"أنت أيتها الحمقاء، ألا تدركين أنك تعرضين نفسك لخطر شديد بإجابتك هذه؟ لقد كتبت نهايتك الآن - أنت وزوجك العزيز".

أخذ ينادي بصوت مرتفع قائلًا:

"آنا".

إنها السيدة التي اصطحبت توبنس للغرفة، وضع هايدوك المسدس بيدها وقال:

"راقبيها وأطلقي الرصاص إذا ما استدعت الضرورة ذلك".

خرج مسرعًا من الغرفة.

نظرت توبنس بإعجاب إلى آنا، التي وقفت أمامها بوجه خالٍ من أي تعبير.

قالت توبنس: "هل ستطلقين الرصاص عليَّ حقًا؟".

أجابت آنا بهدوء:

"يجب ألا تحاولي الاحتيال عليَّ. في الحرب الماضية قتل ابني أوتو. حينها كنت أبلغ من العمر ٣٨ عامًا - والآن عمري ٦٢ عامًا - لكنني لم أنس".

نظرت توبنس إلى الوجه العريض الخالي من أي تعبير، ذكرها بالسيدة البولندية، فاندا بولونسكا، الوحشية نفسها والعزم على تحقيق هدف واحد. إنه شعور الأمومة الذي لا يتغير. ما من شك أن هناك الكثير من الأمهات بجميع أنحاء إنجلترا يشعرن بشعورها نفسه. لم يكن هناك مجال للجدال مع سيدات من هذا النوع - الأم التي حرمت من أبنائها".

في هذه اللحظة طرأ شيء ما بذهن توبنس - ذكرى مثيرة للتذمر - شيء كانت على علم به دائمًا لكنها لم تنجح قط في الانتباه له. إنه سليمان - شعرت بأن هناك قصة متعلقة بنبي الله سليمان يمكن ربطها بهذا الموقف...

فُتح الباب. وعاد القائد هايدوك إلى الغرفة.

دخل وقال وهو في قمة الغضب:

"أين هو؟ أين قمت بتخبئته؟".

حدقت إليه توبنس التي كانت مندهشة تمامًا لأن ما يقوله لم يعن لها شيئًا.

فهي لم تأخذ شيئًا ولم تخفِ شيئًا.

قال هايدوك لـ آنا:

"اخرجي من هنا".

أعطته السيدة المسدس وتركت الغرفة على الفور.

جلس هايدوك على الكرسي وبدا متعبًا من محاولة استجماع قواه. قال:

"لا يمكنك الإفلات بذلك كما تعرفين. لقد أصبحت في قبضتي - وأنا لديَّ العديد من الطرق التي تدفع أمثالك للاعتراف - وهي طرق ليست ممتعة. ستضطرين إلى قول الحقيقة في النهاية. *والآن، أخبريني ماذا فعلت به؟*".

سريعًا ما أدركت توبنس، أخيرًا، أن هناك شيئًا ما يمكنها المساومة عليه. لو أنها فقط تستطيع معرفة هذا الشيء الذي من المفترض أنه بحوزتها.

قالت بحذر:

"كيف عرفت أنه لديَّ؟".

"من خلال ما قلته أيتها الحمقاء اللعينة. وبالطبع هو ليس بحوزتك الآن - حيث أعرف أنك بدلت كل ثيابك وتركت كل متعلقاتك".

قالت توبنس: "افترض أنني أرسلته إلى شخص ما؟".

"لا تكوني حمقاء. كل ما قمت بإرساله منذ الأمس قد تم فحصه. أنت لم ترسليه إلى أي مكان. هناك احتمال واحد؛ أنك قمت بتخبئته بمكان ما بسان سوسي قبل مغادرتك هذا الصباح. أمامك ٣ دقائق فقط لتخبريني بهذا المكان".

وضع ساعة يده على المائدة.

"ثلاث دقائق مدام توماس بيرسفورد" .

دقت الساعة الموجودة على رف الموقد.

جلست توبنس هادئة ولم يبد على وجهها أي تعبير.

فوجهها لم يَبْدُ عليه أي من الأفكار المتصارعة التي تدور بذهنها.

وفي لحظة اندهاش وحيرة استطاعت أن ترى كل شيء - رأت المسألة بأكملها وهي تنكشف أمام عينها بمنتهى الوضوح وعرفت أخيرًا الشخصية المحورية بهذه المنظمة.

وشعرت بذهول عندما قال هايدوك:

"ما زال أمامك ١٠ ثوان ..." .

راقبته كما لو كانت ترى حلمًا، رأت المسدس وهو يرتفع، وسمعته يعد:

"واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة ـ" .

وصل إلى رقم ثمانية وفي هذه اللحظة سُمع صوت إطلاق الرصاص وسقط منهارًا على كرسيه وعلى وجهه ذي اللون الأحمر تعبير ينم عن الدهشة. تركيزه بأكمله كان منصبًا على مراقبة ضحيته؛ لذا لم يلاحظ الباب وهو يفتح من خلفه ببطء.

وفي لحظة نهضت توبنس واندفعت نحو الرجال الذين يرتدون ملابسهم الرسمية ويقفون بالقرب من الباب، وأمسكت بذراع شخص يرتدي حلة من الصوف.

"سيد جرانت" .

"نعم سيدتي العزيزة، كل شيء على ما يرام الآن - لقد كنت رائعة -".

تغاضت توبنس عن محاولات التهدئة هذه وقالت:

"بسرعة! ما من وقت لنضيعه. هل لديك سيارة هنا؟".

حدق إليها قائلًا: "نعم".

"سيارة سريعة؟ يجب أن نصل لسان سوسي *بأسرع وقت*. ليتنا نتمكن من الوصول في الوقت المناسب قبل أن يتصلوا هنا ولا يجدوا من يرد عليهم".

بعد مضي دقيقتين كانوا في السيارة، التي سلكت طريقها وسط شوارع ليزربارو بأقصى سرعة، ثم وصلوا إلى المدينة وعندئذ وجدوا أن إبرة عداد السرعة ترتفع.

لم يطرح السيد جرانت أية أسئلة، وكان سعيدًا بجلوسه في هدوء بينما كانت توبنس تراقب عداد السرعة وعلى وجهها تعبير يدل على الألم. حصل السائق على أوامر بأن يقود السيارة بأقصى سرعة ممكنة.

تحدثت توبنس مرة واحدة فقط:

"ماذا عن تومي؟".

"إنه بخير، تم تحريره منذ نصف ساعة".

أومأت برأسها.

والآن، أخيرًا، أصبحوا بالقرب من ليهامبتون. ظلوا يسيرون بأقصى سرعة بالمدينة ثم اتجهوا نحو التل.

قفزت توبنس من السيارة وسارت هي والسيد جرانت نحو الفندق، وكالعادة وجدا باب الردهة مفتوحًا. لم يريا أحدًا. هرولت توبنس وصعدت السلم.

ألقت نظرة سريعة على غرفتها في أثناء المرور بها، ولاحظت الأدراج المفتوحة والفراش غير المنظم. أومأت ثم مضت في طريقها عبر الممر ثم إلى غرفة السيد والسيدة كايلي.

كانت الغرفة فارغة وبدت هادئة وتسودها رائحة بعض الأدوية.

هرولت توبنس نحو الفراش وجذبت الأغطية.

وقع غطاء الفراش على الأرض ومررت توبنس يدها أسفل المرتبة ثم استدارت ونظرت بانتصار إلى السيد جرانت وهي تحمل بيدها كتاب أطفال مهترئًا.

"ها هو. كل ما تريده هنا ـــ".

"ماذا تقصدين ـــ؟".

استدارا فوجدا السيدة سبروت تقف عند الباب وتحدق إليهما.

قالت توبنس: "والآن، دعني أقدم لك *العميلة إم! نعم السيدة سبروت هي إم!* كان من المفترض أن أدرك ذلك منذ البداية".

وبعد دقيقة وصلت السيدة كايلي ووقفت عند الباب وختمت الموقف بطريقة غير مناسبة.

قالت السيدة كايلي وهي تنظر بفزع إلى فراش زوجها غير المرتب: "أوه عزيزتي، ترى ماذا سيقول السيد كايلي؟".

الفصل الخامس عشر

قالت توبنس: "كان من المفترض أن أعرف ذلك منذ البداية".

حاولت تهدئة أعصابها المنهارة عن طريق تناول كوب من العصير، وظلت تنظر إلى كل من تومي والسيد جرانت ـ وألبرت، الذي كان يجلس أمام زجاجة عصير كبيرة ويبتسم ابتسامة عريضة.

حثها تومي قائلًا: "أخبرينا بكل شيء يا توبنس".

قالت توبنس: "تحدث أنت أولا".

قال تومي: "ليس لديَّ الكثير لأخبركم به؛ فمجرد حادث بسيط تسبب في معرفتي بسر الجهاز اللاسلكي وظننت أنني سأفلت بهذه المعلومة، لكن هايدوك كان ذكيًا جدًا أكثر مما توقعت".

أومأت توبنس برأسها ثم قالت:

"لقد اتصل بالسيدة سبروت على الفور ومن ناحيتها أسرعت بالخروج إلى الحديقة وظلت تنتظرك وبيدها المدق. لم تبتعد عن طاولة لعب الورق سوى ٣ دقائق. لاحظت أنها كانت تلهث ـ لكنني لم أشك فيها قط".

قـال تومـي: "وكل ما حدث بعد ذلك كان بفضل ألبـرت. لقد أتى وأخذ يتفقد المـكان كأي تابـع مخلص، وبالنسبة إليَّ استغرقت في إصدار صوت الشخير حتى سمعنـي وعـرف مكانـي ثم ذهـب للسيد جرانـت وخبره وأتـى كل منهمـا في وقت متأخـر مـن هذه الليلـة، فسمعا مزيـدًا من صوت الشخيـر. وكانـت النتيجة أنني وافقـت علـى البقـاء بمكاني كي نتمكـن من القبض علـى القـوات البحرية عندما تصل".

أضاف السيد جرانت بعض المعلومات قائلًا:

"عندمـا خـرج هايدوك هذا الصباح، استولى رجالنا علـى استراحة سماجلرز. وقمنا بالقبض على من أتى بالقارب هذا المساء".

قال تومى: "والآن يا توبنس، حان دورك لتخبرينا بقصتك".

"حسنًا، بادئ ذي بدء، لقد كنت الأكثر حماقة منذ البداية؛ حيث شعرت بالشك تجاه كل الموجودين هنا باستثناء السيدة سبروت! ذات مرة شعرت بالتهديد، كما لو كنت أواجه خطرًا شديدًا - كان هذا بعد أن سمعت الرسالة التليفونية المتعلقة بالرابع من هذا الشهر. بهذا الوقت لم يكن بالمكان سوى ثلاثة أشخاص - شعرت بـأن مصـدر التهديد قادم من عند السيدة بيرينا أو السيدة أووروك. كنت مخطئة تمامًـا - لأن السيدة سبروت صاحبة الملامح الهادئة البريئة كانت هي الشخصية الخطيرة.

"أخـذت أتخبـط، كمـا يعـرف تومـي، حتى بعـد اختفائه، ثـم بـدأت أضع خطة أنـا وألبـرت عندما ظهـر فجأة أنتونـي مارسدون. لـم أشعر بأن هنـاك مشكلة في الحديـث إليـه - فهو يبدو شابًا عاديًا من النوعية التي تعمل مع ديبورا. لكنَّ هناك أمريـن جعلانـي أعيـد التفكير: أولًا، لقـد تيقنت من خلال حديثـي معه أنني لم أره مـن قبـل وأنـه لم يأت إلـى شقتنا قط. ثانياً، رغم أنه يبـدو على دراية بمهمتي بـ ليهامبتون، فإنه ظن أن تومي بإسكتلندا. بدا أن هناك خطأ ما. لو كان لديه حقًا معلومـات عن المهمـة، لكانت تلك المعلومـات متعلقة بتومي، لأننـي أولًا وأخيرًا أعمل بهذه المهمة بشكل غير رسمي. تلك النقطة أثارت انتباهي نظرًا لغرابتها.

"أخبرني السيد جرانت بأن أفراد الطابور الخامس موجودون في كل مكان- في الأماكن غير المتوقعة على الإطلاق. بناء عليه لم لا يكون أحدهم يعمل برفقة ديبورا؟ لم أكن مقتنعة، لكن كان بداخلي قدر كاف من الشك دفعني إلى نصب فخ له؛ أخبرته بأنني وتومي وضعنا شفرة للتواصل فيما بيننا. شفرتنا الحقيقية كانت عبارة عن بطاقة بريدية تحمل صورة الكلب بونزو، لكنني أخبرته بقصة خيالية بخصوص بينيلوب بلين، الشخصية الوهمية التي يأتي الخطاب باسمها.

"وكما تمنيت، بلع الطعم بسهولة! وبالتالي تسلمت خطابًا هذا الصباح كشفه لي تمامًا.

"تم وضع كل الترتيبات مسبقًا. وكل ما تحتم عليَّ القيام به هو الاتصال بالخياط وإلغاء موعد البروفة. وكان هذا دليلاً بالنسبة إليه على أن السمكة (توبنس) بلعت الطعم".

قال ألبرت: "رائع ـ كل هذا لم يغير موقفي. ركبت شاحنة أحد الخبازين، وقمنا بعمل بركة صغيرة عن بوابة سان سوسي. وضعنا بها رائحة قريبة من رائحة الأعشاب ـ أو شيئًا من هذا القبيل".

أكملت توبنس الحكاية: "ثم خرجت وسرت بها. وبالطبع كان من السهل على شاحنة الخباز أن تتبعني إلى المحطة ثم يأتي شخص ما ليقف خلفي ويسمعني أحجز تذكرة لـ يارو. ما حدث بعد ذلك هو أصعب شيء".

قال السيد جرانت: "قامت الكلاب بتعقب الرائحة جيدًا، وتعرفوا عليها بمحطة يارو ومرة ثانية على الطريق الذي سار عليه الإطار الذي نقرت عليه بحذائك. قادتنا هذه الرائحة إلى الأسفل نحو الأدغال ثم لأعلى نحو السهم الحجري. لم تكن لدى الأعداء فكرة أنه يمكننا تتبعك بسهولة بعد أن شاهدوك بأنفسهم وأنت تمضي في طريقك".

قال ألبرت: "لكنني شعرت ببعض القلق عندما عرفت أنك بهذا المنزل ولا أدري ما سيحدث لك، لكن عندما دخلنا من النافذة الخلفية، زال الخوف، وقبضنا على السيدة الأجنبية في أثناء نزولها على السلم وأتينا إليك في الوقت المناسب تمامًا".

قالـت توبنس: "عرفـت أنـك ستأتـي. كل مـا كان يشغلني هـو المراوغة بقدر المستطـاع. كنـت سأتظاهـر بأنني سأخبـر الحقيقـة لو لـم أر الباب يُفتـح. الأمر المثير حقًا هو الطريقة التي اكتشفت بها الحقيقة فجأة وأدركت مدى حماقتي".

سأل تومي: "كيف اكتشفت الحقيقة؟".

قالـت توبنـس على الفور: "*أيتها البطة الحلـوة*. تلك الجملة التي بمجرد أن تلفظت بها جن جنون القائد هايدوك. ليس لمجرد أنها جملة سخيفة وطفولية، كلا، لقـد علمـت على الفـور أنها *تعني* شيئًـا ما له. ثم جاء هـذا التعبير على وجه تلـك السيـدة - آنا - كان مماثلًا للتعبير الذي ارتسم على وجه السيدة البولندية، عندئذ بالطبع فكرت في نبي الله سليمان ورأيت الحقيقة بأكملها".

تنهد تومي غاضبًا.

"توبنـس إذا قلت ذلك ثانية فسوف أطلق عليك الرصاص بنفسي. *رأيت ماذا* ؟ وما علاقة نبي الله سليمان بما نتحدث عنه؟".

"هـل تتذكـر قصة السيدتين اللتيـن ذهبتا إلى نبـي الله سليمان بطفل رضيع وقالـت كل واحـدة منهما إن هـذا الطفل هو طفلها، عندئذ قـال نبي الله سليمان: "حسنًـا، فلنقسمـه نصفيـن"، فقالـت الأم المدعيـة "حسنًـا"، أمـا الأم الحقيقيـة فقالـت: "كلا، دع السيـدة الأخرى تأخذه". أرأيت؟ لـم تقدر الأم على تحمل فكرة قتل ابنها. في هذه الليلة التي أطلقت فيها السيدة سبروت الرصاص على السيدة الأخـرى، قلتـم جميعًـا إن هذه كانت معجزة؛ حيث كان مـن السهل جدًا أن تصيب الطفلـة. بالطبـع كان من المفترض أن تنكشف الحقيقة حينها! لو كانت طفلتها، *لـم تكـن* لتخاطـر وتطلـق الرصاص مطلقًـا. وهذا يعنـي أن بيتي *لم تكـن* ابنتها. ولهذا السبب تحتم عليها إطلاق الرصاص على السيدة الأخرى".

"لماذا؟".

"لأن السيدة الأخرى كانت بالطبع *والدة الطفلة الحقيقية*".

ارتعش صوت توبنس قليلًا ثم واصلت قائلة:

"يا له من أمر مؤسف، مؤسف جدًا. لقد أتت إلى هنا كلاجئة مفلسة وبالتالي وافقت على فكرة تبني السيدة سبروت لطفلتها".

"ولماذا أقدمت السيدة سبروت على تبني الطفلة؟".

" *للتمويه!* تمويه نفسي عالي الدقة؛ فأنت لن تتخيل أن جاسوسة محترفة ستصطحب طفلتها معها وتقحمها في الأمر. وهذا هو السبب الرئيسي الذي دفعني إلى عدم الشك في السيدة سبروت؛ فقط نظرًا لوجود الطفلة، لكن والدة الطفلة الحقيقية اشتاقت إليها كثيرًا واستطاعت العثور على عنوان السيدة سبروت وأتت إلى هنا. ظلت تتجول بالقرب من المكان منتظرة الفرصة المناسبة، وأخيرًا أصبحت الأجواء مهيأة فاصطحبت طفلتها ومضت في طريقها.

"حينها، شعرت السيدة سبروت بالذعر؛ فهي لا ترغب في تدخل الشرطة مهما كلف الأمر؛ لذا كتبت تلك الملحوظة وتظاهرت بأنها وجدتها بغرفتها، وطلبت من القائد هايدوك أن يتدخل للمساعدة. فيما بعد عندما قمنا باقتفاء أثر تلك السيدة البائسة، لم تفكر للحظة وقامت بإطلاق الرصاص عليها... وبالطبع ما قالته بخصوص جهلها بكيفية استخدام الأسلحة لم يكن صحيحًا على الإطلاق، لقد كانت ماهرة في إطلاق الرصاص. نعم، ومن ثم قتلت تلك السيدة المسكينة - ولذلك لا أشعر بأية رأفة حيال السيدة سبروت؛ فلقد كانت شخصية شريرة بكل ما تحمله الكلمة من معنى".

توقفت توبنس، ثم أكملت حديثها قائلة:

"هناك شيء آخر كان من المفترض أن يكون بمثابة إشارة بالنسبة لي ألا وهو الشبه بين فاندا بولونسكا وبيتي. هذه السيدة كانت تذكرني ببيتي منذ البداية. وهناك أيضًا مسألة لعب الطفلة برباط حذائي؛ فهي على الأرجح قد شاهدت السيدة سبروت وهي تفعل ذلك - وليس كارل فون دينيم. لكن بمجرد أن شاهدت السيدة سبروت ما تقوم به الطفلة، وضعت الكثير من الأدلة بحجرة كارل كي نعثر عليها وأضافت لمستها السحرية؛ رباط الحذاء الذي يغمس في الحبر السري".

قال تومي: "أنا سعيد لأن كارل لم يكن متورطًا في ذلك، لقد أعجبت بهذا الشاب".

سألت توبنس بقلق: "لم يتم إعدامه أليس كذلك؟".

هز السيد جرانت رأسه.

ثم قال: "إنه بخير. وفي الواقع هناك مفاجأة صغيرة بخصوصه".

بدت على وجه توبنس السعادة وقالت:

"أشعر بسعادة غامرة من أجل شيلا! بالطبع كنا أغبياء عندما أخذنا نبحث في الاتجاه الخطأ وسلطنا تركيزنا بأكمله على السيدة بيرينا".

قال السيد جرانت: "لقد كانت مشتركة في بعض أنشطة الجيش الأيرلندي ليس أكثر".

"شعرت ببعض الشك حيال السيدة أورورك ـ وأحيانًا كنت أشك في السيد والسيدة كايلي ـ".

قال تومي: "وأنا شعرت بالشك في النقيب بليتشلي".

قالت توبنس: "بيد أن الشخص المطلوب كان تلك السيدة ذات الملامح البريئة التي نظرنا إليها على أنها والدة بيتي".

قال السيد جرانت: "إنها ليست بريئة على الإطلاق بل هي سيدة خطيرة وممثلة ماهرة. ويؤسفني أن أقول إنها إنجليزية الأصل".

قالت توبنس:

"من ثم لا أشعر نحوها بأي أسف أو إعجاب ـ فهي لم تكن حتى تعمل من أجل بلدتها". ثم نظرت بفضول إلى سيد جرانت وقالت: "هل عثرت على ما تريد؟".

أومأ السيد جرانت وقال:

"كل المعلومات التي أردتها كانت موجودة في مجموعة كتب الأطفال البالية".

اندهشت توبنس وقالت: "تلك المجموعة التي قالت عنها بيتي إنها غير نظيفة ".

قال السيد جرانت بحدة: "نعم لقد كانت غير نظيفة؛ فكتاب *Little Jack Horner* اشتمل على تفاصيل كاملة عن استعداداتنا البحرية. و *Johnny Head*

in Air اشتمل على تفاصيل القوات الجوية. أما الأسرار العسكرية فتضمنها كتاب *There Was a Little Man and He Had a Little Gun.*

سألت توبنس: "وماذا عن كتاب أغاني الأطفال الذي اشتمل على أغنية *أيتها البطة الحلوة؟*".

قال السيد جرانت:

"لقد تعامل مع العملاء المحتملين، اشتمل هذا الكتاب على قائمة بأسماء الشخصيات البارزة التي على استعداد للمساعدة على اجتياح هذه البلدة، قائمة مكتوبة بالحبر السري. يوجد من بينهم اثنان من رؤساء الشرطة، وضابط طيار، وقائدان بالجيش، ورئيس أعمال التسليح، ورئيس مجلس الوزراء، والعديد من ضباط الشرطة، وقادة مؤسسات قوات الدفاع المحلي، والعديد من الأشخاص الأقل أهمية الذين يعملون بالجيش والبحرية، بالإضافة إلى أعضاء بجهاز المخابرات لدينا".

حدق كل من توبنس وتومي في دهشة.

قال تومي: *"ياله من أمر لا يصدق!"*.

"أنتم لا تدركون مدى قوة الدعاية الألمانية؛ فهي تجذب شيئًا ما بكل فرد، رغبة أو حلمًا بالسلطة. هؤلاء الأشخاص كانوا على استعداد لخيانة دولتهم ليس من أجل المال، بل من أجل هوس العظمة؛ الرغبة فيما كانوا سيحققونه، هم *أنفسهم*، من وراء هزيمة هذه البلدة. وهذا شيء موجود بكل مكان على وجه الأرض. إنها الرغبة في تحقيق *التميز الشخصي* على حساب أي شيء وكل شيء".

ثم أضاف:

"بالطبع يمكنكما إدراك أنه مع وجود مثل هؤلاء الأشخاص وإصدارهم لأوامر متضاربة وتنفيذهم عمليات مشوشة كان الاجتياح سيتم بمنتهى النجاح".

قالت توبنس: "والآن؟".

ابتسم السيد جرانت وقال:

"والآن *فليأتوا وسنكون على أتم استعداد لهم!*".

الفصل السادس عشر

قالت ديبورا: "والدتي العزيزة، أتعرفين كنت غاية في القلق عليك، وانتابني العديد من الأفكار السيئة؟".

قالت توبنس: "حقًا؟ متى؟".

ظلت تنظر بتمعن إلى ابنتها، نظرة مليئة بالعطف.

"عندما ذهبت إلى إسكتلندا للانضمام لوالدي وظننت أنك كنت مع العمة جراسي. لقد ظننت أنك ذهبت بصحبة شخص ما لتستمتعي بوقتك".

"أوه، ديبورا، هل ظننت ذلك حقًا؟".

"بالطبع لا؛ فأنا على يقين من مدى حبك وإخلاصك لوالدي. لقد كان هذا مجرد اقتراح أخبرني به شخص أحمق يدعى توني مارسدون. أتعرفين - اعتقد أنه بإمكاني إخبارك بذلك - لقد عُرف فيما بعد أنه طابور خامس. دائمًا ما كان يتحدث بغرابة - كيف ستظل الأمور على حالها، وربما تتحول إلى الأفضل إذا ما فاز هتلر".

"هل كنت مغرمة به؟".

"توني؟ أوه كلا - فقط أعجبت بذكائه لكنه كان شخصًا مملًا. يجب أن أرقص هذه الرقصة".

ذهبت لترقص مع شاب ذي شعر أشقر، وظلت تبتسم له برقة. ظلت توبنس تنظر إليهما لعدة دقائق، ثم حولت بصرها نحو شاب طويل القامة يرتدي زي القوات الجوية ويرقص مع شابة شقراء غاية في الرقة.

قالت توبنس: "أعتقد، تومي أننا لدينا ابن وابنة غاية في الروعة".

قال تومي: "ها هي شيلا".

نهض بينما كانت شيلا بيرينا تتجه نحو مائدتهم.

كانت ترتدي ثوبًا مرصعًا بالأحجار الكريمة أظهر مدى جمالها، لكنه جمال حزين، قامت بتحية مضيفها ومضيفتها بطريقة جافة إلى حد ما.

قالت: "لقد أتيت كما وعدتكما، لكنني لا أعرف لماذا قمتما بدعوتي".

قال تومي وهو يبتسم: "لأننا نحبك".

قالت شيلا: "حقًا؟ لا أعرف لماذا. لقد كنت غاية في الحماقة في تعاملاتي معكما".

توقفت وتمتمت قائلة:

"لكنني ممتنة لدعوتكما".

قالت توبنس:

"يجب أن نعثر على شريك لطيف ليرقص معك".

"لا أريد أن أرقص. أكره الرقص. لقد أتيت فقط لرؤيتكما".

قالت توبنس وهي تبتسم: "ستحبين الشريك الذي اخترناه لك".

قالت شيلا: "أنا -" ثم توقفت لأن كارل فون دينيم كان متجهًا نحوها.

نظرت إليه شيلا في ذهول ثم تمتمت قائلة:

"أنت -".

قال كارل: "نعم، أنا".

كان هناك شيء ما مختلف في كارل فون دينيم هذا المساء. حدقت إليه شيلا، وهي تشعر بشيء من الحيرة. عادت الحيوية إلى وجنتيها، واكتسبتا اللون الأحمر.

قالت وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة إلى حد ما:

"كنت متأكدة أنك ستكون بخير الآن. لكنني ظننت أنهم محتفظون بك في السجن".

هز كارل رأسه قائلًا:

"ما من سبب لحبسي".

ثم واصل حديثه قائلًا:

"يجب أن تسامحيني يا شيلا لأنني خدعتك.أنا لست كارل فون دينيم. لقد انتحلت شخصيته لأسباب خاصة بي".

نظر إلى توبنس مستفهمًا فقالت له:

"هيا أخبرها".

"كارل فون دينيم كان صديقي، لقد تعرفت عليه في إنجلترا منذ عدة سنوات. ثم توطدت علاقتي به في ألمانيا قبل اندلاع الحرب مباشرة. لقد ذهبت إلى هناك في مهمة محددة من أجل هذه البلدة".

سألت شيلا: "هل كنت تعمل مع المخابرات؟".

"نعم. عندما كنت هناك، بدأت أمور غريبة تحدث. وقد حاولت الهرب مرة أو مرتين، لكن خططي كانت تنكشف في حين أنه لم يكن من المفترض أن يحدث ذلك. أدركت أنه كان خطأ ما، وأن الفساد قد اخترق الجهاز الذي أعمل به. لقد خذلني أناس من شعبي. كان هناك بعض الشبه بيني وبين كارل (جدتي كانت ألمانية) ولهذا السبب كان من المناسب أن أعمل بألمانيا. لم يكن كارل نازيًا، ولم يكن يهتم بأي شيء سوى عمله - عمل أنا أيضًا مارسته - البحوث الكيميائية. وقبل اندلاع الحرب بفترة قصيرة، قرر الهروب إلى إنجلترا. شقيقاه كانا قد أرسلا إلى معسكرات التعذيب. ظن أنه سيواجه الكثير من الصعوبات في أثناء محاولة

هروبه، لكن كل هذه الصعاب قد اختفت من تلقاء نفسها بشكل غريب جدًا. وعندما ذكر لي هذه الحقيقة انتابني بعض الشك حول تسهيل السلطات مسألة خروج كارل فون دينيم من ألمانيا في حين أن شقيقيه وأقاربه كانوا بمعسكرات التعذيب وهو نفسه كان مشتبهًا به بسبب آرائه المعارضة للنازية؟ بدا كأنهم بحاجة إلى وجوده في إنجلترا لسبب ما. وبالنسبة لي كان وضعي غير مستقر على الإطلاق. كان كارل يقيم بالفندق نفسه الذي أقيم به وفي يوم ما وجدته، للأسف، يرقد بفراشه وقد فارق الحياة. لقد استسلم للإحباط وانتحر، تاركًا خطابًا قمت بقراءته ثم وضعته بجيبي.

عندئذ قررت أن ألعب دور البديل. لقد أردت الخروج من ألمانيا ـ كما كنت أرغب في معرفة سبب تشجيع كارل على القيام بذلك. من ثم وضعت جثته بفراشي بعد أن ألبسته ملابسي. ملامحه كانت مطموسة بسبب الرصاصة التي أطلقها برأسه. وصاحبة الفندق كانت تعاني ضعف البصر.

مستخدمًا أوراق كارل فون دينيم سافرت إلى إنجلترا وذهبت إلى العنوان الذي طُلب منه الذهاب إليه؛ ألا وهو سان سوسي.

وفي أثناء تواجدي هناك لعبت دور كارل فون دينيم ولم أهدأ قط. وجدت أن هناك من رتب لعملي بالمصنع الكيميائي هناك. في البداية ظننت أن الفكرة تتمثل في إجباري على القيام بعمل يخدم النازية، لكن فيما بعد أدركت أن الدور المخصص لصديقي المسكين هو أن يكون مجرد كبش فداء.

عندما تم القبض عليَّ بسبب دليل مزور، لم أقل شيئًا. أردت تأجيل مسألة الإفصاح عن هويتي الحقيقية بقدر الإمكان، رغبة في معرفة ما سيحدث.

ومنذ أيام قليلة فقط تعرف عليَّ شخص ما وانكشفت الحقيقة".

قالت شيلا موبخة إياه:

"كان يجب أن تخبرني".

قال بلطف:

"إذا كنت تظنين ذلك ـ فأنا آسف".

نظر إليها بينما كانت تنظر إليه بغضب وفخر في الوقت ذاته - ثم اختفى الغضب وقالت:

"أعتقد أنك كنت مضطرًا إلى التصرف بهذه الطريقة ...".

"عزيزتي" .

نهض قائلًا:

"هلم لنرقص ...".

ذهبا معًا.

تنهدت توبنس.

قال تومي: "ما الخطب؟".

"أتمنى أن تعتني به شيلا من الآن فصاعدًا؛ فهو لم يعد منبوذًا ألمانيًّا مضطهدًا من الجميع".

"يبدو أنها تهتم بأمره حقًّا".

"نعم لكن الأيرلنديين يتسمون بالعناد الشديد. وشيلا شخصية متمردة".

"لماذا قام بتفتيش غرفتك تلك الليلة؟ فهذا هو السبب الذي جعلنا نسير في الاتجاه الخطأ".

ضحك تومي.

"أعتقد أنه لم يقتنع بأداء السيدة بلنكينسوب. في الواقع بينما كنا نشعر بالشك نحوه كان هو الآخر يبادلنا الشعور نفسه".

قال ديريك بيرسفورد في أثناء مروره هو وشريكته في الرقص بمائدة والديه: "ما رأيكما في الذهاب للترفيه؟".

ثم ابتسم تشجيعًا لهما.

قالت توبنس: "إنهما رحيمان جدًّا بنا؛ فليحفظهما الله".

الآن عاد التوءمان وشريكهما في الترفيه وجلسوا جميعًا.

قال ديريك لوالده:

"أنا سعيد لحصولك على وظيفة، لكنني أعتقد أنها ليست ممتعة، أليس كذلك؟".

قال تومي: "وظيفة روتينية".

"لا بأس؛ فعلى أية حال هناك عمل تقوم به. وهذا هو أهم شيء".

قالت ديبورا: "وأنا أيضًا سعيدة لأنه سُمح لوالدتي بالذهاب والعمل معه؛ فهي تبدو أكثر سعادة من ذي قبل. أظن أن الوظيفة ليست مملة للغاية، أليس كذلك يا والدتي؟".

قالت توبنس: "لم أشعر بأنها مملة على الإطلاق".

قالت ديبورا: "رائع"، ثم أضافت قائلة: "عندما تنتهي الحرب سأتمكن من إخباركم ببعض الأمور بخصوص وظيفتي. أقوم بعمل ممتع للغاية، لكنه غاية في السرية".

قالت توبنس: "يا له من أمر مشوق!".

"بالطبع! لكن من المؤكد أنه ليس مشوقًا كالطيران ـ".

نظرت بحسد إلى ديريك.

ثم قالت: "سيُطلب منه ـ".

قال ديريك بسرعة:

"اخرسي يا ديبورا".

قال تومي:

"هلم ديريك، ما الذي سيطلب منك؟".

"لا شيء ـ مجرد عرض سنشارك فيه جميعًا. لا أدري لماذا أدرج اسمي معهم"، هكذا تمتم الطيار الشاب، واحمر وجهه. بدا محرجًا كما لو كان متهمًا بجرم فظيع.

نهض ثم نهضت الفتاة الشقراء هي الأخرى.

قال ديريك:

"يجب ألا يفوتني أي من هذا المرح - إنها آخر ليلة بإجازتي".

قالت ديبورا: "هلم يا تشارلز".

وذهب كل منهما، كل واحد برفقة شريكه.

ظلت توبنس تدعو لهما في قرارة نفسها:

"اللهم احفظهما وامنع عنهما كل سوء ...".

رفعت بصرها لتلتقي بعيني تومي الذي قال: "بخصوص هذه الطفلة - هل من الممكن؟".

"بيتي؟ أوه، تومي، أنا سعيدة جدًا لأنك أنت أيضًا فكرت بذلك. ظننت أنني أفكر في ذلك فقط بسبب مشاعر الأمومة. هل تود ذلك حقًا؟".

"تقصدين تبني الطفلة؟ لم لا؟ لقد تعرضت لظلم بين، وسيكون من الممتع أن نعتني بها ونراها وهي تكبر أمامنا".

"أوه، تومي!".

مدت يدها وأمسكت بيده ونظرا إلى بعضهما.

قالت توبنس بسعادة: "دائمًا ما نرغب في الشيء ذاته".

همست ديبورا بأذن ديريك عندما مرت بجواره في أثناء اللهو قائلة:

"انظر إليهما - انظر كيف تتشابك أيديهما! يجب أن نبذل قصارى جهدنا لنعوضهما عما يقضيانه من وقت ممل خلال هذه الحرب ...".